

المراة في فضل الإسلام

الشَّيْدَةُ
مُرِيمُ نُورُ الدِّينِ فَضْلَانَةُ

دَارُ الْهَكَامَ

الطباعة والنشر والتوزيع
بَيْرُوت، بَلْنَانَ

المَرْأَةُ فِي ظَلِيلِ الْإِسْلَامِ





Books.Rafed.net

السَّيِّدَةُ
مَرِيمُ نُورُ الدِّينِ فَضْلُ اللَّهِ

المَرْأَةُ فِي ظَلِّ الْإِسْلَامِ

دَارُ الزَّهْرَاءِ
لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْرِ وَالتَّوزِيعِ
لِبَنَانٍ - بَيْرُوت
ص.ب. ٩٢٧٠



حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

الطبعة الأولى

١٣٩٩ م - ١٩٧٩

الطبعة الثانية

١٤٠١ م - ١٩٨١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآلـه اشرف الخلق اجمعين .

سنوات عديدة مضت من حياتي ، وانا اترقب الفرص لكي اكتب في موضوع « المرأة » خدمة لبنات جنسى الحائرات .

لا أغالي ان قلت ان فكرة هذا الكتاب ، كانت تلمع في صدرى التماع البرق
في طيات السحاب ، وتناثر في ذهني غليسان الغيرة في رؤوس الشباب ، وقد
جهدت في تأليفه وتعجبت في تصنيفه ، وما أرجو من عملي إلا الإصلاح ما
استطعت اليه سبيلا ، سائلة المولى سبحانه أن يوفقني إلى كتابة معتدلة صادقة
وان يظفر كتابي هذا بالقراء المنصفين .

فالمرأة هي شريكة الرجل في هذا العالم ، المؤلف من ذكر وانثى ، فهو
يمكن ان ننكر هذا النصف ونغالط الواقع في أهمية المرأة وما لها من دور فعال
في اتصال التناصل وبناء المجتمع ، فهي أم الرجل ... وزوجته ... واخته ...
وابنته ... ورفيقته في جميع مراحل حياته . وبما أنها تكون نسبة معادلة
للرجل بل تفوقه عدداً ، فهي جديرة بالدرس والتحقيق ، على ضوء العلم الحديث
وهدى الإسلام .



وعندما نتناول هذا الموضوع كبحث يجب ان نعالج معالجة وافية سواء بدراسته في الازمنة القديمة ، أو في العصور الوسطى أو في العصر الحديث .

وإنني حریصة على ان تكون هذه المعالجة كاملة التفاصيل، إلى حد ما يقدر ما يسمح به المجال .

إن أي كاتب أو باحث يقف حائراً ، حينما يريد ان يتناول هذا الموضوع فالدراسات عن المرأة مقتصرة إلى المصادر التاريخية .

ان المؤرخين سواء في البلاد العربية أو الإسلامية ، أو الشرقية أو الغربية ، لم يدونوا سوى ترجم الكتاب والرجال العظاء ، وسير الشعراء والأدباء ، ولم يعطوا العناية الكافية إلا لسرد حوادث الملوك والسلطانين والأبطال والأمراء . فتاريفنا الموجودة بين أيدينا تاريف أفراد لا تاريف مجتمعات ، ولم يتعرضوا للمجتمعات حولهم ، اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكرياً سعة وضيقاً ، إلا فيما يمس حياة هؤلاء الأفراد .

ولما لم تمثل المرأة إلا البعض من هؤلاء الأفراد ، ظلت منحصرة ضمن هذه المجتمعات التي أهمل الباحثون دراسة أحواها ، وأهملت المرأة تبعاً لهذا الإهمال عبر العصور ، وكانت نسبياً منسية .

ذلك ان المجتمع في العصور القديمة وما يزال ، رغم تطور الحياة الفكرية لدى البشر ، لا ينظر اليها كعنصر فعال له اهميته في دفع عجلة التاريخ وله احترامه ، ومكانته ، بل ينظر اليها كأنثى لها رقتها وجاذبيتها .

واني بذلت الجهد ، وحاوت ان أقدم إلى القراء الاعزاء لحة موجزة عن تطور حياة المرأة في الزمن القديم ، والحديث ، ومدى تقدمها في ميدان الثقافة والفكر في ظل الإسلام وذلك بقدر ما يسمح به مجال هذه الصفحات المحدودة .



واني وأنا المسلمة ، اعترف بان المرأة في عصرنا الحاضر تواجه أعنف المشاكل ، وأكثرها صعوبة وتعقيداً .

فما زلنا نسمع الأراجيف والأسئلة ، وكلها تخرصات وافتراط على الإسلام وتشريعه ، بأنه ظلم المرأة ، وبخسها حقها ، وامتنهن كرامتها ، وجعلها عبارة عن خادمة للرجل تؤدي حاجته ، وتلبى رغبته ، وتلد له الأطفال .
وإذا مال به الموى سُمِّها ... ونبذها نبذ النواة .

هذه أصوات الاستكبار تعالى ، وخصوصاً من الذين يدعون إلى الحرية ، ويتشدقون بالمدنية ... يصرخون قائلين ... حرروا المرأة ... اكسر وقيودها ... اطلقوا هذا المارد الجبار من عقاله ... ايقظوا المرأة من سباتها العميق ... انفضوا عن وجهها غبار السنين ... دعوها تفجر طاقاتها لتلتحق بأخواتها في الشرق والغرب من المتmodern ... دعوها تنسى اعمال التأخر والانحطاط لتنهض وتنكملاً فتوأكب ركب الحضارة والمدنية ... دعوها تؤدي دورها في دفع عربة الانسانية الى الامام ، جنباً الى جنب مع الرجل ، قسيماً ورفيقها في هذه الدنيا ...

انزعوا حجاب المرأة ... دعوها تظهر سافرة حرة ... دعوها تبدى زيتها ... اطلقوا لها الحرية ... اجعلوها اختاً الرجل في جميع أعماله ... اخرجوها من قوقعتها ... ارحموها الخ ...

صرخات ... وهتافات ... نسمعاً تتردد في كل حين ، من هنا ... وهناك ، تطلقها حناجر تزعم أنها تريد الخير للمرأة ... تريد لها العزة والكرامة ... تريد رفع مستواها ... وتتمنى للأمة التقدم والازدهار .

ان أصحاب القلوب الطيبة ، تركض لاهثة ، وراء هذه الصرخات والهتافات وهي تظن أنها تريد الخير للمرأة ، وان الفانية شريفة . وهي ويا للأسف قد



استغلتها نفوس أثيمة غيرت مسيرتها الرائعة ، وزينت لها طريقاً مدتها في
ظلام دامس .

لقد ظنت هذه القلوب بطبيتها انه الطريق الصحيح ، الذي يوصلها الى
الأهداف السامية . فأخذت تطالب بحقوقها ، فاندفعت بكل قواها من غير وعي
أو توءدة ، أو تفكير ، غير عالمة بما ستؤول اليه حالتها ، وسارت شوطاً بعيداً
ضمن هذا الخط الذي رسموه لها ، ولكن الى أين وصلت؟؟ وأين خطت رحلتها؟؟
وماذا جنت؟؟

وصلت الى متاهات ... وضياع . . فوقفت لا تدرى أين هي البقعة الصلبة
التي يمكنها أن تضع عليها قدمها ، لئلا تنزلق فتصل الى مهاوا لا تحمد عقباها .

ضياع ... ومتاهات ... وحيرة ... وارتباك ... ومحنة أليمة ، تتقاتل
المرأة فتجعلها في دوامة .

ومن قلب هذا الضياع الذي نعيشه ، تطلعت فوجدت ان الوقت قد حان
لتناول هذا الموضوع الجليل (المرأة في ظل الاسلام) ولأنني رأيته حافلاً ، جديراً
بالبحث والدرس والتحقيق ، وتجربة نادرة فذة ، ليس من السهل أن انصرف
عنها بعد أن اتجهت اليها .

وانني اذا أكتب في هذا الموضوع ، أو اعطيه اهتماماً من التأمل والتنقيب ،
قدر الامكان ، ذلك لأنني رأيت أن أغلب الذين كتبوا قبلـي عن المرأة ، مال بهم
الهوى عن الحق ، فمنهم من تنكب الطريق فجعلها شيطاناً مريراً ، ومنهم من
زين له ايماـنه فنـزـهـها وجعلـها مـلاـكاً رـحـيـها .

ولكن ماذا أقول : وقد أصبحـنا في زـمـنـ طـفـتـ فـيـةـ المـادـةـ عـلـىـ الرـوـحـ
واجـتـاحـتـ التـيـارـاتـ الـاخـلاـقـيـةـ التـعـالـيمـ السـاـواـيـةـ .



ألا لست شعري ما يتغرس المتخرون ! ؟ ويقول أهل الالحاد على قدسيه
الاسلام ، من نفث سموهم في أذهان الناس وافتراضهم على النظم الاسلامية ،
بالكذب - والزور - والبهتان .

فنن قائل ان الاسلام ظلم المرأة ... ومن متبع - لقد أحجفت القوانين
الاسلامية بحق المرأة وغالطت بحراها .

وكم من مرة التقيت بكثيرات من اللواتي يركضن وراء المدينة الزائفة ،
وكلهن بلسان واحد وعلى وتيرة واحدة .

لماذا تظلم المرأة المسلمة دون غيرها من النساء ؟

لماذا اقصها الشرع ميراثها ؟

لماذا فرض عليها الحجاب ؟

لماذا جعلها في سجن أبيدي وجعل مفتاح السجن بيد الرجل ؟

لماذا لا تذهب إلى الحرب وتدافع عن وطنها لماذا ... لماذا ... لماذا ...
الخ تمهلن رويداً أيها المسلمات ، هل عرفتن عن الاسلام إلا إسمه ؟ ... أو
ما شوهرت وجهه الا كاذيب ، وتناقلته الألسن .

فهملا ... مهلا ... يا أخواتي لا تنتظرن إلى الاسلام من غير وعي لمبادئه
البناءة ، وأهدافه الخيرة .

ويَا أخواتي المسلمات لنقف من منعطف التاريخ ، ونلقي نظرة عبر القرون
الغابرة ، والأجيال السالفة ، ونسأل بلا تذرر أو تأفف أو شكوى ، ثم نعود
القهقرى حتى نرى - هل ان المرأة في الحضارات القديمة كانت أحسن من
المسلمة ؟

وهل ان المرأة في تلك الحقبة من الزمن كانت ترتع بحرية زائدة ... حق



مجاهد الإسلام وحررها هذه الحرية - ؟

هل ان الإسلام ضيق على المرأة الخنثاق وحبسها في سجن ... وهل ...
 وهل ... السخ .

ولا بد لنا من استطلاع صفحات التاريخ ليحدثنا عما كانت عليه المرأة قبل
 الإسلام ، وكيف كانت تعامل عند الأمم السابقة المتحضره في العصور القديمة -
 والوسطى ، وكيف كانت حالتها ومدى ما اعطيت من الحقوق - والمنزلة -
 والكرامة ونجعل من التاريخ حكماً نسد به أفواه المتشدقين .

وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت واليه اذيب وهو حسي ونعم الوكيل .

مريم نور الدين فضل الله



تمهيد

الإنسان عالم في حد ذاته ، ففي تركيب جسمه وقواه ومواربه ، ورغباته و حاجاته كذلك عواطفه ومشاعره ، وعلاقته بكل ما يحيط به من ألف الأشياء ، وتأثيرها عليها ، كل هذه الأشياء تختضن عالماً بنفسه لا يدرك كنهه .

ونحسب إنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

لقد حاول الإنسان بما أوتي من تدبير وتفكير ، أن يجد قانوناً شاملًا ، وحلًا عادلاً ، يتهاشى مع جميع متطلبات أفراد البشر .

ولكن أكثر هذه المحاولات كانت تأتي بنتائج معكوسه ؛ فيصبح الحيف ، والظلم ، على الإنسان الضعيف ، وهو المرأة .

إن لرغبات النفس ونوازعها وعواطفها وميوها ، التأثير البالغ في تفكير الإنسان ، تصرفه عن الحقائق ، وتضلله عن جادة الصواب . لو راجعنا بطون التاريخ واستنتقنا صفحاته لرأينا سلسلة من الاضطهاد والحرمان ، جارية في جميع أدواره وبين الأمم والشعوب القديمة من دون استثناء ، عند أهل الحضارة والرقي أو أهل البداوة والجاهلية أو أهل الشرائع والأنظمة المدنية ، وكلها جائرة في حق المرأة .

ففي البلدان المتحضره والشعوب المتمدن ، ظهرت شريعة حورابي في بابل



وقوانين روما واليونان القدماء ومقررات مصر والصين وفارس القدية وجميعها تحمل بين طياتها الانظمة والقوانين الكثيرة على اختلافها وتشعب اتجاهاتها وكلها تنظر للمرأة على أنها انسان ضعيف لا تستطيع ان تتحمل أعباء الحياة ، لا يمكنها ادارة شؤونها بنفسها .

ان البحث التاريخي الذي سأورده في هذه الصفحات ، يؤكد ان المرأة كانت تتقلب في دياجير مظلمة من العسف والجور تباع وتشترى كأنما سلعة ، محرومة من جميع حقوق الإرث والملكية ، معدومة الشخصية وهي مجموعة من الذل والاشم والعار .



المرأة قبل الاسلام

المرأة عند العرب في الجاهلية :

لنلقى نظرة خاطفة على حالة المرأة العربية في الجاهلية قبل الإسلام، وكيف كانت تعامل في ذلك العهد ، وما هي مكانتها الاجتماعية .

كانت المرأة العربية في الجاهلية ، أحيط من أي سلعة فهي لا ترث وليس لها حق المطالبة، لأنها لا تزود عن الحمى في الحرب، وزواجهما يرجع إلى أمر ولها، وليس لها حق الاعتراض ولا المشورة حتى أن الولد يمنع أرملة أبيه من الزواج حتى تعطيه جميع ما أخذت من ميراث أبيه ، هذا إذا لم يضع ثوبه عليها قائلًا : ورثتها كما ورثت مال أبي .

فإذا أراد أن يتزوجها - تزوجها هو بغير مهر ، أو زوجهـا لغيره وتسليم هو مهرها^(١) .

ومن جملة قولهم للعروس عند زفافها^(٢) اذهبي فإنك تدين الأعداء وتدنين البعداء .

والعرب مثل غيرهم من الشعوب القديمة ، كانوا يفرحون إذا ولد لهم ولد

(١) الأخلاق الإسلامية - السيد علي فضل الله الحسني.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي - ج - ٤ . ص ٦٤٧ .



ذكر ، ويغتمنون إذا ولدت لهم ائتمى ، وكان الرجل العربي الجاهلي يصاب بضيق صدر ، وهم بالغ ، إذا قيل له إن زوجته وضعت ائتمى وقد أشار الباري سبحانه وتعالى بقوله إلى هذا : (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) ^(١) .

كان العدل والحق في زمن الجاهلية ، هو يجانب صاحب القوة (كما في زماننا الحاضر) وصار القوي المنينع هو صاحب الحق في الغالب .

ولما كان الرجل بتركيب جسمه الطبيعي وفطرته أقوى من المرأة من نحْنَفْسَهْ حق سن الأحكام عندها صار الحق في الجاهلية في جانبه ورفع نفسه عنها في أكثر الأحكام وحرمها ميراثها وقايضها بديونه .

يقول الدكتور جواد علي ^(٢) : وفي زواج البديل ، وفي منع المرأة من الزواج إلا من قريبها لوجود حق الدم عليها ، وفي منع زواج زوجات الآباء إلا برضى ابناء الأب وذوي قرابته ، لأنهم أحق بالزواج منها . وغير ذلك من سن الجاهلية التي كانت توحى إليهم أن المرأة دون الرجل في الحقوق ، لأنها خلقت دون الرجل في القوة ، ولم يكن أمامها بالطبع إلا الاستسلام .

ولما جاء الإسلام حرم كثيراً من هذه السنن ، التي لم يكن أهل الجاهلية يرونها تنافي العدالة . وقد ورد أنَّ (كبشة بنت معن بن عاصم) امرأة (أبي قيس بن الأسلت) انطلقت إلى الرسول فقالت : « إن أبا قيس قد هلك ، وإن ابنه من خيار أهلى قد خطبني . » فسكت الرسول (ص) ثم نزلت الآية (ولا

(١) سورة النحل - آية - ٨٥ و عن مجمع البيان للطبرسي (ظل وجهه مسوداً) أي صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهة .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي - ٥ - صفحة ٤٨٥ .



تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء)^(١) فهي أول امرأة حرمت على ابن زوجها^(٢).

روي عن ابن عباس أنه قال : (إذا مات الرجل وترك جارية ، القى عليها حميمه ثوبه ، فيمنعها من الناس ، فإن كانت جميلة تزوجها . وإن كانت قبيحة حبسها حتى تموت) وظل هذا شأنهم إلى أن نزل الوحي بتحريم ذلك (ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء إنه كان فاحشة ومبتداوساً سبيلاً)^(٣).

هذا الظلم الفادح الذي كان ينزل بالمرأة بسبب ضعفها ، وبسبب عرف الجاهلية في حقها ، وأبغض العادات وأفظعها ، عادة وأد البنات التي تميز بها عرب الجاهلية ، وعدوها من المكرمات قال الشاعر :

القبر أخفى سترة للبنات ودفنها يروى من المكرمات

وأد البنات :

إن في الدين الإسلامي حيوية ومرونة ومسايرة ، لكل عصر وزمان . ففي النظم الإسلامية من الحلول ما يكفي لجميع المشكلات التي تعترض حياة الإنسان ، فالإسلام قد حرم وأد البنات ، وحفظ بل أبقى على هذا المخلوق البريء حياته قال عز من قائل : (وإذا المؤدة سُلِتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلتْ)^(٤).

(١) سورة النساء آية ٢١ .

(٢) تاريخ العرب في الجاهلية قبل الإسلام - الدكتور جواد علي .

(٣) تفسير الطبراني - ج ٤ - ص - ٢٠٧ .

(٤) سورة التكوير - آية - ٨ - ٩ .



إن مسألة الود جديرة بأن نوليهما الاهتمام ، فهي نقطة هامة في الحياة الاجتماعية .

هذه العادة القبيحة ، الإنسانية ، كانت واسعة الانتشار في أيام الجاهلية ، في الجزيرة العربية عند أهل البداءة في الصحراء وفي المدن المتحضرة .

يقول الدكتور جواد علي : وقد اختلف في هذا القول ، فقال لين بول - Laine Poole - إنها كانت عادة سيئة ، ولكنها كانت نادرة الحدوث في الصحراء . ولكن الميداني يقول : إن عادة واد البنات ، كانت متتبعة عند قبائل العرب قاطبة ، وظلت هذه العادة جارية ومتتبعة عند جميع القبائل العربية حتى جاء الإسلام فأبطلها وحرّمها .

ولقد اختلفت مذاهب القبائل العربية في مسألة الود ، والنظر إليها ، فمنهم من كان يئد البنات ، غيرة على العرض ، ومخافة من لحوق العار لأنهم أهل سطو وغزو ، وكانت تساق الذراري مع الفنائيم ، ويؤخذ السبي فتكون بناتهن عند الأعداء ، وهذا منتهى الذل والعار ، وكانت بنوتيم - وكنتدة من أشهر القبائل ، التي تئد بناتها خوفاً لمزيد الغيرة .

ولعل السبب في ذلك راجع إلى تلك القصة ، التي يرويها التاريخ ، وهي أن بني تميم ، منعوا الملك النعمان ضريبة الأتاوة التي كانت عليهم ، فجرد عليهم النعمان أخيه الريان مع (دوسرا) إحدى كتابه وكان أكثر رجالها من بني بكر بن وائل ، فاستأق النعمان سبي ذراريهم . فوفدت وفود بني تميم على النعمان بن المنذر ، وكموه في الذراري ، فحكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء ، فأية امرأة اختارت زوجها ردت إليه ، فشكروا له هذا الصنيع .

وكانت من بين النساء بنت قيس بن عاصم فاختارت سابتها على زوجها



فغضب قيس بن عاصم ، ونذر أن يدس كل بنت تولد في التراب ، فوأد بعض عشرة بنتاً^(١) .

وقد ظلت هذه العادة السائبة جارية ، وكأنها قانون لا يمكن إزالته ، حتى ظهر الإسلام فحرمتها وعاقب عليها .

وفي بعض الروايات ، أن أول قبيلة وأدت من العرب هي قبيلة ربيعة وذلك على ما يروى ، أن قوماً من الأعراب أغروا على قبيلة ربيعة وسبوا بنتاً لأمير لهم فاستردها بعد الصلح وبعد أن خيروها بين أن ترجع إلى أبيها ، أو تبقى عند من هي عنده من الأعداء ، فاختارت سببها وآثرت على أبيها ، عند ذلك غضب وسن لقومه قانون الوأد ، ففعلوا غيره منهم ، وخوفاً من تكرار هذه الحادثة^(٢) .

ومن القبائل من كانت تئذ البنات ، لا لغيره أو خوف من عار ، بل إذا كانت مشوهه أو بها عاهة مثلاً : إذا كانت زرقاء ... أو سوداء ... أو برشاء ... أو كسحاء ... ويُسكنون من البنات من كانت على غير تلك الصفات لكن مع ذل وعلى كره منهم .

وذكر بعض المؤرخين^(٣) أن سنين شديدة كانت تنزل بالناس تكون قاسية على أكثرهم ولا سيما على الفقراء ، فياكلون (العلوز) وهو الوبر بالدم ، وذلك من شدة الجوع ، وبهذا الفقر وهذه الفاقة وذلك الاملاق ، كل هذا حلمهم على وأد البنات حذر الوقوع في الغواية . وذلك قوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم^(٤)) .

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي - ص - ٨٧ المجلد الخامس .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي - ص - ٨٨ المجلد الخامس .

(٤) سورة الانعام - آية - ١٥١ .

وقال تعالى : (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين)^(١) .

وقال تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلام كان خطئاً كبيراً)^(٢) .

روى أهل السير : أن العرب كانوا يحفرن حفرة ، فإذا ولدت الحامل بنتاً ولم يشا أهلها الاحتفاظ بها رموها في تلك الحفرة ، أو أنهم كانوا يقولون للأم بأن تهيء ابنته للوأد وذلك بتطيبها وتزيينها فإذا زينت وطيبة أخذها أبوها إلى حفرة يكون قد احتفرها فيدفعها فيها ويهيل عليها التراب حتى تستوي الحفرة في الأرض^(٣) .

وذكر أيضاً أن الرجل منهم كان إذا ولدت له بنتاً فأراد أن يستعيدها^(٤) ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في الباادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سدايسية^(٥) فيقول لامها طيبتها^(٦) وزينتها حتى أذهب بها إلى أحماقها ، وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض .

(١) سورة الانعام - آية - ١٤٠

(٢) سورة الاسراء - آية - ٣١

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام - الدكتور جواد علي - ج - ٤ - ص ١٨٨ .

(٤) أي أبقاها على قيد الحياة

(٥) أي يتركها حتى يصبح عمرها ست سنوات .

(٦) كان العرب يزينون البنات ويطيبونها قبل أن يندرها ، وكانوا في بلاد النيل يزينون الفتاة بأجمل زينة ثم يلقونها في مياه النيل حتى يفيض عليهم بخيراته . وكان المندوب يزينون المرأة قبل أن يعرقوها . وأغلب الظن أن هذه العادات هي من بقايا الوثنية والتقاليد الدينية بقدموس القرابين والضحايا بأجمل زينة .



قصة رجل وأد ابنته وقد أظهر ندمه عند النبي (ص) :

روي أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يزال مفتماً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لك تكون مخزوناً ؟ فقال يا رسول الله إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت فقال له : أخبرني عن ذنبك ؟ فقال : يا رسول الله ، إني كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لي بنت فتشفعت إلى امرأة أن أتركتها حتى كبرت وأدركت ، وصارت من أجمل النساء فخطبواها ، فدخلتني الحمية ، ولم يتحمل قلبي أن أزوجها ، أو أتركتها في البيت بغير زواج ، فقلت للمرأة إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فأبعثها معي ، فسررت بذلك ، وزينتها بالثياب والخليل ، وأخذت على المواريثة بـ(١) أخونها ، فذهبت إلى رأس بئر فنظرت في البئر ، ففطنت الجارية إني أريد أن ألقاها في البئر فالتزمني وجعلت تبكي وتقول : يا أبتي إيش تريدين أن تفعل بي (٢) ؟ فرحمتها ، ثم نظرت في البئر فدخلت على الحمية ، ثم التزمني وجعلت تقول : يا أبتي لا تضيع أمانة أمي ! فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها ، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوبة ، وهي تنادي في البئر : يا أبتي قتلتني ؟ ! ومكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت.

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقال : لو أمرت أن أعقب أحداً بما فعل في الجاهلية لعاقبتك (٣) .

ومعها كانت كيفية الود ، واختلاف المسببات ، فلقد حاربه الإسلام ،

(١) إيش : تريدين أن تفعل بي - كذا وردت في الأصل .

(٢) العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي - ج - ٥ .



وندده ، وعاقب عليه وجعله من الكبار ، حتى مُحى أثره من الوجود ، وأصبح قصة يرويها الرواة ، من جملة ما يروونه من أخبار الماضي .

ولم يكتف الإسلام بذلك ، بل رفع من شأن المرأة ، وساوى بينها وبين الرجل في كثير من شؤون الحياة . وفي الحديث : « إن أحسن الناس عند الله من أحسن صحبة أزواجه وبناته » .

وقد أكثر الشعراء العرب في وصف حاهم وحال المرأة في ذلك العهد وعجزها عن العمل والمقاومة ، في حين أن البنين أقوى منهم ، ويتاح لهم ما لا يتاح للبنات . قال بعض الشعراء :

وزادني رغبة في العيش معرفتي
ذل البنت يحفوها ذwo الرحم

أخشى فظاظة عمٍ أو جفاه أخ
وكنت أبكي عليها من اذى الكلم

تهوى حيالي وأهوى موتها شفقاً
والموت أكرم نزال على الحرم

إذا تذكرت بنتي حين تندبني
فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم

ووصف سروره واستقراره بعد أن تخلص من ابنته حيث يقول :

فالآت تمت فلا هم يؤرقني
بعد الهدوء بلا وجد ولا حلم



المرأة في بلاد الفرس

أما في بلاد الفرس وهم الذين قبضوا على ناصية الحكم في كثير من البلاد وسنوا القوانين والأنظمة ، لم يكن وضع المرأة عندهم أحسن مما كانت عليه في بلاد النيل والبلاد الصينية ، يقول الدكتور محمود نجم ابادي في كتاب (الإسلام وتنظيم الأسرة) : نلاحظ أن قوانين زرادشت ، كانت جائرة وظالمة بحق المرأة ، فإنها كانت تعاقبها أشد العقوبة إذا صدر عنهم أقل خطأ ، أو هفوة ، يعكس الرجل فإنها قد أطلقت له جميع الصلاحيات يسرح ، ويمرح ، وليس من رقيب عليه .

فهو له مطلق الحرية لأنه رجل ولكن الحساب والعقاب لا يكون إلا على المرأة !

ويقول أيضاً : كان أتباع زرادشت يقتون النساء ، وحالما كانت تجتمع لدى الرجل براهين على عدم إخلاص الزوجة ، كان لا مفر لها من الانتحار . وقد ظل هذا القانون سارياً حتى عهد الاكاديين ، وفي عهد الساسانيين خفيف هذا القانون ، بحيث صارت المرأة تُسجن جزاء عدم إخلاصها أول مرة ، حتى إذا كررت عملها ، صار لا مفر لها من الانتحار ويقول أيضاً : بينما كان يحق للرجل من أتباع زرادشت أن يتزوج من امرأة غير زرادشتية فإنه لم يكن يحق للمرأة أن تتزوج من رجل غير زرادشي وهذا القانون على المرأة كما أسلفنا فقط ، ناهيك عن الاضطهاد والحرمان وأما الرجل فله الحرية في التصرف على هواه وهو المالك لأنه رجل .



المرأة في البلاد الصينية

لم تكن المرأة في البلاد الصينية أحسن حالاً من اختها في بلاد الفرس، ويؤخذ من مادة في موسوعة الدين والأخلاق ، أن المجتمع الصيني على العموم كان الناس يعيشون في فوضوية ، فهم أقرب إلى الوحش منهم إلى البشر ، كانوا يعرفون امهاتهم ، ولا يعرفون آباءهم ، وكانوا يتزاوجون بلا حشمة ولا حياء ، حتى قام رجل منهم وكان من الحكماء الأقوياء اسمه (فوه - سي) (Fuh - Hsi) وذلك سنة (٢٧٣٦-٢٨٥٢) قبل الميلاد قام هذا الحكم ووضع لهم القوانين ، وسن لهم الأنظمة ، ولكن المرأة واحسرتاه ... لم تخل من السلطة أو الكرامة أي نصيب ، بل كان نصيبها أن تتلقى الأوامر ، وتتنفيذها بدون أي اعتراض . فإذا كانت لا تزال بنتاً لم تتزوج ، فواجب عليها إطاعة أبيها ، فإذا تزوجت فالطاعة لزوجها ، وإذا مات عنها زوجها أطاعت ابنها الكبير .

وفي المجتمع الصيني القديم أيضاً صاحب الحضارة العريقة ، أن يسير الأب على ما جرى عليه العرف العام ، فالعادة بالميراث أن البنات لا يرثن ، وحصة الابن الأكبر من الميراث تكون هي الكبرى ، وليس للبنت أن تطلب من مال أبيها شيئاً لأن البنت لا ترث لأنها ليست بولد .

المرأة في البلاد المصرية

كانت بلاد النيل مهد الحضارات القديمة ، وكان المجتمع المصري القديم يتميز



بطابع التمدن والرقي في تلك العصور ، ولكن المرأة المصرية كانت بغاية الاضطهاد والهوان ، وكانت تعامل معاملة ازدراه واحتقار كالخدم ، وهي لا تصلح إلا لتدبير شؤون البيت ، وتربية الأطفال .

كان المصري القديم يتزوج في مرحلة مبكرة ، وكان يتزوج من اخته وذلك خشية أن تنتقل أملاك الأسرة إلى الأغراب ، وقد عرف المصريون القدماء تعدد الزوجات ، وعرفوا التسريري ، وكانت الزوجة تحمل التأمين خلال أشهر الحمل ، لتقي حملها من الأرواح الشريرة ، وكان الرجل المصري يفرح إذا بُشر بالمولود الذكر ، ويكتف به وجهه حزناً إذا علم أن زوجته وضعت أنثى ، ومن الطريف أن المصريين القدماء قاموا بتجارب لمعرفة الجنين قبل ولادته خوفاً من أن يكون أنثى .

ويقول الدكتور ميخائيل إبراهيم : لقد حرص المصري على زوجته أشد الحرص ، فلا تخرج من بيتها أبداً إلا لخدمة الآلهة ، أو الخدمة في القصور ، وكانت على جانب عظيم من الذلة والمهانة .

المرأة في بلاد ما بين النهرين

المرأة السومرية :

وأما في العهد السومري ، فقد كانوا يعاملون المرأة معاملة فظة غليظة ، كانت تعامل عند جميع الشعوب في تلك الأزمنة . فها كانت مكانتها أحسن من أخواتها في البلاد المجاورة ، وذلك على الصعيد الاجتماعي ، ومن حيث الحرية والكرامة .



وأما المرأة عند البابليين فكانوا ينظرون إليها نظرة احتقار فهي لم تخلق إلا لسعادة الرجل .

المرأة الاشورية :

كان المجتمع الأشوري لا يختلف في شكله العام عن تركيب المجتمع البابيلي من حيث عدد الطبقات ، والتشابه في البيوت والأثاث واللباس . وبالنظر إلى الأهمية التي تعطى عادة الرجال في مجتمع تسوده الروح العسكرية ، أصبح الرجل الأشوري أكبر قوة وسلطاناً في حين انخفض مركز المرأة الاجتماعي ، وفقدت بعض الحقوق التي كانت تتمتع بها في الحضارتين : السومرية والبابلية .

فقد أصبحت المرأة الأشورية تعتبر ملكاً للرجل ولها الحق في أن يحررها ما تملك ، ويطلقها متى أراد ، ولا فرق بينها وبين الحيوان الأعجم . الرجل يأمر وهي تتلقى الأوامر ، وتتقندها صاغرة ، وليس لها حق الاعتراض^(١) .

المرأة عند اليونان :

اليونان من أرقى الأمم القديمة حضارة ، وأزهراها وأكثراها تمدنا في التاريخ في عصرهم البدائي كانت المرأة في غاية من الانحطاط وسوء الحال ، من حيث الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعي جميعاً فلم تكن لها في مجتمعهم منزلة – أو مقام كريم ، وكانت الأساطير (Mythology) اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى (باندورا) (Pinndora) ينبوع جميع آلام الإنسان

(١) حضارات العالم في العصور القديمة – والرسطي – الطبعة الثانية .



ومصانبه . لقد كان تأثير الاسطورة اليونانية عن (باندورا) في عقوبهم وأذهانهم ، فلم تكن المرأة عندهم إلا خلقاً من الدرك الأسفل ، في غاية المهانة والذل ، في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية وأما منازل العز والكرامة في المجتمع ، فكانت كلها مختصة بالرجل ^(١) .

فالمرأة الأثينية تقضي معظم وقتها في المنزل ، تنزل وتنسج ، وتخيط ثيابها وثياب زوجها ، ونجد أنها ضئيلة الحظ من الثقافة ، وإن بنات أثينا يلزمن البيت في حين يذهب أبناؤها يومياً إلى المدرسة ، حيث يتعلمون القراءة والكتابة والحساب ، ويحفظون شعر هوميروس ويعزفون على القيثارة ويقومون بالتمارين الرياضية ، ولم تكن المرأة اللاتينية ، تجلس إلى المائدة ، إذا كان عندم ضيف غراء لأنها بمنزلة العبيد والخدم .

المرأة عند الرومان :

الذين تسنموا ذروة الجد والرقي في العالم لمدة طويلة من الزمن هم الرومان وفي هذه الأمة أيضاً ، نرى أن القوانين والأنظمة ، كانت تمثل إلى الظلم والحرمان والاضطهاد تجاه المرأة .

فالرجل رب الأسرة في مجتمعهم ، له حقوق الملك كاملة ، على أهله وأولاده والقانون الروماني كان قد أعطى الرجل حق التصرف بزوجته على هواه ، حتى بلغ من تعسف الرجل وتسلطه في هذا الشأن ، انه يجوز له حتى قتل زوجته في بعض الأحيان .

ولما تقدم الرومان ، خطوات في سبيل الحضارة ، وأخذوا يرتقون سلم

(١) كتاب الحجاب - أبو الأعلى المودودي .



المدنية ، خفت القسوة في تلك السلطة ، من قتل وتعذيب وأخذت تميل الكفة إلى الاعتدال شيئاً فشيئاً .

لكن بقي نظام الأسرة القديم ، ثابت على حاله ، بل قيدوا النساء بقيود مثقلة ، مما زادهن "ذلة ومهانة" .

كان الرومان يتسابقون في ميدان التقدم والرقي ، ولكن احتقارهم لنسائهم يعاملوهن" معاملة الخدم والإماء ، وينظرون إليهن نظرة الازدراء مما جعل المرأة تتجرف في تيار الاستهتار ، عندما رأت نفسها ، في مثل هذا الانحطاط والانهيار ، وأنها لا تصلح إلا لإرضاء الرجل ، وتلبية رغباته ، عندها تفجر بركان من الفحشاء والفحور .

وعن المودودي (ولما تراخت عرى الأخلاق وصيانة الآداب في المجتمع الروماني إلى هذا الحد ، اندفع تيار من العري والفواحش ، وجوح الشهوات ، فأصبحت المسارح مظاهر للغلاء والتبرج المقوت ، وزينت البيوت بصور ورسوم كلها دعوة سافرة إلى الفحور ، والدعارة والفحشاء .

ومن جراء هذا كله ، راجت منه الموسسات والداعرات . إلى أن يقول : ونالت مسرحية فلورا (Flora) حظوة عظيمة ، لدى الروم ، لكونها تحتوي على سباق النساء العاريات .

وكذلك انتشر استحمام النساء والرجال في مكان واحد برأى من الناس ومشهد . أما سرد المقالات الخليعة ، والقصص الماجنة العمارية ، فكان شفلاً مرضياً مقبولاً ، لا يترجح منه أحد ، بل الأدب الذي كان يتلقاه الناس بالقبول والرضى ، هو الذي يعبر عنـه اليوم بالأدب المكشوف ، وهو الذي تبيّن فيه أحوال الحب ، والعناق والتقبيل سافرة غير مقنعة ، بمحبب من المجاز والكلنات . انتهى^(١) .

(١) المحاجب - ابو الاعل المودودي .



أقول : وفي القلب حسرة ... لقد أصبحنا في زماننا هذا ، وفساد الأخلاق أخذ بناصية جميع المسالك الحياتية تقريباً، وفي معظم البلاد العربية والاسلامية وإذا استنكر مستنكر على أمواج الفوضى العارمة ، وتيار الفساد الطاغي على النفوس - او أمر آمر بالمعروف ، او نهى عن المنكر ثاء وجد نفسه ، بلا ناصر ولا معين ، بل اتهم بالرجمية والتخلف وكا قيل :

وإذا تراءى مصلح يلفي بلا أعوان
ساد الفساد وساد أهل الجور في البدان
والدين أصبح شاكياً متدعسي الأركان
لم يبق بين بنيه غير الحقد والشنان^(١)

المرأة في بلاد الهند

بلاد الهند ذات حضارة عريقة راسخة ، تتميز بطابع العلم والتمدن ، والثقافة ، منذ أقدم العصور . ولتكنا إذا أمعنا النظر نرى أهل بلاد الهند كبيرة الأمم والشعوب ، التي كانت في الزمن الغابر تعامل المرأة عندهم ، بمنتهى القساوة ، وينظر إليها نظرة الاحتقار .

تتعدد المرأة مملوكة ، وينزل الرجل منها منزلة المالك - او المعبود ، وهي محظوم عليها ، أن تظل مملوكة لأبيها بكرأ ، ولبعلاها زوجة ، ولأولادها ابئما . ثم بعد هذا الهوان ، والذل ، يقدمونها ضحية على نيران زوجها المتوفى - أي إذا مات عنها زوجها ، يحرقونها معه بالنار وهي حية .

(١) من قصيدة طويلة في رثاء الحسين عليه السلام - للسيد علي فضل الله الحسني .



لقد كان الهندوك يحرقون موظهم ويحرقون زوجة الميت معه وهي حية . كانوا يلبسونها أفعى ثيابها وحلبها ، ويأتون بها و كأنها عروس في ليلة الزفاف ، ثم يلقونها فوق الجثة المحترقة لتأكلها النيران وبقيت هذه العادة البشعة ، يتوارثها الأبناء عن الآباء حتى جاء الإسلام ، بنور تعاليمه ، واستنفدت المرأة من المصير الأسود ، فأبطل هذه العادة البشعة و حرم العمل بها و عاقب عليها .

وكان الهندود يحرمون المرأة من جميع الحقوق الملكية ، ومن الأرث أيضاً وعليها ان ترضي بقوانين الزواج ، المتتبعة عندهم ، فهم يسلموها الى أي رجل من الرجال ، بغير رضاها او استشارتها ، وهي ملزمة ان تخضع له ، فهو المالك ولا يجوز لها ان تتخلى من حيازته الى آخر انفاس حياتها .

وكان الشعب الهندي ، يعتقد ، ان المرأة هي مادة الاثم وعنوان الانحطاط الخلقي ، والروحي ، ولا يسلم لها حتى بوجود الشخصية المستقلة كإنسان كامل.

المراة في نظر بعض الفلاسفة

لقد عاشت المرأة مضطهدة ، ليس لها مجال في هذه الحياة ، إلا تربية الأطفال ، وإرضاء الرجال ، بل هي مخلوق أحاط من الرجل والدليل على هذا قول بعض الفلاسفة وأهل الفكر .

قال : (بردون) الفيلسوف الاشتراكي في كتابه (ابتكار النظام) إن وجدان المرأة أضعف من وجداننا ، بقدر ضعف عقلها عن عقلنا .

وقال الفيلسوف (روسي) إن المرأة ، لم تخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا للفن ولا للسياسة ، وإنما خلقت لتكون أماً تغذى أطفالها ببلدهما ، وتتعهد



ضعفهم بحسن عناديتها ، وتسليمهم بعد ذلك للأب ، أو للمربى يعتني بهم على نحو ما توحى به الطبيعة ، وترجع هي للقيام بوظيفة الأمومة فتحمل ، وتضع ، وترضع ، وتعهد لتعود أيضاً لتحمل ، وترضع وتعهد من جديد – وهي وأطفالها دائماً في عنق الرجل ^(١) . قالت دائرة المعارف الفرنسية عن المرأة : إن تركيبها الجسدي يقرب من تركيب الطفل ، ولذلك تراها مثله ذات حساسية حادة جداً تتأثر بغاية السهولة ، بالاحساسات المختلفة كالفرح – والألم – والخوف .

وبما أن هذه المؤشرات ، تؤثر في تصورها ، بدون أن تكون مصحوبة بتعقل ، فلذلك نراها لا تستمر لديها إلا قليلاً ؛ ومن هنا صارت المرأة معرضة لعدم الثبات .

هذه الأمة الفرنسية تملك الدولة المتقدمة ، ظل قانونها المدني ، إلى أمد قريب ، ينص على ولادة الرجل على المرأة ، وينعمها حرية التصرف بما لها إلا بإذن زوجها .

وقد نقل عن الكاتبة الفرنسية « أرماندين لوسيل أورور » فإنها لم تتمكن من نشر مؤلفاتها حتى اخترت لنفسها اسم رجل هو جورج صاند (١٨١٤ – ١٨٧٦) الكاتبة والمُؤلِّفة الفرنسية التي حلت اسم الرجال حتى تجد أعمالها طريقها إلى النور ، بعد أن فشلت تماماً في إقناع أصحاب الصحف ودور النشر ، أن المرأة أيضاً تستطيع أن تكتب وأن لها عقل المفكر – يفكـر – ويستوعـب مثل الرجل ^(٢) .

(١) كتاب تاريخ التربية – الاستاذ عبدالله المشنوق .

(٢) عن مجلة العربي – عدد : ٢٢٠ – صفحة ١١٦ .



مقارنة وتحليل

لقد ذكرت بایيجاز حالة المرأة في القرون الفاتحة ، وشرحـت شرحاً ضئيلاً للتطورات التاريخية ، التي مرت بها لـمدة تراوـح الثلاثة آلاف من السنين . وقد مـرت على هذه الأرض امم شـتى ، وتعاقـبت عـلـيـها شـعـوب كـثـيرـة ، مـخـتـلـفـة الأجنـاس والأديـان ، والألوـان ، ذوـو قـوـة وبـأـس شـدـيدـ، وـكـانـت لـهـم حـضـارـات عـظـيـمة ، من التـقـدـم والـرـقـي .

لقد حـاـول الإـنـسـان بـحـدـود تـفـكـيرـه وـمـعـرـفـته ، ان يـخـط لـلـمـرـأـة طـرـيـقاً تـسـيرـ على هـدـاء ، وـتـبـعـ مـنـاهـجـه ، وـلـكـنـ كـاـمـسـلـفـنـاـ الـمـيـوـلـ وـالـعـواـطـفـ لـهـاـ تـأـثـيرـ بالـغـ عـلـىـ الـعـقـلـ وـالـفـكـرـ ، تـصـرـفـهـاـ عـنـ الـحـقـائـقـ الـعـادـلـةـ .

وـهـكـذـاـ مـاـ جـعـلـ الـمـرـأـةـ حـائـرـةـ ضـائـعـةـ ، لـاـ تـدـرـيـ مـاـ تـفـعـلـ ، وـلـاـ تـجـدـ أـمـامـهـ ، إـلـاـ دـرـوـبـاًـ مـحـاطـةـ بـالـقـيـدـ وـالـظـلـمـ وـالـعـسـفـ .

لقد ذـكـرـتـ سـابـقـاًـ مـاـ حـدـثـنـاـ بـهـ التـارـيـخـ ، مـنـ أـنـ الـمـرـأـةـ كـانـتـ عـلـىـ جـانـبـ كـبـيرـ مـنـ الـاضـطـهـادـ وـالـذـلـ وـالـمـهـانـةـ عـنـ جـمـيعـ الـأـمـ وـالـشـعـوبـ ، وـخـلـاـصـةـ القـوـلـ : اـنـهـاـ كـانـتـ : عـنـ الـعـرـبـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ سـلـعـةـ تـبـاعـ وـتـشـتـرـىـ ، لـيـسـ لـهـاـ أـيـ اـعـتـرـاضـ عـلـىـ حـيـاةـ الذـلـ .

وـعـنـ الـفـرـسـ : يـنـظـرـوـلـيـهاـ نـظـرـةـ كـلـهـاـ اـحـتـقـارـ وـازـدـرـاءـ .

وـفـيـ الـصـينـ : الـمـرـأـةـ شـيـءـ تـافـهـ بـالـنـسـبـةـ لـلـرـجـلـ ، تـتـلـقـىـ الـأـوـامـرـ وـتـنـفـذـهـاـ .



وعند المصريين : بغاية الانحطاط والذل .

وعند اليونان : أنها رجس من عمل الشيطان .

وعند الرومان : على جانب عظيم من الذل والاحتقار .

وعند الاشوريين : مادة الاثم - وعنوان الانحطاط .

كذلك كانت المرأة السومرية - والبابلية - والاکادية - والساسانية وغيرها من الشعوب التي كانت لها حضارات .

وظلت المرأة تتخبط في الظلم حتى ظهر الإسلام .

فالإسلام هو الخطة الوحيدة المستقيمة ، والطريق الناجح ... والإسلام يجمع نظمه وقوانينه هو الحل الوحيد ، الذي رسم للمرأة طريقةً محدوداً ، وانهجاً منهاجاً صحيحاً ، وخط لها درباً واضحاً ، وأبان لها دورها في الحياة ومدى مسؤولياتها في المجتمع ، واظهر قيمتها متزلفتها مع الآخرين ، وسن لها في القوانين حقوقاً وواجبات ، وأعطى لها ما لم يعطه من قبله ولا من بعده أحد من الأمم والشعوب .

جاء الإسلام هادياً للبشرية منقذاً لها من الضلال والشرك مصدقاً للعلم والعقل حانياً على اكتشاف اسرار الكون والسيطرة عليه لذلك سمي دين الفطرة ودين العقل .

جاء الإسلام ، حاملاً دستور الحق والعدل والإنصاف نامراً لواء الحبكة والأخوة والمساواة ، ناصراً للضعيف المظلوم على القوي الظالم .

ففي آداب الإسلام وآخلاقياته ومعنوياته ، ما يقوم بأعظم دستور للحياة ، في أروع صور الحياة واسهامها ، وللحضارة في أرقى ما تصل إليه الحضارة ، يصوغ المعاملات ، وال العلاقات الحياتية على العدل والإنصاف (ان الله يأمر بالعدل



والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)^(١) . ويبحث على السلوك الإنساني والعمل بالحق ، وعلى طريق الخير والديمقراطية ، ومحاربة الاستبداد والدكتاتورية ، ولا يضع قيوداً على عقل الإنسان أو يحول دون تقدم الفكر . ولا يكبل الإنسان بالزهد والتقصيف . قال تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)^(٢) ولا يرضى أن يسلم الإنسان نفسه للترف والتمتع ، قال تعالى : (وكلوا واسربوا ولا تسرفووا انه لا يحب المسرفين)^(٣) .

والمبادئ الإسلامية تقوم على المحبة ، وهي الأخوة والتضامن قال تعالى : (إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)^(٤) . وتقوم أيضاً على الرحمة والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، والعمل الصالح في سبيل الله قال تعالى : (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقووا بآيديكم إلى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين)^(٥) . وكذلك تحدث على التعاطف والتعاون قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)^(٦) وكذلك تحدث هل الالتزام بالمسكارم والتسابق للفضائل والتجنب للرذائل ، قال تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عالم خبير)^(٧) .

(١) سورة النحل - آية : ٩٠

(٢) سورة الاعراف - آية ٣٢

(٣) سورة الاعراف - آية ٣١

(٤) سورة الحجرات - آية ١٠

(٥) سورة البقرة - آية ١٩٥

(٦) سورة المائدة - آية ٢

(٧) سورة الحجرات - آية ١٣



ولم تقتصر التعاليم الإسلامية على فئة معينة من البشر ، بل تعدتها إلى جميع الأمم والشعوب .

فالاسلام أعز المرأة ، وانتشلها من حضيض الذل ومرارة الحرمان ، وجعل لها المكانة العليا في المجتمع ، ثم بعد هذا ، ساوي بين الرجل والمرأة في أكثر الحالات .

ان الشريعة الإسلامية هي الوحيدة التي منحت المرأة الكثير من الحقوق والواجبات ، وحباها الرسول العظيم ﷺ بفيف من الرعاية والعناية واللطف ، ووضعها في المكان اللائق بحالها .

قال تعالى : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقات والصادقات الصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والصادقين والصادقين الصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكريات أعد الله لهم مغفرة وأجرأ عظيمها »^(١) .

وقال تعالى : « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيِّدُهُمْ مُّهَمَّا اتَّخَذُوا إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »^(٢).

وقال تعالى : « وعده الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنــات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » ^(٣) .

(١) سورة الأحزاب - آية - ٣٥

(٢) سورة التوبة - آية - ٧١

٧٢ - آية - (٣) سورة التوبة

ثم ان الاسلام أمدَّ المرأة المسلمة بالشعور بالشخصية المستقلة ، المزودة بعكارم
الأخلاق ، والطموح الى العزة والكرامة ، حيث أخذ النبي ﷺ البيعة منها
مستقلة كالرجل ، قال تعالى : « يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبأعنك على أن
لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهم تان
يفترىنه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبأعنهم واستغفر لهن الله
ان الله غفور رحيم » (١) .

وفي الحث على التضامن مع رفع مستوى المرأة قال تعالى : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعوضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرت عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب » ^(٤) .

هذا من الناحية الاجتماعية ، وأما من حيث الارث والعمل في اكتساب المال والرزق الحلال ، فقد فرض لها الاسلام فرضاً معلوماً من الارث ولم يحرمها .

قال تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثُر نصيبياً مفروضاً »^(٣) .

ثم أعطاها الاسلام حرية التصرف بـ: لديها من أموال ، والتكتسب به عن طريق الحلال ، قال تعالى : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واستلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليها » (٤) .

(١) سورة المتحنة - آية - ١٢

(٢) سورة آل عمران آية - ١٩٥

(٣) سورة النساء - آية - ٧

٣٢ - آية - سورة النساء (٤)



إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الصريحة التي تحفظ منزلة المرأة، وتزيد من كرامتها وحفظ معنوياتها ولقد احتوى القرآن الكريم على آيات كثيرة توضح ما للمرأة من حقوق وواجبات ، على أفضل واهدى وأقوم وأصلح ما يكون لكل زمان ومكان .

هذه بعض المبادئ الإسلامية والتعاليم السماوية ، التي فتحت القلوب المغلقة ، وأثارت البصائر عند ذوي الألباب ، فلم تمض بضع سنوات على بعث دعوة محمد ﷺ وظهور الشريعة الآلية السمحاء التي تفيض بالعدل والانصاف ، حتى أصبح الإسلام عقيدة الملايين من البشر .

ولم يمض قرن من الزمان حتى ارتفعت راية الإسلام خفاقة في أرجاء العالم ، واستولى أبناء البادية الاعراب على أمبراطورية كسرى وقيصر .



حول حرية المرأة في الإسلام

جمعتنا الصدف في بيت إحدى الصديقات ، وكان عندها جم غفير ، ضم عدداً غير قليل من ذوات الفهم والعلم والأدب والثقافة العالية .

دار النقاش ، حول تاريخ نهضة المرأة المسلمة وما لاقت في حياتها من عقبات ومتاعب .

علا الضجيج وزادت الجلبة والضوضاء كل يبدي رأيه في حال المرأة ، وتطوراتها في ظل التشريع الإسلامي . وتفرقوا شيئاً بين مادح لوضعها ... وناع عليها .

وانبرت إحدى الحاضرات ، وهي من المسلمات ، المثقفات ثقافة عالية لكنها ويا للأسف ... من جملة النساء المخدوعات بتزويق كلام يرقصه جماعة من المحدثين والمستهرين .

راحت تلك الاخت المثقفة تهاجم الشريعة الإسلامية بحماس زائد ، مدعية أن الإسلام بتشريعاته القاسية ، وقوانينه الصارمة ، قد ظلم المرأة ، وأن علماء المسلمين قد أجهضوا بحقها .

حبسوها ... قيدوها ... ضيقوا عليها ... حرمونها الحرية والنور ... جعلوها منبوذة في المجتمع ... خاملة الذكر ... متبرجية ... حبيسة الجدران ... مخدرة ... مستعبدة . إلى آخر ما هنالك ، من نعوت وأوصاف .



أجبتها بكل هدوء : خففي من غلوائك اختفاء ، ولا تجعلني للشيطان
عليك سيدلا .

لا داعي للتحدي أو المهاجمة ، فإني على استعداد قائم ، لكي أشرح مبينة
للك ، ولغيرك وضع المرأة المسلمة ، نصف الهيئة الاجتماعية .

ولا أسلم للعواطف التي طالما حملت الكثير من الناس على ذكر الحسنات
دون السيئات متى تحدثوا عن أقوامهم .

(وليس في التشريع الإسلامي سيئات) .

وإني أبذل جهدي ، لشرح وتوضيح كل فقرة أو كلمة مما تقولين وتنكررين
ليتضح ما خفي عليك وعلى أمثالك من المخدوعات والمخدوعين لا تأخذني في الله
لومة لاثم (قل الحق ولو على نفسك) .

كا وأرجو من أخواتي الحاضرات أن ينظرن بمنظار الحق واعتبارهن امة
وسطاً تحكم بالعدل .

وإن الغاية من موقفي هذا هو كشف النقاب ، عن وجه تطور المرأة المسلمة
من النواحي الأخلاقية والثقافية والاجتماعية ... وغيرها .

وذلك في غضون تعاقب العرب ... والفرس ... والترك ... وغيرهم ، على
الحكم في الامبراطورية الإسلامية .

وكذلك في ظروف تداول السلطة بين العرب ... والبربر ... في المغرب
والأندلس حتى نصل إلى تبيان التطور الذي أصاب الأمة الإسلامية في
تلك المراحل .

وللансجام مع الواقع ، والمحافظة على الوجه الإسلامي الصحيح من أن
تشوهه الأضاليل ، أبذل الجهد في تحليل ما يقتضيه الواقع ، من بحث وتدقيق
وتنقيب وتحقيق ، للوصول إلى الغاية المرجوة بكتابي هذا .



وإنني الآن أتناول ، أولاً موضوع حرية المرأة ، شارحة لأي مجال أعطاها الإسلام من الحرية والانطلاق .

وإنني إذ أكتب أرى أنه ليس من الضروري ، أن تكون عباراتي مسجعة ، منقحة في غاية البلاغة وتنعدم معها إمكانيات العطاء الذاتي كما يفعل البعض .

ولما حرصت على أن تكون هذه العبارات سهلة سلسلة يستسيغها القراء ، مع حسن التنسيق وسلامة التعبير .

الحرية ... والمساواة :

السؤال الذي يتتردد على لسان حاملي لواء المطالبة بحقوق المرأة المسلمة ، شعارهم : نحن نطالب بالحرية ... والمساواة ، لنمضي في ركب الحضارة والمدنية ، شأن النساء الأوروبيات .

وكان صيحة محمودة ، ومطالبة صارخة ، إن هناك من الحقوق المغبونة ، والظلم الواقع على رأس المرأة المسلمة ، لأن الإسلام لم ينصف المرأة ، عندما جعلها دون الرجل ، وسلطه عليها .

والحق يقال : إن جمیع ما يتshield به دعاة المدنية ، ما هو سوى بعد عن الحقائق ، وتقليل أعمى ، درجت عليه المرأة الشرقية ، وارتضته المسلمة لنفسها ، بالإضافة إلى ما ارتضته من نفائص وسخافات مستوردة من البلاد الأجنبية ، وقلدتها راضية مرضية .

إذا كانت المرأة الأجنبية ، تطالب بحقوقها ، فهذا أمر راجع لاعتبارات كثيرة ، اقتصادية ... واجتماعية ... وتربيوية ، التي كانت تعاني منها عندما كانت ترسف بالقيود ، وتتخبط في الظلمات .



وما شأن المرأة المسلمة بهذه المطالب؟؟ مع العلم أن الإسلام أنصفها وأرضها، وأعطها حقوقها كاملة غير منقوصة .

لا يخفى أن المرأة في البلدان الأجنبية ، من شرقية أو غربية قد مرّت بأشواط قاسية .

ففي العصور المظلمة التي تختبئ بها المرأة ، كثُر الجدل حول حقيقتها إنها بشر ... أم شيطان ... وهل تحتوي نفسها على الخير كالرجل ؟ أم أنها بشر ؟ فضلاً عن أن الرجل كان يقودها ويبيعها في السوق ، وهي راضخة ، قانعة بوضعها مكتفية بإتفاق الرجل عليها .

وبعد قيام الثورة الصناعية في جميع البلدان ، وإنشاء المصانع والمعامل والشركات تبدل الأوضاع ... وتفاوتت الاعتبارات .

لقد أسدت الثورة الصناعية ، خدمات كثيرة إلى بني الإنسان ، ولكنها من جهة ثانية ، أساءت إلى المجتمع الأخلاقي ، الذي أخذ بالتفكك والانحلال تدريجياً . حيث أصبح الفرد لا يهتم إلا بنفسه ، ثم إشباع ذاته وحاجته وانغماسه في الملل . لأن الثورة الصناعية أدّت إلى نشوء طبقتين الطبقة الأولى : أرباب العمل وهم الأغنياء الذين أفسد الترف أخلاقهم ، والطبقة الثانية : العمال وهم الفقراء الذين أحجموا الحرمان للهث وراء المال لسد حاجتهم ، ويكون المثل الأعلى يومئذ للرجل الناجح هو الرجل الغني .

صرف المرأة حينئذ نفسه وتفكيره وطاقاته وجهوده عن كل شيء إلا الحصول على المال ، بأي وسيلة ، ومن أي طريق .

كان من الطبيعي أن تدخل المرأة في ميدان العمل ، لإعالة نفسها ، ولكنها الجانب الضعيف الذي ينحني عادة للأقوى ، في كل زمان ومكان إذا لم يكن هناك رادع ديني ... أو أخلاقي .



نزلت المرأة الى ميدان العمل ، وعملت مع الرجل وقامت بنفس الجهد أو أكثر، ولكن بأجر أقل من الرجل، جهد كثير، وأجر قليل وكرامة غير محفوظة .
وأخيراً تهافت تحت وطأة الحاجة والعز بنفسها وشرفها .

هذا واقع أكثر النساء الأجنبية اللواتي ت يريد تقليدهن والاقتداء بهن، المرأة المسلمة ، والزمرة التي تطالب بحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

هذا واقع النساء المتحرّزات الاوروبيات او الاجنبيات . وهذا ما دعاهن إلى شق عصا الطاعة ، والتنفيس عما يعانيه من جور وحرمان واضطهاد .

قامت النساء ، يطلبن حريتهن وحقوقهن المضومة ورفعت الأصوات ... وزادت المطالبة بالحرية والمساواة ...

وتمَّ للمرأة ما أرادت ، ولكن هل حلّت المساواة والحرية مشكلتها ؟

وهل حققت لها السعادة ؟؟

هل رفعتها في نظر الرجل ؟؟

هل صارت نفسها ... وشرفها ؟؟

لا ... وألف لا ... هذه صفحهم كلها تشهد وتقول : صحيح ان قانون المساواة حق المرأة للكسب المادي ، ولكنه سبب زيادة في الطلاق وأدى الى تفكك الروابط العائلية ، بسبب غيابها عن البيت ، وابتعادها عن أطفالها وعدم رعايتها ، والاعتماد على دور الحضانة .

وماذا يجدي الكسب المادي ؟ إذا كان الأم بعيداً عن البيت ؟؟

والاطمئنان مفقوداً !

« اطمئنان الزوج ... الأم ... الأطفال ... »



جاء في مجلة (شجرة الدر) في الجزء السادس من السنة الأولى نقلًا عن جريدة (الاسترن ميل) بقلم الانكليزية الشهيرة (آني رورد)^(١) « إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم ، فذلك خير وأخف بلاء ، من اشتغالهن بالمعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد .

ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، حيث الحشمة والمعفاف ... والطمارة رداء الخادم ... والخادمة اللذين يتنهان بأرغد عيش ويعاملان معاملة رب البيت ، ولا يمس عرضها بسوء ..

نعم ، إنه عار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها ، مثلًا للرذائل ، لكثره مخالطة الرجال ، فما لنا لا ننسى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية ، من ملازمة البيت ، وترك أعمال الرجال للرجال ، سلامه لشرفها !! ، انتهى .

إن عقلاً الامم الغربية ينفرون من هذه الحال التي ضربت فيهم بجرائمها ، وفيينا نفر ، أضلهم الله على علم ... يريدون أن يفسدوا المرأة باسم إصلاحها ، ويهدموا حياتها وطبيعتها ، بسوء هذا الصنيع . فهم يحملون الناس ، بتزاويق الكلام ، على أن ينهجوا منهج الغربيين سالكين طريقتهم ، مقلدين في كل شيء ، حتى الفساد من الأخلاق . . والعادات ... والتقاليد ... ورحم الله القائل :

فلا يفسد التقليد طيب ارثكم ففي دسم الغرب اختفى ناقع السم
ولا تقربوا منهم سوى العلم وحده وعضوا على أخلاق آبائنا الشم
ولكنني أتساءل هل يجب علينا نحن المسلمات ، ان نحمل نفس
الشعارات وننهض ... وننادي بها ؟ !.

(١) عن كتاب نظرات في السفور والمحجوب - الشيخ مصطفى الغلايوني .



هل يجب علينا تقليد الآجانب من الأفرونج وغيرهم ؟ التقليد الاعمى الذي يؤدي بنا إلى المهاوية ؟

كلنا يعلم أن الإسلام أعطانا الكثير .. ولكن نحن ظالمات ، جاحدات لنعم الله سبحانه .

ما ظلم الإسلام المرأة ... ولا أجحف بحقها ، ولا أنقص من كرامتها .
ولكنه رسم لها جانبها ايجابياً عظيماً في هذه الحياة . والله سبحانه وتعالى ساوي بين الرجل والمرأة بالإنسانية والجزاء ... متساوين في الخلق : قال تعالى :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) ^(١)

إنكما متساويان أمام الله في الاعمال - الثواب - العقاب ...

(إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض...) ^(٢) .

ولكن الباري سبحانه وتعالى فرق بين الرجل والمرأة في الموضع التي تقتضيها الفطرة ... والطبيعة .

في اختي المسلمة ... عودي إلى الدين ... وإلى الحياة ... وصوتي كرامتك وشرفك ، فليس غير الإسلام يصون نفسك ويحفظها .

تحرري من هذه النظريات والسموم ، فوالله إن المستعمر يريد استعبادنا واستئثارنا ، بعد أن يضعف ديننا ، ويصرفنا عنه بشق الأساليب والخبل والمخداع واتقي الله واستعيني به .

من استuan بغير الله في طلب
فإن ناصره عجز وخذلان

(١) سورة الحجرات - آية - ١٣ .

(٢) سورة آل عمران - آية - ١٩٥ .



المساواة في العبادات :

طالب الإسلام الإنسان رجلاً كان أم امرأة ، بإنشاء نفس راقية ، وتصفيتها من نوازع النفس البشرية ، ومن أدران المادة الدنيئة ، وبالابتعاد عن صفات الروح الحيوانية . ودله على السبيل إلى ذلك . فسن له ستة ووجهه إلى طرق اسمها العبادات كقوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) ^(١) .

طلب منه الصلاة ، بان يذكر ربه انه الليل وأطراف النهار ، ويتمجد له بكرة وعشيا .

يقف بين يديه متوجماً اليه يحياته ، ساماً عن الدنيا بنفسه ، ملحاً في ملكوت ربه بروحه . فيخشع قلبه لما تنقشع الفشاوة عن بصيرته ، فيرى بوجданه عظمة الباري وقدرة الخالق ، ويكون مشدوداً اليه في كل حركاته وسكناته ، في قيامه ، وركوعه ، وسجوده .

هي الصلاة « سراج كل مؤمن » كما ورد في الحديث : « هي السلم الذي يرتفع به المؤمن متعالياً عن مفاسد الدنيا ... وهي أيضاً قربان كل تقي » .

بالصلاحة يتقرب العبد إلى ربه ، ويشف اهابه ، وتسمو نفسه وتتهاوى سدود اثانيته .

ولقد قال الرسول الاعظم ﷺ : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعده » . وقال أيضاً : « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ... وطاعة الصلاة ان ينتهي المصلى عن المعصية وفعل المنكرات . وقال الإمام جعفر الصادق (ع) « من احب ان يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل فلينظر هل منعته عن الفحشاء والمنكر ؟ فبقدر ما منعه قبلت منه » .

(١) سورة الذاريات - آية - ٥٦



ان الإنسان لو عبد الله حقاً ، ومشى على طبق التعاليم الإسلامية واتهـج
الصراط المستقيم . وعمل الخير وأمر بالمعروف وانتهى عن المنكر كان من
الصالحين ... وإلا فقد حكم على نفسه بأنه دجال منافق وقد أشارت الآية
الكريمة إلى هذا المعنى « فوويل للمصلين ^(١) الذين هم عن صلاتهم ساهون ^(٢)
وقال الشاعر :

ما قال ربك ويل للأولى سكرروا بل قال ربك ويل للمصلين
وفرض على الإنسان الصوم ، يصارع غرائزه الحيوانية لكي يتمكن من
مصارعة أهوائه الشخصية ، ورغباته الذاتية التي يعصي بها ربه إن اطاعها ،
لأنها تصطدم مع أهواء إخوته من بني البشر .

فكل منهم يرحب في امتلاك العالم وما فيه ، وتمكن في نفسه شهوة السيطرة وحب الذات . وتفيض نفسه كرهاً وحقداً لـ كل ما يقف في طريق تحقيق مرادها .

ومن الناس من يسلك للحصول على المال طرقاً ملتوية لا تقرها الشرائع والأخلاق ، ولا يكتفي بالحلال ، ولا يبالي بالحرام . فهو جائع لا يشبع طامع لا يقنع . استعبدته شهوة المال ، وحرمه لذة الرضا والقناعة .

ولما تتضارب مصالح الإنسان مع مصالح أخيه ، يضطر من أجل ارضائهما
ان يظلم أخاه ليرمي بانسانيته عرض الحائط . وكما قال الشاعر :

فالصيام يفرض عليه مصارعة غرائزه الحيوانية من أكل وشرب وجنس
الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

(١) سورة - الماعون - آية - ٤

(٢) سورة - الماعون - آية - ٥

وغير ذلك ، فإن استطاع اعانه ذلك على السيطرة على نوازع النفس وشهواتها ، فيسلك طريقةً مستقيمةً مطيناً لله ، متبعنباً معاصيه . وإلى ذلك يشير الحديث « الصوم جنة من النار » .

طلب الإسلام من الجناحين ... الرجل والمرأة ، على السواء ، تنقية النفس وتطهير الذات ، لسمور وهي عال وترفع عن دنس دنيء .

وعلى حد سواء طلب منها الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي عمود الدين وقد ورد في الحديث الشريف : « الصلاة معراج المؤمن يعرج بها إلى ملائكة ربها بنفسه وروحه وقلبه » .

وجميع العبادات من صوم وصلاة ... وحج وزكاة وجهاد في سبيل الله ، هي دروس للإنسان كيف ينشيء نفسه نفساً قوية وشخصية فذة ، وكيف يسيطر على هواه ورغباته ... ويفبدأ بجهاد نفسه . وكيف يوجهها في سبيل خير المجتمع وسعادته .

فإذا أخلص الله عمله ، رغب في كل ما يتقرب إليه ، تراه بهمة عالية بقطع الفيافي والقفار والمسافات البعيدة ليتمثل ما أمره الله تعالى به : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ^(١) .

فيطوف حول البيت ويسعى بين الصفا والمروة يدعوا الله بقلبه ولسانه بجواره ان يخلصه من الشرور والآثام .

وترامهم رجالاً ونساء في هذا المؤتمر العظيم يهتفون ويلبون بصوت واحد : « لبيك اللهم لبيك » .

ممثلين لدعوة ربهم لما نديهم في قوله عز من قائل : « واذن في الناس بالحج

(١) سورة آل عمران - آية - ٩٧ -



يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويدركوا
اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها
واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تقشهم ولليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت
العتيق » ^(١) .

وذكر الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن : يأتوك رجالاً –
أي مشاة على أرجلهم (وعلى كل ضامر) أي ركبانا .. (ليشهدوا منافع لهم)
قيل يعني بالمنافع التجارات – عن ابن عباس وسعيد بن جبير .

وقيل التجارة في الدنيا والاجر والثواب في الآخرة عن مجاهد وقيل : هي
منافع الآخرة ، وهي العفو والمغفرة – عن سعيد بن المسيب وعطاء العوفي وهو
المروي عن أبي جعفر الباهر (ع) ...

وخلاله القول : لم يحرم الله سبحانه المرأة من هذا الثواب العظيم والاجر
الجزيل ، وهذه التجارة الرابحة .

وفسح لها المجال للمشاركة في هذا المؤثر العظيم الذي يجتمع فيه الناس من كل
حدب وصوب ، ومن كل لسان و الجنس ولون ... من أصقاع المعمورة .

لا بل أوجبه عليها كما أوجبه على الرجل ان تمت شرائط الوجوب . وهي
القدرة ... والاستطاعة وذلك لاطلاق قوله تعالى : « واذن في الناس ... » ولم
يقيده بالرجال أو النساء بل قال : (من استطاع اليه سبيلا ..)

انها العدالة الاجتماعية ، والمساواة الإسلامية ، والحكمة الآلهية « يا أيها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان
أكرمكم عند الله اتقاكم » .

(٢) سورة الحج - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩



فالتقى هو ميزان الكرامة ، والقرب من الله . لا الذكرة .. ولا الانوئه .
فمن اخلص لله عمله ورحب في كل ما يقربه إلى الله ، وسار على هدي التعاليم
السماوية في خدمة المجتمع العام متربعاً إلى خالقه ... نال السعادة الابدية
« احبكم إلى الله انفعكم لعياله » .

وبروح سامية يضرب بهواه في حب المال عرض الحائط « المال والبنون زينة
الحياة الدنيا » فيخرج خس أرباحه وزكاة أمواله ، ان الله شارك الفقراء في
أموال الأغنياء ، متربعاً بذلك إلى الله لا يغري منها إلا وجهه . ولا يريد
إلا رضاه .

هكذا طلب الإسلام من المرأة والرجل . التعاون من أجل إنشاء الحياة
السعيدة المطمئنة الهدئة . والمرأة ان استطاعت تصفية نفسها وتنقية ذاتها
وتطهير قلبها كانت هادئة مطمئنة تؤثر تأثيراً مباشراً بعيلها الصاعد ... باطفالها
وأولادها وتبعث فيهم النفس الصالحة .



في محيط المرأة — باب المساواة

يقول محمد العشاوي^(١) لقد قرأت كلاماً القى في شعبة هيئة الامم جاء منه : « أن المرأة الشرقية ما تزال محجوراً عليها ، وان هناك فوارق وفواصل بينها وبين الرجال ، وإن مرد ذلك الى الدين الإسلامي ، ووقفه عقبة في سبيل نهوض المرأة ومسواتها بالرجل الخ » .

حقاً لقد مرت بالأمة الإسلامية فترات من الظلم ، أصاب المرأة فيها جانب من الحيف والإخضاع ، ولكن ذلك شذوذ اجتماعي وحيف من قبل القيادة والحكام ، يعرض لكثير من الامم في بعض عصورها لعوامل طارئة ولا يلبث أن يزول .

فمن الحق عليّ أن أجهر بأن الإسلام أول من مكّن المرأة في المجتمع الإنساني ، فليس بجهول أن المرأة حين بزوغ نور الإسلام كانت في حضيض الذلة والانحطاط . ينكر عليها حق التوريث ، ويؤبى عليها أن تشتراك في أي نظام من نظم المجتمع .

فأعلن الإسلام مسواتها بالرجل ، إذ رسم لها فروضاً واحدة في العبادات والمعاملات ، وجعلها بمنزلة واحدة في الحقوق والواجبات .

نرى القرآن يخاطب المرأة والرجل على حد سواء ، في شؤون العاجلة

(١) عن مجلة الأزهر - الجزء الخامس - المجلد التاسع عشر - ص - ٤٢٨ - ٤٢٩ .



والآجلة ، قال الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى » وقال تعالى : « المسلمين والصلوات الصابرين والصابرات ... الخ » ونراه يبيّن أننا نشأنا جيّعاً من نفس واحدة وأننا افترقنا جنسين لكي نؤلف شطري المجتمع البشري .

ونراه يعتز بالأسرة ويعبر عن الزواج بأنه الميثاق الغليظ . ونراه يدعو إلى المساواة بقوله : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » .

وان في حياة الرسول صلوات الله عليه ما يدلّنا على أنه لا فرق بين امرأة ورجل في حق أو واجب . فقد بايعه النساء كما بايعه الرجال ، وقد استفتنه في شؤونهن كما استفتاه الرجال ، وفي عهد عمر كان الرجال والنساء جيّعاً يدعون إلى الاجتماعات العامة .

وما أن شُقَّ طريق الجماد ، حتى انفتح للمرأة المسلمة باب وقفته فيه موقفاً إنسانياً يتعطر به ذكر التاريخ .

وما أن تخلقت حلقات العلم وطلبت رواية الحديث ، حتى اشترك النساء بالسهم الوافر ، فرويت عنهن الأحاديث ونقل عنهن الشرع ولم يخف أثرهن في سياسة أو اجتماع ... انتهى .

أطلق الإسلام حرية المرأة في جميع نواحي الحياة ، ولو وزنت أيها القارئ الكرييم بين شرائع الغرب والشرق وشريعة الإسلام لتجلّى لك أن الإسلام أحر بالمرأة وأكفل حقوقها وأكثر افساحاً لحريتها من جميع الشرائع .

وما لا ريب فيه أننا نحييـا في ظل التشريع الإسلامي العظيم الذي حفظ للمرأة ما تطمح إليه من الحقوق .

وإذا كانت المرأة قد لقيت في بعض العصور اعناتاً وإيجحافاً ، فليس الذنب ذنب التشريع الإسلامي . وإنما هو ذنب الذين حرموا المرأة حقوقها المكتسبة .



لذلك يجب علينا أن نستقي الحقوق والفرائض من منابعها الأصلية الصافية .
قبل أن تقدرها عهود العنت والشذوذ الاجتماعي .

« يقول محمد العشاوي ^(١) : بماذا تطالب المرأة ؟ .

بالميراث ؟ : لقد فرض عليها الإسلام أن تتعلم .

بالميراث ؟ ، لقد أعطيت نصف حظ الرجل ، وليس هذا فيه تمييز للرجال ،
وأكاد أقول : إن فيه محاباة للمرأة . فعلى الرجل تقع أعباء النفقات ،
فإن كان ثمة غنم يقابلها كبير غرم . وكيف لا وقد رفعت عن المرأة أثقال
الانفاق على نفسها وعلى ذوي قرابتها . !؟

ومن الإنصاف إذا أردنا الحكم على شيء أن نحكم عليه مجتمعًا متصلًا بقدراته
ونتائجه .

بقي للمرأة مطالبتها بالحقوق السياسية ، فهل حرمتها الإسلام تلك الحقوق ؟

كلا بل أباح لها أن تباشر مختلف الاعمال . ويقول العشاوي أيضًا :

« وحسبنا دليلاً على حق المساواة وانه طبعي لا ريب فيه أن الريف
المصري يضم ١٥ مليون يعمال نصفهم من النساء عمل الرجال يجانب عملهن
الخاص . وليس بعد هذا برهان على استطاعة المرأة العمل في الميدانين :
الخاص والعام .

ولكن الريفية لم تتنقّف ولم تتعلم ، ولذلك تعاني ضعفاً في القيام بمهنتها التي
تبذل فيها جهدها كلها . »

من العدل تكليف كل عنصر حسب قدراته وحاجاته ، لأن العدل هو وضع
كل شيء موضعه .

(١) مجلة الأزهر - الجزء الخامس - ص - ٤٣٠ .



فالقانون العادل والمشرع الحكيم ، هو الذي يعطي المرأة حسب تركيبها النفسي والجسدي ، لا يزيد على ذلك حتى لا يكون هضماً لحقوق الآخر ، وتكليفها بما لا تطيق ، أو إنقاذهما من حقوقهما فيكون هضماً لها وإنحصاراً بحقها .

فالمهرمونات التي تفرزها الغدد الصماء لدى الرجل تؤثر في تكوينه الفزيولوجي وتعطيه قدرات جسمانية وقوة جسدية تؤهل له لممارسة أعمال شاقة مرهقة .

وهذه الهرمونات لا تملكونها المرأة ، مما أدى بها إلى بنية ضعيفة وإلى عدم تحكّمها من مباشرة أعمال الرجل ، نظراً إلى نقصان قوتها الجسدية عنه .

وبال مقابل حبها الباري عز وجل بحنان فياض وقلب رقيق ، يتحقق لكل من يستحق العطف والشفقة ، وهذا أكثر بكثير من عطف الرجل . مما جعلها مؤهلة لأن تقوم بدور المربى للجيل الصاعد . وتكون مربية لأبنائهما تعطيهما من الحنان والعطف ما لو فقدوه لأنتج المجتمع انساناً مجرمين .

هذا الدور الذي لو فقده الأولاد من قبل الأم ، لا يتمكن الرجل من القيام به ولو قصد ، وذلك لفقدان المؤهلات .

فامرأة قد حبها الله رسالة جليلة هي إنشاء الجيل وتوجيهه فيجب أن نعدّها لتأدية تلك الرسالة على خير الوجه .

ولكي ندرك قيمة إعدادنا لها ، يجب أن نتمثل أن أبناءنا إذا نشأوا في بيئة جاهلة ، رضعوا الجمال والخجل فلا تزداد بهم الأمة إلا ضعفاً على ضعف ، والأمم لا تقايس مكانتها بعدد أبنائها وإنما تقايس بما لهم من كفاءات ومزايا وقوى في معرك الحياة .



وما دمنا لا نعني بإعداد المرأة وتعليمها وتهذيبها وتهيأتها للاخراج الجليل
الصالح ، القوي بأخلاقه ، السليم في عقله وجسمه ، فإنه لا رجاء في نهوضه .
وسنبقى نعيش في فوضى ، ونسير بشق مائل نتعثر في خطأنا ، ونستهدف
للتداعي والسقوط .

فلتتعاون المرأة والرجل فإنه لا خير في مجتمع لا يتعاون فيه الجنسان معاً ،
وليكن العمل صالحًا كل واحدٍ بحسب فطرته وطبيعته .



نزول المرأة الى ميدان العمل

لقد اهتم الاسلام بالمرأة ، وأعطتها حقوقها كاملة غير منقوصة ، ورفعها إلى مصاف الرجال ، فهي مع الرجل في جميع ميادين الحياة .

لم يرد في النصوص الشرعية المعتبرة ، والتي يعتمد عليها ، ما يحرم على المرأة أن تعمل وتكتسب ، ولا ما ينفي وجودها في ميادين العمل .

ليس من التعاليم الإسلامية ولا من قوانين الشريعة السمحاء ، ابتعاد المرأة عن الحياة العملية ، وإنما هو من تضليل المضللين وإسداهم الستار على الأحكام الشرعية الواضحة في حين لوثت العادات والتقاليد المستوحة من المجتمعات غير الإسلامية نقاءها وصفاتها ، وأسدلت عليهما نقاباً من التشويش والتشويه والتضليل .

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : « للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن واستروا الله من فضله إن الله كان بكل شيءٍ علیها »^(١) .

وقال سبحانه وتعالى : « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشو في منها كثباً وكلوا من رزقه وإليه النشور »^(٢) .

ولكن إذا أمعنا النظر ، وتصفحنا التاريخ ، نرى أنه عندما غمر بلاد

(١) سورة النساء - آية - ٣٢ .

(٢) سورة الملك - آية - ١٥ .



ال المسلمين (الامبراطورية الاسلامية) طوفان الجواري والاماء ، واستخدمت هذه الجواري للهـ . . . و المـ . . . و . . . و

في ذلك الوقت اضطر المسلمون الأحرار إلى تمييز المرأة الجليلة الحرة بوضع اجتماعي خاص ، عزـ لها تدريجياً عن الحياة العملية ووضعـها ضمن نطاق خاص بها ايضاً .

أما الواقع التاريخي الذي يثبت مشاركة النساء للرجال في العمل ، فهو واضح ثابت ، من سيرة المسلمين في صدر الاسلام وبدهـ الدعـوة وذلك حين كان المسلمين يلتزمون في حـياتـهم الاسـنـ والـتعـالـيمـ الـاسـلامـيةـ ، بشـكـلـ صـحـيحـ وـغـيرـ مـرـيبـ ، فـكانـ أـمـاـمـهـنـ بـحـالـ العـمـلـ وـاسـعـاـ وـفـسـيـحـاـ وـمحـاطـاـ بـتـعـالـيمـ الرـسـوـلـ الـكـرـيمـ . . . وـضـمـنـ نـطـاقـ الـعـشـمـةـ وـالـعـفـةـ وـالـأـدـبـ وـالـدـينـ .

المـرأـةـ وـتـقـدـمـهاـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـاضـرـ :

جاءـ العـصـرـ الـحـاضـرـ وـمـنـ حـوـاـيـ قـرـنـ أوـ أـكـثـرـ ، أـخـذـتـ أـبـوـاـقـ الـدـسـتـاسـينـ وـالـمـسـتـهـرـينـ وـالـاسـتـعـماـرـيـنـ وـالـاحـادـيـنـ تـدقـ دـاعـيـةـ الـجـمـعـاتـ الـشـرـقـيـةـ وـخـاصـةـ الـعـرـبـيـةـ عـلـىـ الـمـطـالـبـ بـحـقـوقـ الـمـرأـةـ وـبـدـورـهـاـ فـيـ الـجـمـعـاتـ الـفـوـائـدـ الـمـزـعـومـةـ .

وـكـانـ لـتـلـكـ الـأـبـوـاـقـ الـأـثـرـ الـفـعـالـ عـلـىـ الـوـاجـهـ الـاجـتـمـاعـيـةـ ، فـتـبـدـلـتـ الـحـيـاةـ وـانـقـلـبـتـ الـأـمـورـ رـأـسـاـ عـلـىـ عـقـبـ . وـإـذـاـ بـالـمـرأـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـدـيرـ مـلـكـتـهاـ الـخـاصـةـ بـهـأـوـ دـائـرـتـهـاـ ، تـظـهـرـ الـيـوـمـ إـلـىـ الـجـمـعـ تـناـهـضـ الـرـجـلـ ، وـتـسـلـبـ مـنـهـ الـأـعـمالـ وـالـأـشـفـالـ .

وـنـتـجـ مـنـ جـرـاءـ ذـلـكـ أـنـ تـوزـعـتـ الـأـعـمـالـ ، فـإـذـاـ بـالـرـجـلـ الـذـيـ كـانـ يـدـيرـ الشـؤـونـ الـتـيـ تـخـصـهـ لـمـ يـجـدـ عـلـمـاـ يـشـغلـ بـهـ فـرـاغـهـ ، لـأـنـ الـجـنـسـ الـلـطـيفـ قدـ اـسـتـلـبـ مـنـهـ شـؤـونـ عـمـلـهـ الـخـاصـةـ بـهـ وـزـاحـمـهـ عـلـيـهـ .



وهكذا اختلط الحابل بالنابل ، وشاعت الفوضى ، ولم يعد للمرأة العمل بشؤونها الخاصة ولا للرجل العمل بشؤونه الخاصة .

وكان للمرأة التقدم على الرجل في ميادين ليس لها أي صلة بها . فتبعت الأمور وتغيرت المقاييس الأخلاقية .

لكن لكل فعل رد ، فقد أحدثت سيطرة المرأة على الكثير من المقدرات رد فعل قوي جدًا ، في جميع الأوساط العالمية .

وكان من جراء ذلك أن تنبه الكثير من المفكرين بهذا الخطر المحدق ، من زوج المرأة في بعض نواحي الحياة الاجتماعية . وراحوا يندرون بني قومهم من سوء العاقبة التي ستراقب المرأة من تركها بيتها والتحاقها في معترك حياة ليس للمرأة بها أي فائدة سوى ما ينجم عنها من مضار تورث الندم والخسران .

لا أغالي عندما أقول لبنات جنسى من أن المرأة من حيث تركيبها الجسماني لا تقوى على كأداء العيش ووعاء الأعمال ومشاق الأشغال .

لذلك نراها تتوجه دائمًا نحو الأعمال التي تتمكن من القيام بها مثل دوائر الصحة والتمريض والتربية والتعليم وأمثالها من الخدمات الإنسانية كما قالت تلك الفتاة اليابانية :

أنا إن لم أحسن الرمي ولم تستطع كفافي تقليل الظبي^(١)

أخدم الجرحى وأقضي حقهم وأواسى في الوغى من نكبا

هذه هي الحقيقة ومن يقول غير ذلك فهو مكابر ، مضافاً إلى أن المرأة بخروجها إلى معترك الحياة الشاقة يترب عليها مضار لا يمكن لأحد انكارها .

(١) الظبي جمع ظبة : حد السيف أو السنان ونحوها - المنجد في اللجد .



أولاً : تكون قد تركت أولادها عرضة للضياع والمتاهات الأخلاقية .

ثانياً : تكون قد اهملت شؤون بيتها وإدارة مملكتها وجلبت إلى نفسها متاعب هي في غنى عنها .

ثالثاً : زاحت الرجل في أعماله ، وعند ذلك لا يجد سبيلاً من الركون إلى البطالة ، فتعم الفوضى التي نشاهدتها في كثير من البلدان ، ونسمعها من كثير من الأذاعات .

وأعود فأناشد المرأة المعاصرة وأقول : هل عملها في مشاركة الرجل بالأعمال التي لا تتلائم مع طبيعتها مصلحة لها أو لوطنه أو لأولادها ؟

وأقول لها : هل إن الرجل ندبها أو دعاها لمشاركة في الأشغال اليدوية الشاقة ؟

أو دعاها إلى مساعدته في الأعمال الحربية مثلاً؟ لأنه عاجز عن القيام بالعمل الذي يخصه ورأى المرأة أقوى منه فاستجear بها ؟

كلا ... إنها أبوات الدستاسين ، وسحوم المستعمرات ...

فيما أخني المسلمـة المعاصرة أناشدك بالضمير والوجهـدان أن تفهمـي الواقع وتـسيـري في هذهـ الحياة علىـ الوجهـ الصحيحـ، ولاـ تـقومـي بـشيـءـ منـ الأـعـمالـ إـلاـ ماـ يـواـفقـ طـبـيـعـتـكـ وـفـطـرـتـكـ .

... معـ الـاحـتفـاظـ بـشـرـفـكـ وـدـينـكـ وـكـرامـتكـ ...



متى تنزل المرأة إلى ميدان العمل وكيف ؟

ان الفتاة لها ان تعمل وتكسب ، والمرأة المتزوجة أيضاً ، ولكن المتزوجة يجب عليها ان تحافظ على مهمتها الأساسية ، وهي بناء المجتمع الصالح والمحافظة على بيتها وأطفالها

ومن اجل ان تفرغ لعملها الأساسي ، فقد أوجب الله سبحانه وتعالى النفقة لها على الزوج حق لا تضطر إلى ترك بيتها ، وتعرض أطفالها إلى الحرمان العاطفي ، والجفاف النفسي الذي لا يتوفّر إلا بحنان الأم .

« ما بقاء الكون إلا بحنان الآبوبين »

لا تستطيع دور الحضانة أو المربيات أو الخادمات ، ان تعوض على الطفل حنان امه وعطفها .

إن دور الحضانة قد تربّي أطفالاً أصحاء جسدياً ، ولكن الأطفال ربما يعاني أكثرهم ، من اضطرابات نفسية نتيجة فقدان رعاية الأم الكافية .

أما إذا اضطررت المرأة للعمل ، وذلك لإعالة نفسها ، أو اعانة زوجها أو مساعدة أولادها ، فلا حرج عليها من أن تخرج إلى العمل الشريف مع اعتبار رضى الزوج واذنه إذا كانت متزوجة .

لم يحرم التشريع الإسلامي المرأة من ثمرة أتعابها ، فإن المال الذي تجنيه من عملها هو ملك لها وليس لزوجها أو ابيهما أو أحد من الناس . فالمال الذي جنته من أتعابها بالوجه الشرعي هو لها ، تتصرف به كيف تشاء .



« الناس مسلطون على أموالهم »

إن كثيراً من الناس من يستثمر جهود المرأة وثرة أتعابها كأبيها أو زوجها أو أخيها ، فهذا الاستثمار لا يقره الضمير والوجدان ، وحتى الدين إذا كان بغير رضى منها ، إلا إذا سمحـت بالعطاء .

وقد روـي عن النبي ﷺ (عندما جاءـتـهـ اـلـصـاحـبـيـةـ السـيـدـةـ رـيـطـةـ بـنـتـ عـبـدـ الـلـهـ بـنـ مـعـاـوـيـةـ الثـقـفـيـةـ . وـكـانـتـ رـيـطـةـ اـمـرـأـةـ ذاتـ صـنـعـةـ تـبـيـعـ مـنـهـاـ ،ـ وـلـيـسـ لهاـ وـلـاـ لـزـوـجـهاـ وـلـاـ لـوـلـدـهاـ شـيـءـ مـنـ حـطـامـ الدـنـيـاـ .

فـسـأـلـتـ النـبـيـ ﷺ :ـ عـنـ النـفـقـةـ عـلـيـهـمـ فـقـالـ :ـ «ـ لـكـ فيـ ذـلـكـ أـجـرـ مـاـ انـفـقـتـ عـلـيـهـمـ »ـ .



مدى صلاحيات المرأة في تحمل المسؤولية :

إذا أمعنا النظر نرى ان المغرضين والدساين ، وضعوا كثيراً من الاحاديث ، كل على حسب ميله و هواه .

ليت شعري ... اين ذوي العقل والروية ؟ من كتاب الله وسنة رسوله ، بعد ان قررا ان المرأة مخلوق سوى ، لها الأهلية لأن تتحمل كل تكليف ، سواء كان من جهة الإيمان أو الاجتماع أو التعبد لله ، أو الجihad أو الأخلاق^(١) .

فهي كالرجل في مسيرة الحياة ، وعليها تبعات كل النتائج للأعمال التي تقوم بها من جهة الثواب والعقاب ، والسمعة في الدنيا والآخرة .

كيف يمكن القول .. انه لا يصح ان تتحمل المرأة مسؤولية الجزاء وهي ناقصة العقل والإدراك ... فالإسلام أرفع وأجل .

لقد قرر لها الإسلام الحق المطلق في التصرف في كل ما يدخل في يدها من مال ، منها كان عظيم المقدار ، دون أي تدخل أو اشراف أو اذن من الرجل منها كانت صلته بها ، إلا على سبيل المشورة ، أو المشاركة في الرأي أو النصيحة .

والمرأة في الإسلام لها ان تبيع وتشتري ، وتستملك العقارات وتحوز الأموال من الكسب الشريف ، ولها أيضاً أن تزرع وتحصد وتستدين وتدين وتهب وتقبل الهدية ، وتوصي وتأخذ الوصية « تكون وصية على القاصرين » وتنوّج و تستأحر ... الخ .

(١) حسب ما يقره الشرع وتفقذه الحكمة .



وجعل الإسلام امرها بيدها ، في مسألة زواجها ان لم تكن فاصرة .
وكانت النساء تجادل الرسول ﷺ ... ومعناها انها يجوز بل يحق لها المراجعة والدفاع عن حقها .

أوجب الإسلام على المرأة ، كل ما أوجب على الرجل من التفكير والتدبر ،
في الأمور الدينية والزمنية ، وخاصة العلم والتعليم ، فهي كالرجل على قدم
المساوات « إن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولى ببعض » .

واعترافاً بشخصيتها في السياسة ، فيأخذ النبي البيعة من النساء مستقلة عن
الرجال ، ولا يصح كل هذا الفعل إلا مع فرض الأهلية التامة للمرأة .



الحجاب (*)

الحجاب هو حكم شرعي ، فرضته الشريعة الإسلامية على المرأة ، وأوجبت عليها اتباعه والالتزام به ، على الوجه الأكمل ، حسب النصوص الشرعية المستقاة من الرسالة السماوية ، (القرآن الكريم) والأحاديث النبوية الشريفة ، والأخبار الواردة عن الأنبياء والآلهة الأطهار .

لقد فرض الإسلام الحجاب على المرأة ، ليقيها الفتنة والإغراء ، وتصون نفسها وشرفها وتتحرز من كيد الكاذبين ، ومكر الماكرين ، الفسقة الذين لا يردعهم شرف ولا دين . وقد نص القرآن الكريم على حجاب المرأة ، وسترها بقوله سبحانه :

« يا أيها النبي قل لازواجلن وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من

(*) الحجاب في اللغة : هو الستر . وفي كتاب ناج العروس للزبيدي : باب حجب ... حجبه ... يحجبه (حجبها وحجبها) ستره ، وأمرأة محجوبة ، ومحجبة (للمبالغة) قد سترت بستر ..

وضرب الله الحجاب على النساء ، وذكر الزبيدي في حديث الصلاة : حتى توارت بالحجاب والمراد بالحجاب ، هنا الأفق ... أي حين غابت الشمس وراء الأفق .
والحجاب كل ما حال بين شيئاً : قال الشاعر :

إذا ما غضينا غضبة مصرية هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما



^{١١} جلابین ^{١٢} ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذن و كان الله غفوراً رحيم ^{١٣}.

وقال سبحانه وتعالي :

«وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ولispersin بخمرهن ^(٣) على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا بعولتهن أو آباءه بعولتهن أو أبناءه بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهم أو مملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتبوا إلى الله جمِيعاً إليها المؤمنون لعلكم تفلحون » ^(٤).

وخلصة معنى الآيتين الكريمتين ، أن الله سبحانه وتعالى أمر المرأة المسلمة بلبس الحناء والمحجوب ، فسترها بما أمرها الله بستره عن نظر الرجال الأجانب ، وإن كانوا من عشيرتها أو أقاربها إلا ما نص عليه التنزيل ، ما هو إلا صيانة لعفتها وشرفها .

فإله سبحانه وتعالى ، أمر المرأة بأوامر ترجع مصلحتها الدنيوية فضلاً عن
الأخروية ، لتعيش في سعادة وهناء .

(*) عن بجمع البحرين - للطريحي : الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب الواسع اوسع من الخمار ودون ازرداء تلويه المرأة على رأسها . وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل الجلباب هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء او غيره ومعنى يذين عليهم من جلابيبين : أي يرخيونما عليهم ويفطئن بها وجوهمن وأعطافهن - أي اكتافهن .

(٢) سورة الأحزاب - آية - ٥٩ .

(٣) عن كتاب بجمع البحرين للطريحي: قوله : فليضر بن بخمرهن - أي مقانعهن - جمع خمار وهي المقنة ، واختهرت المرأة أي لبست خمارها وغطت رأسها .

(٤) سورة النور - آية ٣١

إن الدين الإسلامي حافظ على القيم الأخلاقية ، يجمع صفاتها ، فلم يدع مزية حسنة ، إلا حرّض الإنسان عليها وحثّه على اتباعها .

بعض الأخبار الواردة في الحجاب :

إن الأخبار الواردة في الحجاب ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار متواترة وكثيرة لا يمكن استيعابها في هذا الفصل القصير .

لكن لا بد لنا ونحن نكتب من ذكر بعضها ، على سبيل المثال ، او الشاهد ليتبين مدى اهتمام الشريعة الإسلامية السمحاء بالحجاب للمحافظة على القيم الأخلاقية السامية .

في كتاب الوسائل^(١) عن جابر بن عبد الله الانصاري ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد فاطمة ، وأنا معه . فلما انتهينا إلى الباب وضع يده عليه ، فدفعه ، ثم قال : السلام عليكم ، فقالت فاطمة عليها السلام : وعليك السلام يا رسول الله ، قال : أدخل ؟ قالت : ليس على قناع ... فقال : يا فاطمة خذى فضل ملحتك ، فقنعي به رأسك ... ففعلت .

وفي كتاب مستمسك العروة الوثقى^(٢) عن جماعة ، مستندين في ذلك إلى صحيح الفضيل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الدراعين من المرأة . هل هما من الزينة التي قال الله تعالى : « ولا يبدِّن زينتهن إلا لبعولتهن » ؟ .

قال : نعم ، وما دون الخمار من الزينة ، وما دون السوارين .

(١) وسائل الشيعة - لأبي العاملية - ج - ٧ - ص - ١٥٨ .

(٢) مستمسك العروة الوثقى - السيد محسن الطباطبائي الحكيم - ج - ١٢ - ص - ٢١ .



و ظاهر أن ما ستره الخمار هو الرأس والرقبة ، والوجه خارج عنه ، وان الكف فوق السوار لا دونه ، فيكونان خارجين عن الزينة ... الخ .

وفي كتاب العروة الوثقى :

« لا يجوز النظر إلى الأجنبية ... ولا للمرأة النظر إلى الأجنبية من غير ضرورة ... واستثنى جماعة الوجه والكفافين ، فقالوا : في الجواز فيها مع عدم الريبة والتلذذ . »

وفي كتاب الوسائل للحر العاملي : ^(١) عن الفضيل قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الذراعين من المرأة ، هما من الزينة التي قال الله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن » قال : نعم ؛ وما دون الخمار من الزينة . وهما دون السوارين .

وفي صفحة ١٤٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الوجه - والكفاف والقدمان .

وعن مساعدة بن زياد قال : سمعت جعفرًا قال : وسئل عما تظهره المرأة من زينتها ، قال : الوجه والكفاف .

وفي منهاج الصالحين : يجب على المرأة ستر ما زاد على الوجه والكفاف ، عن غير الزوج والمحارم ، بل يجب عليها ستر الوجه والكفاف عن غير الزوج حتى المحارم مع تلذذ ... بل عن غير المحارم مطلقاً على الاحتوط ^(٢) .

(١) وسائل الشيعة - للحر العاملي - ج - ٢ - ص - ١٤٥ .

(٢) منهاج الصالحين - السيد أبو القاسم الموسوي الحنفي .



و جاء في كتاب الترغيب والترهيب : « عن عائشة (رض) أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رفاق ، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المenses ، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا ... وهذا ... وأشار إلى وجهه وكفيه » ^(١) .

و جاء في الوسائل أيضاً ^(٢) .

رواية عن أبي جعفر قال :

« استقبل رجل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة ، وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن ، فنظر إليها وهي مقبلة ، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سماه ببني فلان فجعل ينظر خلفها ، واعتبر وجهه عظيم في الحائط ... أو زجاجة ، فشق وجهه .

فلما مضت المرأة ، نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره فقال :
والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، وأخبرـنـه ... فـأـتـاهـ ...
فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، قال : ما هذا ؟ ! فـأـخـبـرـهـ ...
فـهـبـطـ جـبـرـيـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـهـذـهـ الآـيـةـ :

« قـلـ لـلـمـؤـمـنـينـ يـغـضـبـواـ مـنـ أـبـصـارـهـ وـيـحـفـظـواـ فـرـوجـهـمـ ذـلـكـ أـزـكـىـ لـهـمـ إـنـ اللهـ خـبـيرـ بـمـاـ يـصـنـعـونـ » ^(٣) .

(١) الترغيب والترهيب - لالمذري - ج - ٤ - ص - ١٦٤ .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي - ج - ٧ - ص - ١٣٨ .

(٣) سورة النور - آية - ٣٠ .



وعن عائشة (رض) قالت: دخلت عليّ ابنة أخي لامي، عبدالله بن الطفيلي، مزيئنة ، فدخل النبي صلی الله علیه وسلم ، فأعرض ، فقلت عائشة : يا رسول الله ابنة أخي وهي جارية . فقال : « إذا عركت المرأة - أي حاضت - لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها وإلا ما دون هذا - وقبض على ذراع نفسه ، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى ١١ .

دعاة السفور وأثرهم السيء على الأخلاق :

لا يخلو زمان من الأزمان ، من أناس فاسدين ، ضالين مضلين يزرعون بذور الفساد في النفوس البريئة .

وهما هم اليوم يتقولون : إن الإسلام ضرب الحجاب على المرأة لتكون رهينة البيت ، وضمن نطاق الجدران لا تصلح إلا للخدمة ، إذ لا يمكنها وهي محجبة الانسجام مع الأجيال المتطرفة والمدنية الحديثة .

وقبل كل شيء لا بد لنا من طرح بعض الأسئلة على محبي السفور ، والخلاعة ، الذين يرونها من أهم أسباب الحضارة والمدنية ، التي تمكن المرأة من أن تماشي التطور في عصرنا الحاضر .

ليت شعري ... هل التطور هو أن تخرج المرأة إلى الملاهي والمراقص ودور الخلاعة ؟ على شكل مناف للغيرة والحبة ، لا حباء يردعها ، ولا حجاب يسترها ؟

ولكن أين هي المرأة المسلمة الآن من الإسلام ؟ وقد استبعدتها شياطين الانس والجان ... وهذه المدنية الزائفية التي أعمتها وأعمت بصيرتها وأوحت لها

(١) تفسير الطبرى - ج - ١٨ - ص - ٩٣ .



ان التقدم والرقي ، هو ترك ما كان عليه الأجداد من الدين ... والحياء ...
والخلق الكريم .

فتحررت من تراثها العظيم حتى لا تتصرف بالرجعيّة والانحطّت ، وانحدرت إلى أسلوب درك بفضل الاستهتار والخلاعة والتبرج السافر .

لو كانت الفتاة المسلمة قد راعت الاحتشام في ملبسها وتصرفاتها وحركاتها،
لو أنها اخفت زينتها ولم ت تعرض النهود والأرداف والأذرع والسيقان لكان أولى
بها وأعف وأتقى ، وكانت في حصن حصين من أن تقع في مزالتق الفوضى ،
خدوعة بيريق كلام المفسدين دعاء السفور العابثين . وما أحسن ما قيل :

أفق الركبتين تشمرينا
بربك أي نهر تعبرينا
وما الخلخال حين الساق صارت
تطوقة عيون الناظرينـا
عيون المعجبين لدبك جمرـا
ستشعل إن أردت هوى دفينا
فتاة الجيل مثلك لا يجاريـا
فبالقصیر طالتنا الأعاديـا
وباللذات ضيغنا العريـنا
أبنت (خديجة) كوني حياءـا
كامك تنجيـي جيلا رزينا
خذيهـا قدوة تهض جميعـا
وتبق ديارنا حصنـا حصينا
ولا يشغلك قشر عن لبابـا
ولـا تضلـك (صوفيـام ولـينا) (١١)

ولو أن الفتاة المسلمة لم تتنفس في تجميل وجهها بالأصباغ والمساحيق وقضاء وقت طويل في تصفيف شعرها عند المزن (الكواifer) لكان الخطيب .

ألم يكن الأولى بها أن ترتدى ثوب العفة والحياء؟

^(١) عن مجلة الوعي الاسلامي الكويت - العدد - ٥١ .



وكا قبل :

سيري لمجدك تحت ظل عفاف وتجملي بطارف الألطاف
ما الدر وهو مجرد عن حزمه بقدر كالدر في الأصداف
لا أجافي الصدق ، ولا أ جانب الحق إن قلت ، ان النساء في عصرنا الحاضر ،
ضائعتات في متأهفات ، لا يدرن اي طريق سلكن وقد تقاذفتهن التيارات ،
واختلطت عليهن سبل الحياة ..

نحن في القرن العشرين عصر العلم والأدب ... عصر النور والثقافة ... عصر
الذرة ... عصر الصعود الى القمر والمريخ ، واكتشاف المغيبات واحتراق
الحجب والأجواء .

وأيضاً عصر المستهرين الضالين ، الذين لا يعون ما يفعلون ، ولا يروعون
(وهم دعاة السفور والخلاعة) الذين يدعون المرأة المسلمة الى التحرر من سجنها
المزعوم والانطلاق من عشها المظلم وهم يهتفون بأصوات عالية ونداءات جريئة
والفاظ براقة خلابة .

يدعونها الى خلع الحجاب عن رأسها وانسفار عن مفاتن جسمها بدعواهم
ان الحجاب من خلفات العصور المتختلفة ومن خرافات السنين الفاسدة والمعهود
المظلمة ومن بقايا الأديان والطقوس البائدة .

مساكين هؤلاء الذين ينادون بسفور المرأة ... ويدعونها الى ترك حجابها قد
ضيعوا انفسهم ... وضيعواها ، وخدعوا انفسهم ... وخدعواها وأساوا الفهم
والتصرف ، وما دروا أي ذنب اقترفوا ؟ ! وفي أي هاوية أوقعوا المرأة ، وفي
أي بلاء رموها ، وأي عز لها هدموا ؟ !

لقد زينوا لها السفور حتى أخرجوها من خدرها ، وعزها ، ودلّ لها وحشمتها
ووقارها وبيتها الذي هو حصنها الحصين .



أخرجوها الى الشارع سافرة تفتن الناظرين بجمالها ، لتسحر الناس بانوثتها ،
وهم لا يبالون ولا يردعهم رادع من ضمير او دين .

الحرية المزعومة :

إن طبيعة الإنسان ، والنفس البشرية ، منذ ان فطرها الله سبحانه وتعالى
واحدة لا تتغير ، أمارة بالسوء ، داعية الى المنكر ، تهفو الى الشهوات اذا
انطلقت من عقدها ، وحصلت على الحرية المطلقة ، بدون اي قيد من القيود
الانسانية ، والدينية والخلقية .

نريد أن ينظر المجتمع الى المرأة ، كإنسان لها كرامتها ، لأنه كلما سطعت
إنسانية المرأة صارت نفسها .

منذ أقدم العصور والمرأة الفاضلة العاقلة ، تستطيع أن ترغم المجتمع على
احترامها ، إذا ظهرت على مسرح الحياة ، كإنسان لها كرامتها واحترامها ، لا
કأنشى لها جاذبيتها ... ونعمتها ..

وباسم الحرية ... المزعومة انجررت المرأة المسكونة الى الويلاط والمزالق
حتى صارت تستخدم للدعاية والإعلام وترويج البضائع وتكتير الارباح
 واستجلاب الزبائن في المكاتب وال محلات والنادي على اختلاف انواعها
 واتجاهاتها .

وبالحرية المزعومة استخدموها ، لتكون جسراً لمطامعهم وزيادة أرباحهم لا
لتحملاً مكرمة او فضيلة .

وإني أتمنى على كل امرأة، أن تتجلى بالياء والعفاف حتى تصون نفسها من
ذئاب المجتمع الفاسد ... وما أحسن قول الشاعر :



صوبي جمالك بالحجابا
لبيك من نرق الشباب
هل انت إلا خمرة تغري بنشوتها الشبابا
أخشى عليك فان في وادي الهوى أجماً وغابا

ليت شعري : هل الحضارة والمدنية أن تراقص المرأة الرجل الأجنبي
وتقضى السهرات العامرة المجنونة خارج بيتهما حتى الصباح ؟؟ كما يقول دعاء
الحرية والسفور !!

وإن كانت ذات أطفال ، ما يكون حال هؤلاء الأطفال وهم ينشئون على
أخلاقي الخدم ؟ إن كان هناك خدم وإلا على أخلاق « الشارع » .

وهل يرجى من الأبناء خير إذا نشأوا بمحضن الجاهلات

أجل : وما لا شك فيه ، سوف يتعرّ عن على سيرة امّهن فيمشيin على منوالها
إن كن أناي ... وتموت الفيرة ، والحبة من أنفسهم ، إن كانوا ذكوراً ، وتكون
العقوبة وخيمة تؤثّر على المستوى الأخلاقي في الجيل الجديد .

ولكن ويا للأسف ، إن كثيراً من يزعمون أنهم أنصار المرأة لا يروق لهم
الحجاب ، ولا يعجبهم إلا أن تكون المرأة غرضاً لسهامهم ، وصيداً لحبائتهم
وأن تكون قابعة لأهواهم ، نازلة على حكم ميو لهم ، ترتفع في مرادفهم وتنغمس
معهم ، ثم لا يبالون بعد ذلك ما تقع فيه من سبة ، لهم غنمتها ، وعليها غرمها .

مارأيت أضعف حجة ، من هؤلاء الناس ، الذين ينادون بتحرير المرأة
المسلمة من قيود الحجاب ... لأن الحجاب يسبب حرمانها من الانطلاق والترقى
والتعليم ... و و و .

ما هذه المغالطات ، وما هذه الافتراضات ؟!



المصافحة ... او السلام بالكف :

لا بد من القول ، أن العقل هو الميزان ، الذي يجب أن يعرض عليه ، كل ما صلح ، وما فسد من الأمور ، في كافة مناهج الحياة . فإذا كان العقل سليماً كان حكمه سليماً ... وصحيحاً يطابق الحقيقة والوجودان .

وبما أن المسلمين قد حباهم الباري سبحانه ، بـدستور ساوي عظيم « القرآن الكريم » فهو المنهج الصحيح ، والطريق الواضح . فلا حاجة لهم من إدخال مناهج الغير ، واتباع ما ينافي المبادئ الإسلامية ، والتعاليم النبوية .

ولا حاجة أيضاً في اقتباس عادات غير إسلامية ، وإدخالها في حظيرة الإسلام ، والتمسك بها ، وكأنها تراث حضاري .

ومن هنا يجب على كل ذي عقل وإدراك ، التمعن والتفكير ، بتعاليم الإسلام القيمة ، وسيرة الرسول العظيمة ، ويجعل منها مقياساً ، ونبراساً لسلوكه جادة الحق والصواب .

إن من جملة البدع التي دخلت على الإسلام ، وتفشت بكل سهولة وبدون احتشام ، ولاقت رواجاً وقبولاً من الذين يدعون التجدد والانطلاق ... وهي عادة المصافحة (السلام بالكف) التي يستعملها رجال العصر الحاضر ونسائه وكأنها عنوان التقدم والرقي .

نرى البعض يحتاج ويقول : إن القرآن لم يذكر حرمة السلام بالكف صريحاً بحيث أنه لا يجوز للمرأة أن تصافح الرجل من غير المحارم .

إن كل من يقول بعدم حرمة المصافحة بالكف ، من الرجل للمرأة ، أو المرأة للرجل ، وإن الإسلام لم ينه عن استعمالها ، هو متعمد جاهل أو مغالط يتجاهل الحقيقة .



إن كتب الفقه والتاريخ والسير فيها الكثير من الروايات الدالة على حرمة السلام بالكف من الرجل الأجنبي للمرأة الأجنبية – او بالعكس عدا المحارم .

منها ما جاء في كتاب الوسائل : عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : هل يصافح الرجل المرأة ليست بذات حرم !

فقال لا ... إلا من وراء الثوب .

وعن ساعدة بن مهران قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام ، عن مصافحة الرجل المرأة قال : لا يحل للرجل أن يصافح المرأة ، إلا امرأة يحرم عليه ان يتزوجها ... اخت او بنت ، او عمة ، او خالة ، او بنت اخت ، او بنت اخ ، او نحوها .

وأما المرأة التي يحل لها ان يتزوجها فلا يصافحها إلا من وراء الثوب... ولا يغمز بكفها^(١) .

مبايعة النساء للنبي (ص) يوم فتح مكة :

ذكرت الأخبار والروايات كيفية مبايعة النساء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة وجوه .

عن كتاب الوسائل : عن المفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف ماسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء حين بايعهن ؟ فقال : دعا بر كنه الذي كان يتوضأ فيه ، فصب فيه ماء ثم غمس فيه يده اليمنى

(١) وسائل الشيعة - للعمر العاملی مجلد ١٤ - ج - ٧ - ص - ١٥١ .



فكلما بايعد واحدة منهن قال : اغسلي يدك فتغمض كام غمس رسول الله صلى الله عليه وآلـه . فكان هذا ماسحته إياهن .

وعن سعد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله^(١) عليه السلام : أتدري كيف بايعد رسول الله صلى الله عليه وآلـه النساء ؟ قلت : « الله أعلم وابن رسوله أعلم » قال : « جمعهن حوله ثم دعا (بتوربرام) فصب فيه نصوحا ثم غمس يده ... ، إلى أن قال : « اغمسن أيديكن ففعلن . فكانت يد رسول الله (ص) الطاهرة أطيب من أن يمس بها كف أنشى ليست له بمحرم^(٢) .

وفي السيرة الخلبية : « أن بعض النساء قالت : هل نبايعدك يا رسول الله . قال : لا . لا أصافح النساء وإنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة » .

وعن عائشة (رض) : لم يصافح رسول الله (ص) امرأة قط ، وإنما كان يبايعهن بالكلام .

وعن الشعبي بايعد رسول الله (ص) النساء وعلى يده ثوب . وقيل أنه غمس يده في إناء وأمرهن فغمضن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة^(٣) .

ذكر الطبرى في تاريخه أن بيعة النساء قد كانت على نحوين :
كان يوضع بين يدي رسول الله (ص) إناء فيه ماء فإذا أخذ عليهم ، وأعطيته ،
غمض يده في الإناء ثم أخرجها فغمض النساء أيديهن فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ
عليهن ، فإذا أعطيته ما شرط عليهن قال : « اذهبن فقد بايعدنكن » ، لا يزيد
على ذلك^(٤) .

بالإضافة إلى أنه إذا كان النظر محراً فالمس يحرم من باب الأولى .

(١) المراد بأبي عبدالله عليه السلام هو الإمام جعفر الصادق الإمام السادس .

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي - مجلد ١٤ - ج ٧ - ص ١٥٤ .

(٣) السيرة الخلبية لعلي بن برهان الدين الخلبي .

(٤) تاريخ الطبرى لابن جرير الطبرى .



التقليد للأجانب - انتكاس وتراجع :

تحتاج عالمنا الإسلامي في هذه الأيام محنـة من أخطر المحنـة التي مرت في تاريخه ، فإن لم يتداركها رجال الفكر وأهل العلم والعقل فلن تلبـث أن تقضـي على جميع آمالـه .

تدارـكـوها وفي أغصـانـها رقمـ فلا يعودـ اخـضرـارـ العـودـ انـ يـبسـاـ

انـ قـوـامـ هـذـهـ المـحـنـةـ هوـ التـقـلـيدـ الأـعـمـىـ ،ـ الـذـيـ تـجـرـفـ أـمـواـجـهـ العـاتـيةـ جـمـيعـ الطـبـقـاتـ ،ـ وـعـلـىـ جـمـيعـ الـأـصـدـعـةـ ،ـ يـسـرـيـ فـيـ مجـتمـعـنـاـ كـالـنـارـ فـيـ الـهـشـيمـ .

وـاـنـىـ اـهـيـبـ بـكـلـ عـاقـلـ وـعـاقـلـةـ وـأـنـاـشـدـ كـلـ ذـيـ بـصـيرـةـ ،ـ انـ يـحـكـمـ بـيـنـ صـحـيحـ الـأـمـورـ وـفـاسـدـهـاـ ،ـ فـيـراـهاـ بـعـيـنـ الـخـبـرـةـ وـقـدـ أـمـيـطـ النـقـابـ عنـ مـؤـدـاهـاـ ،ـ وـسـبـرـ غـورـ تـجـارـبـ أـخـذـتـ قـسـمـاـ عـظـيـمـاـ مـنـ اـخـلـاقـنـاـ ...ـ وـاقـصـادـنـاـ .

منـ الـوـاجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـقـولـ الـحـقـ وـلـاـ نـرـهـبـ فـيـ الـحـقـ لـوـمـةـ لـائـمـ ،ـ بـلـ يـجـبـ عـلـىـ كـلـ عـاقـلـ وـعـاقـلـةـ ،ـ وـكـلـ صـاحـبـ ضـمـيرـ وـمـرـوـءـةـ اـنـ يـذـيـعـ الصـوـابـ مـنـتـصـرـاـ لـلـحـقـ بـكـلـيـتـهـ وـلـوـ خـالـفـتـهـ الـمـسـكـونـةـ باـسـرـهـاـ .

لـقـدـ تـفـنـنـتـ نـسـاءـ الـغـرـبـ بـاـنـوـاعـ الـبـهـارـجـ ،ـ وـأـخـذـنـ يـتـسـابـقـنـ إـلـىـ اـبـتـكـارـ الـأـزـيـاءـ ،ـ وـالـتـلـاعـبـ فـيـ صـورـهـاـ وـأـشـكـالـهـاـ تـبـاهـيـاـ وـتـنـافـسـاـ وـإـمـانـاـ فـيـ الـخـلـاعـةـ وـالـاسـتـهـتـارـ .

حـينـ كـانـتـ نـسـاءـنـاـ وـفـتـيـاتـنـاـ الـعـرـبـيـاتـ وـالـمـسـلـمـاتـ قـانـعـاتـ بـمـاـ وـرـثـنـهـ مـنـ التـقـالـيدـ وـالـعـادـاتـ ،ـ رـاضـيـاتـ بـلـبـاسـهـنـ ...ـ وـازـيـانـهـنـ ...ـ وـأـشـكـالـهـاـ ،ـ مـتـمـتـعـاتـ بـقـامـ الـرـفـاهـيـةـ وـالـهـنـاءـ وـكـمـالـ الصـحـةـ وـالـصـفـاءـ .



ولكن ... وباللاسف ... فقد غزت جيوش عادات الاجانب وتقاليدها
بلادنا بخيلاها ورجلها ، واحتلت البيوت والمجتمعات ، واستمالت القلوب
ونزلت علينا ضيفاً غير محتشم .

وهرعت النساء للاخذ بمناصرتها وثبتت دعائهما حتى أصبحت من السن المفروضة والقواعد التي يتحتم على كل فرد من أفراد المجتمع الالتزام بها والعمل على طبقها .

الموضة ... أو الزي الجديد :

لقد استحال عاداتنا اللطيفة وازياً علينا المحشمة التي ورثناها عن السلف صالح إلى شيء بالغ غير مرغوب فيه ، وأصبحت عنوان الرجعية والانحطاط باعين جمور المترنجين والمستهترن .

وارتفعت راية «الموضة»، أو الذي الجديد ترفرف فوق ربوعنا، ترعاها كثيرات من اللواتي اغمضن الجفن عما يتخلل هذه الموضة من الاضرار الفادحة بالصحة والمال.

أجل لقد أقدمت النساء بلا وعي إلى الانقياد لحكم الأزياء الحديثة الجديدة المستوردة التي تتغير بين آونة و أخرى ...

فنرى الملابس مثلًا ... تارة تشبه أنواع الممثلين أهل المساحر والهزل (البالىه) وطوراً ضيقه تضغط على الجسم فتعيق الدورة الدموية .

ومتى اختل نظام هذه الدورة الطبيعى أصبح الجسم معرضًا لكثير من الأمراض ، فكيف بنا ونحن نرى النساء قد شددن خواصرهن بحزام من المطاط فلا يستطيعن أن يأكلن براحة أو لذة ، ولبسن أحذية ضيقة لا تساعدهن



على المشي بـاستقامة .

ما حيلتى فيمن تفرنج وادعى ان التفرنج شيمة المتمدن

لقد رأيت الكثيرات من السيدات اللواتي انعم الله عليهن بالمال والجاه ، يتسابقن إلى ميدان «الموضة» ويتخزنن بحليهن وحلىهن تسمى واعجابة .

كل يوم ثوب جديد ... وتسريحة جديدة ... ونقلية جديدة إلى غير ذلك
من نواحي البذخ والإسراف .

وهذا التصرف بلا شك يجدد روح الفيرة في نفوس أكثر النساء المتوسطات الحال ، فيبذلن كل ما في وسعهن لتقليد جاراتهن أو منافسهن وقد تناصين ان هذا التقليد أو التنافس يضر بصالهن المادي والأدبي فضلاً عما يلحقنه من الاضرار بالصحة وراحة المال .

ولن انسى ما قالته لي أحدى الصديقات وهي من ذوات الجـــاه والثراء ،
ومن ذوات الفـــهم والأدب « كم اتفنى من صميم قلبي ان تبطل هذه الموضة
اللعنة او تستأصل لأنها مضرــة بالصحة والأخلاق » .

ثم اردفت تقول ... بعد جدال طويل دار بيني وبينها :

ولكن ما العمل اختاه؟... وأنا أخاف ان اكون البادئة... لثلا ينسب إلىَ البخل والتقتير الخلان بشرف وجاهتي وثرولي... أو يظن بي الفقر وعدم الاقتدار... الن.

ومما لا ريب فيه انتا اذا سألنا اللواتي تربين في مهد الفضيلة وترعرعن في



جو الأداب وتنورت عقولهن بالحكمة والمعرفة : أي الثوبين أكثر فائدة والطف منظراً ... الثوب البسيط المنسوج من الصوف أو الكتان يجر بذيله العفة والوقار ... وسمات الطهارة والقذاعة ، ثم هو مريح وفضفاض يحفظ راحة المرأة وصحتها ...

أم الثوب الجديد من الأزياء الحديثة (الموضة) الحاكمة علينا بالخصوص لأحكام التقليد الأعمى واستبداده ..

عند ذلك لا تسمع الا الجواب الواحد (للضرورة احكام) ولا نتمكن من الانفراد عن بنات جنسنا ... وبشتتنا ، ونبقي اضحوكة المجتمع ، ثم بوددن متمثلات بقول الشاعر :

وما عن رضىٰ كانت سليمى بديلة لليل ولكن للضرورة احكام
وانني اكتب هذه السطور وقلبي يندوب أسى ولوحة مشاهدة ما وصلنا
إليه من الامور التي لا تحمد عقباها ، ونحن لامثون وراء التقليد الإعمى بلا
وعي ولا أدراك - قد تموا فكأنكم لم توجدوا - .

لنلقي نظرة في مجتمعنا نرى العجب ، فكم من امرأة متوسطة الحال ضعيفة
التفكير والتدبر قد انفقت جميع ما لديها من اموال وانقلب عاتق زوجها
بالديون ، التجاري اترابها وغير أنها وحتى لتشتري الاثواب « الدارجة »
والقبعات ... والاحذية الجديدة ، الى غير ذلك من لوازم « الموضة » التي تعود
على بلادنا بالخراب وعلى اخلاقنا بالانهيار ، وعلى من ابتكر هذه الأزياء
بالرزرق ... والمال ... والمنفعة والخيرات .

فمتى تستيقظ المرأة المسلمة يا ترى ؟ وتتحرر من هذه العادات والتقاليد
المشينة المزريّة وكما قيل :

للشرق والغرب عادات مقدمة كانت وما برح أولى بتأخير
لا تتبعوها فكم من زهرة حسنت في الناظرين وساقت في المناخبر



هل" يا بنات جنبي العاقلات... يا من سطعت بكن شمس الحضارة والمدنية والرقي لنشر المبادئ الاسلامية الصحيحة ، والمشي على هدى الاسلام وتعاليمه القيمة ، ولنستأصل من نفوسنا آفة الاقتداء والتقليد لغيرنا ، وما أحسن قول الشاعر العراقي السيد احمد الصافي النجفي :

يا شرق مالك في الحياة تقلد ان المقلد تابع مستبعد
ان المقلد عايش في غيره قد تقدروا فكأنكم لم توجدوا
حتى لقب الغرب قد قد تقدروا هذى «خنافسكم» عليكم تشهد
ان رمتم قبحاً فهاتوا قبحكم فعلامَ حتى قبحكم مستور
ولقد احسن امير الشعراء شوقي حيث يقول :

ارى طوفان هذا الغرب يطفى وأهل الشرق سادتهم نیام
فأن لم يأتنا نوح بفلک على الاسلام والدنيا سلام

من سميم الواقع :

إن إباحة الحرية المطلقة دعت الى توسيع الخرق وزيادة الاستهتار ، ورممت الأمة الاسلامية بفساد كبير؛ فالرقص والسباحة وارتياد النوادي وركوب المرأة رأسها، مبيحة لنفسها حرية الاجتماع على اختلاف أشكاله وأنواعه، جرّ الويلات على المجتمع الاسلامي العظيم .

وفي رسالة بعثت بها السيدة الفاضلة (معزز الحسينية) الى احدى اللواتي ينادين بحرية الاختلاط ، ونزع الحجاب ، وتقليد الإفرنج ... تقول :

«إعلمي أيتها السيدة انه يجب علينا اعاشر النساء العاقلات والسيدات الفاضلات ، أن ننظر الى كل رجل يحملنا على مثل هذا العمل بعين البغض



والازدراء والاحتقار ، لأنه لا يدعونا إلى فضيلة ولا إلى مكرمة .

فبربك أيتها الآنسة ان تشفقي على نفسك وعلى بنات جنسك ، ولا تطالبين بالانفراد والاستهتار ، وثنادينهن الى العار والدمار . بل غلي علىك غريزة حب النوع ، ذلك أعزك وأشرف بنا ... « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

هي أيتها السيدة أن الدين لم يأمر بالحجاب ، ولم ينه عن الاختلاط المبتذر والفساد ...

أوليس الحجاب عادة قومية ... اسلامية ... شرقية ؟ فلماذا نترك نحن هذه العادة الحسنة ، ويتمسك غيرنا بعاداته وإن كانت وحشية ، ولا نجرؤ على مطالبته بتركها ؟

ولماذا يتمسك الانكليزي ... والافرنسي ... والألماني ... والياباني ... وغيرهم الخ بعاداته وتقاليده القومية ، وندع نحن عاداتنا وتقاليدنا القومية .

أتقربين أن لكل امة عادات وتقاليد؟ فلماذا نطالب بترك عاداتنا ، لكي نندمج في سواها ... لتضييع هذه القومية ؟ ...

فبالله عليك لا تكوني آلة تخريب ، بل كوني آلة تعمير ولا تخديني يا رفيقي فتكوني المعول الذي به تهدم قوميتك ... وامتك .

واعلمي أن قوماً يحاولون فتنق هذا الرتق ، فيحملون علينا بما لا يريدون به خيراً ، إنما يريدون أن يخرجونا عن ديننا ... ووطنيتنا ... وببلادنا فيستعملون مثل هذه الدعایات ، يوماً بالتبشير الديني ... ويوماً بالاصلاح الاجتماعي ... ويوماً بالاستعمار المدني ... ويوماً بالتمدن الغربي .. الخ .

ولا تفرنك كلمات براقة يضعها الواضعون ، من رحمة بشرية ... وانقاد



ضعيف ... وتحرير شعوب ، وما شاكل ذلك من مثل هذه الكلمات الخلابة التي لا يراد بها غير التغريب كما قال (غوستاف لوبيون) .

فكوني يا سيدتي أمن وأمنع من أن تؤثر عليك هذه المؤثرات ، ولا يتخدك المضلون عضداً والسلام عليك من رفيقتك في النوع » .

وقد ذكر الشيخ مصطفى الغلايني^(١) مقالاً للسيد فؤاد صعب^(٢) وبه يخاطب المرأة المسلمة حيث يقول :

« يزعمون أنك مظلومة وأنك أسيرة الحجاب يريدون تحريرك من أسرك .

يزعمون أن الحجاب يمنعك من أن تكوني أمّاً راقية وزوجة صالحة ...
أسفري ولتسفر جاراتك ، وليبحث العالم بعدهن عن علاج يخفف من المشاكل العائلية والزوجية .

أسفري ... ولكن مهلاً ... قبل أن تحكمي على حجابك بالهجران والنفي ، حاكمه وقابلية بين حسناته وسيّاته ، لأن من اللئم أن يتناهى الإنسان حسنتات جمة ويقضى على سيئة واحدة ، قابلية ... وزني ... وانظري أية الكفتين ترجع ثم احكمي .

فإن قلت أن لا حجاب لغير المسلمات وأنهن راتعتات في بحبوحة من الحرية التي لا تمنع كونهن أدبيات ومحصنات .

لا تفرك الظواهر ، ولا تخاليهن أسعد منك حظاً ، لأن الاختلاط الجنسي يقود حتماً إلى تبادل العواطف ، وما زالت الغيرة غريزة في الحيوان الانساني ،

(١) نظرات في كتاب السفور والحجاب للشيخ مصطفى الغلايني .

(٢) فؤاد صعب أديب لبناني .



فغير المسلمة ترسف في حجب معنوية حينها حجابك المادي .
لا تترك الظواهر ، ولا تخسدي غير المسلمة إذا رأيتها سافرة ، سائرة الى
جنب زوجها متكتئة على ذراعه يقدمها في المجتمعات الى اصدقائه وصديقاته ،
حتى إذا عادا الى منزلمها وقف أمامها وقفه قاضٍ ، يحاكمها على نظره او ابتسامة» .
ولقد أجاد الشاعر الرصافي في رده على الدسسين والمستعمرین الضالين .
حيث يقول :

يقولون في الإسلام ظلماً بأنه
يصد ذويه عن طريق التقدم

فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت
أوائله في عهدها المتقدم

وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله
فماذا على الإسلام من جهل مسلم

هل العلم في الإسلام إلا فريضة
وهل امة سادت بغیر التعلم

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلی
بعصائر أقوام عن الجهد نوم

ودكٌ حصن الجاهلية بالهدى
وقوض أطنااب الضلال الخيم

ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
رويداً فقد فارقتم كل مؤمن



فلا تنكروا شمس الحقيقة إنها
لأظهر من هذا الحديث المرجم

الحجاب ... وأثره في المجتمع :

جاء الإسلام ، فأضاء الكون بنور تعاليمه ، هادياً إلى انتهاج سبيل الحق ،
رادعاً للنفس البشرية من نوازع الضلال حانياً على اتباع الهدى ، وسلوك
طريق الرشاد .

ولما ظهر الإسلام ، رأى أن الدين في قلوبهم مرض وهم أكثرية أبناء
البشر قد عميت منهم البصائر ، واستالتهم الشهوات ناهيك عن وسعة
الشيطان ... وضعف الإنسان .

ونحن نرى الإسلام بتشريعاته السامية ، بعيداً عن كل الأهواء والميول ،
حربيضاً على طهارة المرأة المسلمة .

لذلك أمرها بالحجاب لتهذب مخالفة على ما حبها الله ، من هالة قدسية ...
ومنزلة رفيعة .. وأدب واحتشام .

وبما أن الفتاة لا تتمكن من الصمود أمام تيارات الفسق والاستهانة إلا إذا
تهذبت تحت شعاع الأخلاق السامية ، والعرفة والطهارة التي جاء بها الإسلام ،
والتي وضع القرآن الكريم حدأ لها .

وعندما نقرأ القرآن الكريم بتمعن وتفهم ، نجد أكثر آياته تحرض المسلمات
على الحجاب والتحتشد عليه ، والتشديد على الالتزام به حق لا تقع المرأة المسلمة
في مشاكل تكون عاقبها وخيمة .



إن الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم بخصوص الحجاب قد نزلت آمرة المسلمين بالأخذ بها ، والعمل على طبقها ، وليس الاوامر التي وردت في القرآن الكريم هي أوامر اختيارية بل هي إلزامية .

وها نحن نسمع الصرخات المتعالية ... ونتلقى الاحتجاجات المقتالية ، على ما وصلت اليه المرأة من التهور ، وعلى ما بلغه الرجال من فساد الاخلاق وما آلت اليه حالة المجتمع .

ثم نرى بعض المسلمين .. والمسلمات وقد قاموا بوازر بعضهم بعضاً . داعين إلى تمزيق حجاب المرأة وكسر قيودها وإباحة الاختلاط ... والتشبه بالأوروبيين الأجانب .

وما لا شك فيه ان أكثر الداعين إلى هذه الشرور ، ليس في نفوسهم حية ... أو نخوة ... أو شرف .

ذابت المروءة العربية والإسلامية من صدور الناس ، وتبخر الوجدان من قلوبهم .

لقد نسي هؤلاء ان دعوتهم إلى السفور ... والاختلاط ... تزج المرأة المسلمة إلى التدهور والفرق في بحر من الظلمات وهي لم تألف السباحة في مهاوي هذه الحياة الصارخة التي يجرونها إليها .

هل يظن دعاة السفور ... والاختلاط ... والحرية المزعومة انهم عندما ترك الفتاة تفعل ما ت يريد ... وتذهب إلى حيث تشاء ... جبلها على غاربها ، هل يمكنهم من كبح جماحها ؟! وهل باستطاعتهم ارجاعها إلى سلوك طريق الصواب والحق وعدم اتباع الهوى ؟



ولقد صدق الأزري بقوله :

اكرية الزوراء لا يذهب بك هذا الخداع ببيئة الزوراء
لا يخدعك شاعر بخياله ان الخيال مطية الشعراء
حضرروا علاجك في السفور وما دروا
ان الذي وصفوه عين الداء
او لم يروا ان الفتاة بطبعها كلام لم يحفظ بغیر انه
من يكفل الفتيات بعد بروزها منها يجيش بخاطر العذراء
ومن الذي ينهم الشبيبة رادعاً
عن خدع كل خريدة حسناء



المرأة في رحاب العلم

لنلقي نظرة شاملة على الوضع الحاضر للمرأة في زماننا هذا ونتساءل ...
هل ان الحجاب الذي فرضه الدين الإسلامي على المرأة المسلمة منع من تطورها
أو سيرها في مضمار المدنية ؟

وهل ان الحجاب منعها من العلم والتعلم ... والسير قدمًا نحو الكمال ؟

أو منعها من ان تكون المرأة الفاضلة الممذبة الراقية ، ربة البيت وسيدة
المجتمع كما يتقول ذلك دعاء الخلاعنة والسفور ، الذين اعمى بصيرتهم الجهل
وقتلهم الغرور .

لقد رفع الإسلام من مستوى المرأة كما ذكرت سابقاً ، وجعل فيها من النشاط
والإقدام ما هيأها للمسير على طريق المدى والكرامة ، ونحو المثل العليا ،
مرتكزة على أساس دينها القوي ، ومعتمدة على إيمانها العظيم .

فالحجاب لم يمنع الفتاة المسلمة من إرتشاف العلم ، ولم يقف حجر عثرة في
يوم من الأيام في سبيل تعليمها ... وتهذيبها .

ولقد صدق الشاعر الأزري حيث يقول :

ليس الحجاب بمانع تعليمها فالعلم لم يُرفع على الأزياء
أو لم يسع تعليمهن بغیر ان يلأن بالاعطاف عین الرائي



لقد احسن الشاعر الاذري إلی المرأة وإدرك الحقيقة ونطق بالصواب ، حيث ان الحجاب لم يمنع المرأة من إرتشاف العلم والمعرفة ، وكان نصير الحق على عكس ما قاله : عدو المرأة أبو العلاء المعري في شعره ، حيث انه يريد للمرأة ، ان تبقى متخبطة في دياجير الجهل .

قال أبو العلاء المعري :

علموهن الغزل والنسيج والرون
وخلوا كتابة وقراءة
فصلة الفتاة بالحمد والاخلاص
تفني عن يونس وبراءة

لقد تعصب أبو العلاء المعري وجار بحكمه على المرأة ، وغاب عن فكره ان الفتاة المتعلمة ، تزهو بمحسن اخلاقها ، وتهذيبها ، ويستغنى بعلمها وثقافتها ، عن أرفع الجواهر ولو أن ملبسها بسيطاً من القماش كما قيل :

زياني النفس بعلم وآداب
ولتكن هذه الدرار
في عقد زينات العرب
مثلاً تفني الزهور
زاهراً من الدهور
وجمال النفس يبقى

تأثير العلم على المرأة :

الفتاة المتعلمة ، تسمو بعلمها وأدبها ، وإن كان ملبسها بسيطاً كما قالت عائشة التيمورية :

ان العلوم لاصل الفخر جوهرة
يسمو بها قدر الوضيع ويشرف
فوجودها في درج مهجة فاضل من حازها بين الأنام مشرف



لقد اهتم الدين الإسلامي بالنواحي الاجتماعية ، وحرض المسلمين على العمل طبق ما تقتضيه الشريعة السمحاء ، ونهى عن كل ما يفسد الأخلاق ، وحث على السير نحو المثل العليا ، في مقدمتها طلب العلم ، كما ورد (اطلب العلم ولو في الصين) . ولم يحرم المرأة من هذا المورد العذب الذي ينعش الروح ويهذب النفس (اكسير الحياة) بل أباح لها ان تنهل من مورد العلم ما ينعش نفسها وخلقها ، ويجعلها في المستوى الذي تحمل عقباه . فالفتاة المتعلمة ، الكاملة المذهبة ، تعرف كيف تشق طريقها في خضم الحياة الصاخب بعكس الفتاة الفقيرة إلى العلم ، الحالية الوفاض من الثقافة .

ان المصابيح ان افعمتها دسما
أهدت لوامعها في كل مقتبس
وان خلا زيتها جفت فتائلها
ain al-ziya'at li-hibat qurtabat

فبالعلم المتوج بالدين ، والثقافة المحاطة بالأدب والتهذيب تتمكن المرأة من إدارة مملكتها الصغيرة ، وتنتشة أولادها على الأخلاق الفاضلة وتحدم قومها وببلادها حين تخرج إلى عالم الوجود شعباً حياً يعيش الحياة المثلية .

ولا ننسى ان المرأة التي تهز السرير بيمينها تهز العالم باسره بيسارها إذ ان تربية الناشئة مهمة جليلة ، في غاية الصعوبة . فالوليد الصغير ابن المدرسة الأولى وهي الأم كما قيل :

الأم مدرسة إذا أعددتها
اعددت شعباً طيب الاعراق
الأم استاذ الاساتذة الأولى
شغلت مآثرها مدى الآفاق
الأم روض ان تعهده الحياة
بالريّ أورق ايما ايراق



الحجاب والعلم :

الحجاب هو ستار شرف وعفاف ، يصون المرأة ولا ينبعها من العلم والرقي وما يضر الفتاة المسلمة ، ان تتحجب الحجاب الشرعي ، وتتلقى من العلوم ما شاءت وكيف شاءت .

والرسول الكريم ﷺ ، حث على طلب العلم بقوله كما ورد في الحديث الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

وعلى هذا لم يمنع الإسلام الفتاة من أن تتلقى العلوم وتتزود بالمعرفة – ولم يمنع الحجاب المسلمة من أن تذهب إلى المدرسة ، وقد غطت رأسها ، وسترت جسمها بالحجاب الشرعي المحتشم ، تذهب إلى حيث تريد بدون تبذل واستهتار ترشف مناهل العلم وتثير بصيرتها بنور المعرفة .

وما لا شك فيه ، ان كل عالم ومدرك ، يوافقني على وجوب توعية الفتاة وتهذيبها ، وتعليمها وتنقيتها حتى لا تبقى جاهلة بعيدة عن الإدراك بنتائج الأحوال وعواقب الأمور .

يأخذها العجب والغرور ، فلا ترى إلا الإنشغال بنفسها وزينتها وتسعى على إظهار جمالها ، بزخرف المعادن والأحجار ، وتخيل أنها زادت بسطة في الحسن ... ورفعه في الجاه .

وكما قالت السيدة عائشة التيمورية تصف إحدى الجاهلات :



قد زينت بالدر غرة جبهة وتوسحت بخمار جهل أسود
وتطوقت بالعقد يموج جيدها
والجهل يطمس كل فضل امجد ^(١)

وقال آخر :

ما العز لبسك أثواب فخرت بها
والجهل من تحتها ضاف على الجسد

لا يخفى على كل ذي عقل ولب أن العلم ضروري للفتاة ، لأنه لا تصلح
العائلات إلا بتعليمه وتهذيب البنات ، وتنقيفهن وتربيتهن على العفة
والفضيلة

وبما ان الأم هي المدرسة الأولى كأسلافنا ، وهي المعلم الأول يجب عليها أن
تكون على جانب من العلم والثقافة والتهذيب حتى يتسمى لها أن توجه
أولادها نحو الفضيلة والكمال ، بعكس المرأة الجاهلة التي يكون ضررها على
المجتمع وخيمًا ورحم الله شوقي حيث يقول :

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولاً
وإذا أتي الإرشاد من سبب الهوى
ومن الغرور فسمه التضليل
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فاقيم عليهم مائماً وعوياً

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور - زينب فواز .



ولكن أكثر فتيات العصر الحاضر الجاهلات ، ليس لهن من هم سوى
حب الظهور ، والتفاخر بالمال والجاه ، وقد غاب عنهن ان أحسن حلية هي
حلية الأدب ، وأفضل رصيد هو رصيد العلم ، واجمل مزية هي حسن الخلق ،
واعظم ذخيرة ذخيرة العمل الصالح .

وما أحسن قول الشاعرة السيدة عائشة التيمورية:

بيد العفاف اصون عز حجابي
وبعصمتي اسمو على اترابي
نقيادة قدمت آدابي
ولقد نظمت الشعر سيمة عشر

الى ان تقول :

فجعلت مرآتي جبين دفاتر
كم زخرفت وجنات طرسي انجلي
ولكم اضا شمع الذكا وقضووت

الى ان تقول :

ما ضرني أدبي وحسن تعلمي
الا بكوني زهرة الالباب

ما ساءني خدرني وعقد عصابي
وطراز ثوابي واعتزاز رحابي

ما عاقني خجلي عن العليا ولا
سد المثار بلطفتي ونقاقي
عن طي مضمار الرهان اذا اشتكت
صعب السباق مطامع الركاب



بل صولتي في راحتني وتفensi في حسن ما اسمى لغير مآب

وقال آخر :

العلم يغرس كل فضل فاجتهد إلا يفوتك فضل ذاك المدرس
واعلم بان العلم ليس يناله من همه في مطعم او ملبس
فاجعل لنفسك منه حظاً وافرًا واهبز له طيب الرقاد واعبس
فلعل يوماً ان حضرت بمجلس كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

وقال آخر :

علموا الفتىـان طرـاً والبـنـات يـدرـكـوا مـن عـلـمـهـم معـنى الـحـيـاة
عـلـمـوـهـم أـن قـدـر الـمـكـرـمـات فـاقـمـا بـيـن الـورـى قـدـر النـسـب

وقال آخر :

ان البنات الناشئات يوماً امهات
فاما نشأن على التقى والعلم كن الكاملات
هن الدعائيم للبيوت وحفظ ركن العائلات

لحة من واقع الحياة في عصونا الحاضر :

لا أدرى ما الذي حمل بعض الناس من المتزمتين المتعصبين على الظن بأن الفتاة لا تتمكن من التعلم والمحافظة على دينها وعفتها وأدبها وتهذيبها .

ولا أدرى ما الذي دفع بالمعترض على تعليم الفتاة إلى هذا القول ؟ ولا أعلم ما هذا الفشل الذي قام إمام عينيه فلم يعد ينظر فوائد العلم والتهدیب ، على ضوء تعاليم الدين والإيمان . هذه الفوائد التي لا ينكرها إلا من أعمى بصيرته الجهل ، وخيم فوق رأسه الغرور ، وقيده حب الذات والأنانية .

وكأني به وقد رأى الناس كل يبدي رأيه ويتكلّم بما يجول بخاطره ، فأراد ان يتكلّم ... ولكنه بحث في زوايا دماغه ، وفتش في مخبئات قريحته ، فلم يجد غير مذهب أبي العلاء المعربي وأتباعه من المتزمتين ... فاتخذه برهاناً وأدلى به حجة ودليلًا .

فهل يظن هذا المعترض الغبي ان العلم خلق للرجل ! أو ان المعرفة والأدب وقف على الرجال ؟

لعمري انه في ضلال مبين ، وخطأ كبير ، وتزمر ظاهر ، وتعصب أعمى لا يوجد له مبرر .

ان كثيراً من الناس في زماننا هذا ، وفي اكثـر المجتمعـات الجـاهـلةـ الذين يسمـون انفسـهمـ حـافظـينـ ، هـمـ عنـ الإـيمـانـ بـعيـدونـ ، هـؤـلـاءـ المـتعـصـبـونـ اـعـدـاءـ المـرأـةـ ، المـتـزـمـتـونـ المـنـطـوـونـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ ، يـرـيدـونـ أـنـ تـبـقـيـ المـرأـةـ تـرـسـفـ فـيـ اـغـلـالـ منـ الـحرـمـانـ وـالـحـيـفـ ، يـرـيدـونـ مـنـهـاـ أـنـ تـكـوـنـ جـلـيـسـةـ الـبـيـتـ لـاهـمـ هـاـ إـلـاـ الأـكـلـ وـالـشـرـبـ ، شـأـنـ الـحـيـوانـ الـأـعـجمـ (هـمـ عـلـفـهـ)



فكم من امرأة عاقلة حبها الباري ، سبحانه وتعالى من المواهب والذكاء ،
مالو انها حالفها الحظ ، واتتيح لها الانطلاق ، ومهدت أمامها السبيل
لأرتشاف العلم وانهال معين المعرفة لتفوقت وأصبحت من الاعلام
البارزين .

وكم من النساء الموهوبات اللواتي يتحسنن على العلم والتعليم ولا يكاد
يسمع لهن صوت ، ولا يتبعن لهن حركة ، قد شلت منهن الهمم وتختدرت
المواهب ، فهن مغمورات قد القت بهن القدر اما بيئه جاهله ... لا تقدر
العلم والأدب ، او عند رجال متزمتين لا يرون ان المرأة خلقت لتعلم وتنتفع
كما ذكرنا ، ولكنها خلقت لأسعد الرجل وخدمته .

عشرات النساء من اللواتي حصلن على نصيب من العلم والمعرفة والأدب ،
وحباهن الباري سبحانه وتعالى بقسط وافر من الذكاء والفهم ، ولكن عبس
بوجهن الزمن ، وعاكسن القدر ، فانطوين على انفسهن وراء متابع الحياة
ومماندة الظروف ومصاعب العيش .

وقفن حائرات متطلعات الى موكب الحياة الصاخب ... بنفوس ملتاعة
حساسة ... وقلوب حية ... وشعور فياض :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تستهي السفن

أجل بعد ان عبس بوجهن القدر ، وتنكترت لهن الايام وقفن ذاهلات ...
مت Hurricanes ... متألمات ... متاؤهات يكتبن الحس والشعور والمواهب
والذكاء والفهم ... يواجهن حقائق الدنيا الصلدة متخاذلات متقدادات وبها
كتب الله لهن قانعات ... على امرهن مغلوبات ... وعلى جور المتعنتين
والمتزمنين صابرات .

وقانا الله شر الجهل والجور والظلم وهداها جميعاً لسلوك طريق الصواب .



نظرة الشباب الطانش إلى العلم :

ان اكثريه جيلنا المتطور يرون أن العلوم الجديرة بالبحث ، والتي يجب ان توجه اليها الانظار وأفكار الناشئة إنما هي العلوم التي تصل بها الشعوب إلى غاياتها المادية من استعباد وبطش واستهار ، واستئثار الضعفاء .

وما عدا هذه العلوم ما هي إلا سفسيطات من مخلفات الماضي ، شغل بها العلماء أوقات فراغهم .

لقد راجت الدعاية الاجنبية ، وسلم الكثير من الناس بأن الأوروبيين هم أصحاب العلم والاختراع ، وأن علماءنا يستولى عليهم الجمود ، ليس لهم من الذكاء أو العقل المبدع ما يمكنهم من مواكبة ركب الحضارة والرقي ، لأن عقول الشرقيين بسيطة ساذجة .

وعندما تكون أهل الأهواء والأغراض من نفث سمومهم ، وتحدرت العقليات ، وانصرف الناس عن الدين وتعاليمه السامية . وعن تراث الاجداد العظيم .

وانصرف الناس أيضاً عن العلماء الخصيين حاملي لواء الدين والمعرفة الذين تزخر صدورهم بالعلم والفضل وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم .

وبعدما رسخت هذه النظرية (نظرية تفوق العقل الأوروبي المبدع على



العقل الشرقي الساذج)^(١) في عقول الناس عندها أصبح دعاء العلم والفضيلة لا يسمع لهم قول ولا يطاع لهم أمر كما قيل :

انادي وهل في الحقيقة مصنع فيسمع اهم نوم أم ساحة الحقيقة بلقمع
ربما لا يعجب هذا القول الكثير من الناس ، وقد ينعتني بعضهم بالرجعيّة .
لأننا أصبحنا في زمان دان فيه العالم باديان مختلفة من المادة والضلالة وأصبح
الجيل الصاعد المتتطور يسخر بالدين ... ومن يتكلّم بالدين .

ولكن ما لنا وهؤلاء الأغيبياء الجهلاء ، الذين ارتكسوا في حماة الضلال لا
يفهمون ما يقولون ولا يعرفون ما يفعلون .

فالواجب يدعونا جميعاً للتحرر من تأثير الدعايات الاستعمارية ، والسموم
للحاديد .

(١) يقول الدكتور جواد علي في كتابه : « المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام الجزء الأول ص ٢٥٧ .

وقد شاعت نظرية خصائص العقلية السامية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ،
روجت لها رواجاً كبيراً لظهور بعض الآراء والمذاهب ، التي مجده العقلية الأوروبية ،
وسبحت بحمدها وقالت بتفوق العقل الغربي الخلاق المبدع ، على العقل الشرقي الساذج البسيط .
ورمز العقل الشرقي هو العقل السامي ، فهو لذلك عقل ساذج بسيط .

ومن أشهر مروجي هذه النظرية الفيلسوف (رينان) ١٨٩٢ - ١٨٢٣ م
(Graf Arthur Cobineau) ركذلك (كراف كوبينو) Ernest Renan

وهو من القائلين بتهايز العنصرية ويتفوق ببعضها على بعض ، وسيادة العقلية
الأوروبية على سائر العقلية - ومنهم أيضاً (هولتن ستيرورات شامبرلن) : ١٩٢٧ - ١٨٥٥ م

Hausten Stewart Chamberlain



يجب ان نهض متكلفين لتشييد القواعد الإسلامية في نفوس المسلمين من ناشئة وبالغين ، ونخن نملك الرصيد الروحي الكبير في صفائه ونقائه .

وحرى بالمؤمنين وعداء المسلمين، ودعاة الاصلاح ان يعرضوا الإسلام بطريقة غير منفرة ، تحفظ الإسلام على المسلمين ، وتحل جميع المشكلات ... ومتى حل الإسلام في النفوس صدرت الأعمال صحيحة وفقاً لتعاليمه ... وقوانينه .

التوعية الدينية :

لقد كثر في بلادنا العربية عدد كبير من المرشدين والواعظين ، والخطباء ولا سيما في وقتنا الحاضر . فقد نهض الكثير من الفتىان والفتيات بقيادة بعض المرشدين المتجlibيين بحلباب الدين ، وقد ضاقت بهم الاندية والمجتمعات ، واصفى الكثير إلى خطبهم الرنانة مملوءة بالحكم والمواعظ والدعوة إلى الدين واتهاج الصراط المستقيم .

كم سرنا بهذه الخطوة المباركة ، من أهل الاصلاح والرشاد ، الذين مسح الله سبحانه وتعالى على جيابهم بزيت النباهة والنبوغ ، واقامهم جنوداً للحق والحرية والعدالة والاصلاح الاجتماعي كما يدعون

اليسوا هم من اولئك المجاهدين المناضلين الذين وقفوا حياتهم على خدمة الأمة والدين ؟

ولكن يا للأسف ... اقوها ونفسي تذوب اسى ولوعدة كم من القادة المداة ... والصلحاء والداعية قد بحث أصواتهم وانتفخت أوداجهم ، وهم يحرضون الناس على سلوك طريق الإيهان واطاعة الرحان ، ونزع الشهوات



ومعيبة الشيطان . داعين إلى انتهاج سبيل الحق ، والتغلق بالأخلاق الإسلامية السامية ، ومزايا الدين العظيم .

ولكن لم يمض زمن طويل حتى ظهر من بعضهم الانحراف عن الاخلاص في العمل ، ولم يكن القصد من وراء أقوالهم وأفعالهم إلا المصالح الشخصية ، والغايات الذاتية ، يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ... وكما قال الجرجاني :

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظها
ولكن اذلوه جهاراً ودنسوا حياء بالاطماع حتى تجها
واستمتع العذر ... إذا ردت قول الشاعر :

نحن في اية حال معكم لو فطنا لقضينا عبيبا
ان سكتنا مسنا الفر ... وان ذحن لم نسكت اسئنا الادبا

وقانا الله وإيام من سوء الأقوال ... وخبت التوابيا ... ومضار الأفعال .

ونسأل الله خارعين إلى مجده عزته أن يأخذ بيد جميع العاملين في خدمة الدين ، والمشتغلين في سبيل العلم والعمل الصالح .

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

« ما كل من رأى شيئاً قدر عليه ، ولا كل من قدر على شيء وفق له ، ولا كل من وفق له أصاب موضعًا ، فإذا اجتمعت النية والمقدرة والتوفيق والإصابة فهناك السعادة »^(١) .

(١) عن مجلة العرفان .



الزواج ... الرابطة للدسرة :

جعل الإسلام الزواج وسيلة لربط الرجل بالمرأة ، وقضى على فوضى الجاهلية في الأمور الجنسية ، ورفع من شأن المرأة وأبعدها عن أن تكون مجرد متعة .

قال تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً » ^(١) .

فقال « لتسكنوا إليها » أي لتطمئنوا ... ولم يقل « لتنتموا ... أو لتتلذذوا » فالمرأة وسيلة للطمأنينة والراحة والود الذي يجعل الرابطة قوية بين الرجل والمرأة .

وقد أوصى الرسول ﷺ ، الرجل أن يعاشر زوجته بالإحسان والمعروف فقال : « استوصوا النساء خيراً » وقال أيضاً : « خيركم خيركم لأهله » .

وفي سبيل المحافظة على طهارة المرأة ، وعزتها حتى لا تكون متعة رخيصة ، يتناقلها الرجال كما كانت حالة المرأة في أيام الجاهلية قبل الإسلام فقد حرم الله الزنى ، وحضر على الاحسان ، ومنع البغاء ، حيث قال : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً » ^(٢) .

وجعل عقوبة الزنا شديدة قاسية للرجل والمرأة . وفي مباني تكميله المنهاج

(١) سورة الروم - آية - ٢١ .

(٢) سورة الاسراء - آية - ٣٢ .



عن أبي عبدالله (ع) قال : (الحر والحرث إذا زنيا جلد كل واحد منهما مائة جلدة ، فاما المحسن والمحسنة فعليهما الرجم) (١) .

وجاء في الوسائل^(٤) إن امرأة أقرت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالزنا أربع مرات ، فأمر قبر فنادى بالناس فاجتمعوا ، وقام أمير المؤمنين عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن امامكم خارج بهذه المرأة الى هذا الظهر ، ليقيم عليها الحد انشاء الله ، فعزم عليكم أمير المؤمنين لما خرجم وانتم متتكرون ، ومعكم أحجاركم ، لا يتعرف منكم أحد الى احد ، فانصرفو الى منازلكم انشاء الله .

قال : ثم نزل ، فلما أصبح الناس بكرة خرج بالمرأة وخرج الفاس معه متنكرين متلثمين بعهائهم وبأرديةتهم والحجارة في ارديتهم وفي أكمامهم حتى انتهى بها والناس معه الى الظهر بالکوفة فأمر ان يحفر لها حفيرة ثم دفنه فيها .

ثم رَكِبَ بغلته وأثبتت رجله في غرز الرّكاب ثم وضع أصبعيه السبابتين في أذنيه ونادي باعلى صوته :

أيها الناس إن الله عهد إلى نبيه صلى الله عليه وآلله عهدأً عهد محمد صلى الله عليه وآلله إلی بأنه لا يقيم الحد من الله عليه حد فمن كان لله عليه مثل ما له عليها فلا يقيم عليها الحد .

قال : فانصرف الناس يومئذ كلهم ما خلا أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام . فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحد يومئذ وما معهم غيرهم .

^١ - مباني تكميله المنهاج لجامعة الاسلام السيد الخوئي - ج ١ - ص ١٩٧ .

٢ - كتاب وسائل الشيعة - للحضر العاملی - ج - ۱۸ - ص - ۳۴۱



حول استقرار المرأة في بيتها :

أسئلة تردد ، طبل لها وزمر كثير من الفتيات والفتىان ، وقالوا : **كيف يكون الإسلام انصف المرأة وكيف اعطها حقوقها وحريتها ؟** والقرآن الكريم قد امر المرأة كما في قوله تعالى : (وقرن في بيتكن)^(١) ، فما هذا السجن الدائم للنساء ، ايصح ان يجعل الإسلام المرأة حبيسة البيت ، رهينة الجدران .

والجواب : هذا افتراء على الإسلام وزعم فاسد ، يدل على شيئاً : أما عدم فهم المراد من الآية الكريمة ... وأما الجهل باللغة وأساليبها .

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المرأة في جميع الشرائع الساوية ان تقر في بيتها للقيام بشؤونه ، والعناء بامور الأسرة ، وتربية الأولاد ، والإشراف على مملكتها الصغيرة .

ان المرأة المسلمة ، هي التي تعمل بما أمرها الإسلام به ، وما أوجبه عليها من حقوق ، شأنها في ذلك شأن كل فتاة تربت تربية فاضلة ، مستمدۃ من روح الدين ، وحقيقة الإيمان ما يجعلها قدوة لنساء العالم .

فهي تعرف كيف تعنى بترتيب منزها ، وتربية أولادها وسعادة زوجها .

لم يجعل الإسلام المرأة في سجن كما يفندون ، بل أباح لها بعد ان تم واجباتها المنزلية ، ان تخرج من بيتها بطلب علم ينفعها ، في دينها ودنياهما ، أو لزيارة

١ - سورة الأحزاب - آية - ٣٣ - وفي بجمع البيان في تفسير القرآن (وقرن في بيتكن) أمرهن بالاستقرار في بيوتهن ، والمعنى اثبن في منازلکن والزمنها - أو كن أهل وقار وسکينة .



أهلها أو أقاربها أو صديقاتها أو للتنزه والترويح عن نفسها بعيدة عن أماكن الريب مع زوجها أو ابتها ، أو أخيها ، أو غيرهم من محارمها ، أو مع صديقات لها معرفات بالحشمة والأدب والدين والأخلاق الفاضلة ، والسمعة الطيبة . وكما قيل :

صاحب أخا ثقة تحظى بصحبته فالمراه مكتسب من كل مصحوب
والريح آخذة مما تمر به نتنا من النتن أو طيباً من الطيب

أما ان ترك المرأة بيتهـا وتخـرـجـ للتنـزـهـ فيـ أـمـاـكـنـ الـرـيـبـ وـالـشـبـهـاتـ أوـ الجـلوـسـ فيـ المـقاـهيـ «ـ وـالـكـازـينـوهـاتـ »ـ أوـ التـجـولـ فيـ الـأـسـوـاقـ وـالـطـرـقـاتـ ،ـ لـغـيرـ حاجـةـ أوـ ضـرـورـةـ ،ـ تـلـينـ القـوـلـ هـذـاـ ،ـ وـتـماـزـحـ ذـاكـ ،ـ وـتـبـشـ فيـ وجـهـ آخرـ وـقدـ نـهـىـ اللهـ تـعـالـىـ عـنـ ذـلـكـ :ـ «ـ فـلـاـ تـخـضـعـنـ بـالـقـوـلـ فـيـ طـبـعـ الذـيـ فـيـ قـلـبـهـ مـرـضـ وـقـلـنـ قـوـلـاـ مـعـرـوفـاـ »ـ (١)ـ .ـ

وهـذاـ الفـعـلـ لمـ يـأـذـنـ بـهـ اللهـ سـبـحـانـهـ ،ـ وـلـاـ يـرـضـيـ مـنـ عـنـدـهـ أـدـنـىـ ذـرـةـ مـنـ شـرـفـ النـفـسـ ،ـ وـالـشـهـامـةـ وـالـإـبـاءـ وـالـغـيـرـةـ .ـ

كـمـاـ لـاـ تـرـضـيـ بـهـ حـرـةـ ،ـ تـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ ،ـ أـوـ عـنـدـهـ مـنـ كـرـيمـ الـخـلـقـ ماـ يـرـبـاـ بـهـ ،ـ اـنـ تـرـدـ هـذـهـ الـمـوـارـدـ .ـ

وـمـنـ الـوـاجـبـ عـلـىـ الـمـرـأـةـ الـفـاضـلـةـ الـعـاقـلـةـ ،ـ إـذـاـ خـرـجـتـ مـنـ بـيـتـهـاـ لـحـاجـةـ أوـ لـضـرـورـةـ ،ـ أـوـ لـلـتـرـوـيـحـ عـنـ النـفـسـ ،ـ تـخـرـجـ فـيـ حـشـمـةـ وـادـبـ ،ـ يـحـوـطـهـ مـاـ الـخـاقـ

(١) سورة الأحزاب آية - ٣٢ .

وـفـيـ مـعـجمـ الـبـيـانـ فـيـ تـفـيـرـ الـقـرـآنـ لـالـطـبـرـيـ (ـ فـلـاـ تـخـضـعـنـ بـالـقـوـلـ)ـ أـيـ لـاـ تـرـقـقـنـ الـقـوـلـ وـلـاـ
تـلـنـ (ـ هـكـذـاـ وـرـدـتـ وـلـاـ تـلـنـ)ـ الـكـلـامـ لـالـرـجـالـ وـلـاـ تـخـاطـبـنـ الـأـجـانـبـ مـخـاطـبـةـ تـؤـدـيـ
إـلـىـ طـمـعـهـمـ (ـ وـقـلـنـ قـوـلـاـ مـعـرـوفـاـ)ـ أـيـ مـسـتـقـيمـاـ جـيـلاـ ،ـ بـرـيـثـاـ مـنـ التـهـمـةـ بـعـيـداـ عـنـ الـرـيـبـ ،ـ مـوـافـقـاـ
لـلـدـينـ وـالـإـسـلـامـ .ـ



الطيب ، والتربيـة الحسنة متـأدبة في مشـيتها ، غـاصة من طـرفـها ، غـير مـبدـية زـينـتها ، ولا مـتكـسـرة ، ولا مـتـشـنـية في خطـواتـها ، ولا لـافتـة إـلـيـها أـنـظـارـ الجـهـلةـ والـمـسـتـهـرـينـ . وـلـيـسـ الـأـمـرـ بـاـنـ تـلـازـمـ الـمـرـأـةـ دـارـهـاـ خـاصـاـ بـالـإـسـلـامـ ، كـمـاـ يـتـوـهمـ أـوـ يـظـنـ الـبـعـضـ ، فـقـدـ جـاءـ فـيـ رـسـالـةـ بـوـلسـ^(١) إـلـىـ طـيـطـسـ^(٢) فـيـ مـوـضـوـعـ كـلـامـ عـنـ النـسـاءـ قـالـ يـحـبـ عـلـيـهـنـ بـاـنـ يـكـنـ مـتـعـقـلـاتـ ، مـلـازـمـاتـ لـبـيـوـتـهـنـ ، خـاصـعـاتـ لـرـجـاـهـنـ .

وـقـالـ مـخـاطـبـاـ (ثـيـموـثـاـوسـ) : لـسـتـ آـذـنـ لـلـمـرـأـةـ اـنـ تـتـعـلـمـ ، وـلـاـ تـتـسـلـطـ عـلـىـ الرـجـلـ ، تـكـوـنـ فـيـ سـكـونـ دـائـمـ ، لـأـنـ آـدـمـ جـبـلـ أـوـلـاـ ثـمـ حـوـاءـ .

الرـجـالـ قـوـامـونـ عـلـىـ النـسـاءـ :

نـخـنـ نـرـىـ أـعـدـاءـ الدـيـنـ وـأـصـحـابـ الـأـهـواـءـ قـدـ انـكـرـوـاـ عـلـىـ إـلـاسـلـامـ قـيـامـ^(٣) الرـجـلـ عـلـىـ الـمـرـأـةـ ، وـرـاحـوـاـ يـنـفـخـوـنـ فـيـ أـبـوـاقـ الـفـتـنـةـ قـدـ اـتـخـذـوـاـ مـنـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ مـادـةـ لـلـطـعـنـ بـعـدـمـ فـسـرـوـهـاـ عـلـىـ الـعـكـسـ ، وـحـسـبـ مـاـ يـرـيدـونـ وـيـفـنـدوـتـ .

اـنـ الـقـرـآنـ لـاـ يـعـلـمـ تـأـوـيـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـلـاـ يـفـهـمـ مـعـنـاهـ إـلـاـ الرـاسـخـوـنـ فـيـ الـعـلـمـ ، فـتـبـصـرـوـاـ يـاـ اـوـلـيـ الـأـلـبـابـ .

قـالـ تـعـالـىـ : «ـ الرـجـالـ قـوـامـونـ عـلـىـ النـسـاءـ بـاـ فـضـلـ اللـهـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ بـعـضـ وـبـاـ

(١) بـوـلسـ الرـسـولـ هـوـ أـحـدـ تـلـامـذـةـ السـيـدـ مـسـيـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـمـنـ الـخـوارـيـنـ .

(٢) طـيـطـسـ هـوـ أـحـدـ الـخـلـصـيـنـ الـذـيـنـ سـاعـدـوـاـ السـيـدـ مـسـيـحـ عـلـىـ نـشـرـ الـكـتـابـ الـقـدـسـ .

(٣) الـقـيـامـ : بـعـنىـ الـحـافـظـةـ وـالـاصـلـاحـ كـمـاـ عـنـ تـاجـ الـعـرـسـ لـلـزـيـمـيـ .



أنفقو من أموالهم ،^(١) .

إذا امعنا النظر نجد ان الإسلام ، حفظ للمرأة جميع حقوقها غير منقوصة وانها في ظل الإسلام ارتفع وضعها وجعلها شريكة للرجل في جميع مرافق الحياة وهي مساوية له ، لها انسانيتها وكرامتها كما أسلفنا .

لقد جعل الله سبحانه للرجل حق القيام باصلاح المرأة ليس تقليلاً من كرامتها ، واحتقاراً لها كما يدعى المفترضون ولم يبخسها حقاً مقرراً في الحياة الاجتماعية ... بل العكس .

لقد قيد الإسلام الرجل بواجبات النفقة والرعاية ، من توجيهه وتعلم وإدارة ، وهو مسؤول عن كل خطأ أو تقصير .

ففي الحديث الشريف (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته) وبما أن الرجل مسؤول عن أهل بيته ، فقد جعل الله له هذا الحق ، وهي الرعاية وحسن الإدارة ، والتوجيه الديني ، والتأديب الخلقي ، قال تعالى يمدح النبي إسماعيل عليه السلام : (وكان يأمر أهله بالصلة والزكاة وكان عند ربه مرضياً)^(٢) .

وقال تعالى : (وأمر أهلك بالصلة واصطبر عليها لا نسانث رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى)^(٣) .

(١) سورة النساء - آية - ٣٤

ففي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (الرجال قوامون على النساء) اي قيمون على النساء مسلطون عليهم في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم ، وعن مجمع البحرين في اللغة للطوريحي : علل هذه الآية بقوله لهم عليهم قيام الولاية والسياسة .

(٢) سورة مریم - آية - ٥٥

(٣) سورة طه آية - ١٣٢



لقد فضل الله سبحانه الرجل على المرأة ، وجعل له القيمة وقيمه بهذه المسؤولية وال婷عات ، وأمره أن يتحملها صاغراً وهو عنها مسؤول .

ولكن هل حفظ كرامتها ؟ .. هل رعاها بكل لطف وحنان ؟ .. هل قام بواجباته الدينية ، والخلقية تجاهها ؟ .. وأدى دور القيمة التي خولها له الإسلام في دائرة النصح والإرشاد والتوجيه والإعالة ؟ .

كلا .. لقد أخذ بعض الرجال الغرور والكبراء والجهل فاتخذ من القيمة أداة للسلط على المرأة وإذلالها واضطهادها واذيتها . وكما قيل :

إذا كان ذنب المسلم اليوم جهله
فهذا على الإسلام من جهل مسلم

يقول الشيخ محمد عبده في كتابه المنار^(١) :

« المراد بالقيام هنا هو الرئاسة التي يتصرف فيها المرؤوس بارادته و اختياره وليس معناها أن يكون المرؤوس مقهوراً مسلوب الإرادة ، لا يعمل عملاً إلا ما يوجهه إليه رئيسه فإن كون الشخص قياماً على آخر ، هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده إليه ، أي ملاحظته في أعماله وتربيته » .

فالرجل قوام على المرأة للمحافظة عليها وكفایتها كل ما تحتاج إليه من مأكل وملبس ، وجميع مصاريفها ، كل على حسب استطاعته وسعته ، وبحسب وضع المرأة الاجتماعي .

فالقوامون هم الرعاة ، ومن قام على أمر كان له حافظاً وراعياً .

(١) تفسير المنار - للشيخ محمد عبده - ج ٥ - ص ٦٨



وهل قيام الرجل على اهل بيته إلا للمحافظة عليها من كل مكروره ،
ورعايتها من كل اذية تصدر عن أهل السوء قال رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم :

« كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول ، فالامام راع وهو مسؤول ، والرجل
راع على اهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ،
والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول . .

تقول الدكتورة بنت الشاطئ^(١) : « ويحضرني الآن حديث لعمر بن الخطاب ، استجلي فيه ملامح الزوج الرسول وضادة مشرقة ، وآراء صادق الدلالة على شخصية محمد الرجل الانسان .

قال عمرو (رض) « والله اذا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء امراً حتى انزل الله تعالى فيهن ما انزل ، وقسم لهن ما قسم » .

فبيتها أنا في أمر اثمره اذ قالت لي امرأتي : لو صنعت كذا... وكذا؟...

فقلت لها : وما لك انت ؟ ولما ها هنا ؟ وما تتكلفك في أمر اريده ؟

فقالت لي : عجبًا يا ابن الخطاب ! ما ت يريد أن تراجع أنت ... وان ابنته
لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان ... !

قال : فأخذت ردائي ، ثم انطلقت حتى ادخل على حفصة فقلت لها :
يا بنتي انك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان ؟.

١ - ترجم سيدات بيت النبوة الدكتورة بنت الشاطئ .



فقالت : « إنا والله لنرحمه »

قال : « ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرباني منها فكلمنتها
فقالت لي :

«عجبًا لك يا بن الخطاب!... قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي ان
تدخل بين رسول الله ﷺ ... وازواجه؟!»

فأخذتني أخذًا كسرتني به عن بعض ما كنت أجده ..

كثير من الناس لا يزالون من قديم الزمان الى عصرنا الحاضر ، قد اعتمهم الانانية وحب الذات لا يعرفون من أمر هذه الدنيا سوى جلب المنفعة لأنفسهم وارضاء شهواتها ، ولو على حساب الضعفاء . وهم في كل أمة ... وفي كل مكان .

فلو اسقطنا الوصاية ... والوكالة عن الرجال والقيمة على النساء ، لرأينا عجباً من الفوضى ، والاضطرابات الاجتماعية ، وارتكاب المنكرات .

ويجب على كل رجل أن يقوم بواجباته ، وبما أقي عليه من التبعات ، كالإنفاق على عياله ومعاشرتهم بالحسنى ، وتعليم أهل بيته أمور دينهم من الحلال ، ونهيهم عن الحرام ، لجعلهم من عباد الله الصالحين ، وابعادهم عن سبيل الشر ، وأهل السوء .

اذ لا نجاة من النار وغضب الجبار ، إلا باطاعة الله وتفهم الدين ، وتنفيذ
أحكامه . قال تعالى :



(يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم وامهلكم ناراً وقودها الناس
والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون)^(١) .

نظام الاسرة في الاسلام :

ينشئ نظام الاسرة في الاسلام من معين الفطرة ، واصل الخلقة ، وقاعدة
التكوين الأولى للحياة جيماً وللمخلوقات ، (وَرَبَّنَا شَيْءٌ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعْلَكُمْ تذَكَّرُونَ)^(٢) .

فالأسرة هي نواة المجتمع الصالح ، الذي فرضته الشريعة السماوية ،
لاستمرار الوجود ، ولتكون الملجأ الوحيد لنظام الاسرة (بيت الزوجية) .

نرى أن دستور الاسرة هو جانب من التنظيم للقاعدة التي تقوم عليها الجماعة
المسلمة ، والمجتمع الاسلامي ، هذه القاعدة التي احاطها الاسلام برعايته ، وبذل
الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في تنظيمها وحمايتها وتطهيرها من فوضى
الجاهلية ، وشوائب العادات والتقاليد جهداً كبيراً .

١ - سورة التحرير - آية - ٦ - .

٢ - سورة الذاريات - آية - ٤٩ - .



ثم ان القرآن الكريم ، أخذ يبحث على الاستقرار ، واقامة البيوت لتركيز
دعائم الاسرة . قال سبحانه وتعالى :

(يا أيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منها رجالاً ونساءً واتقوا الله الذي تساءل عن به والارحام ان الله كان عليكم
رقيباً) ١١ .

٢ - سورة النساء - آية - ١ -

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي - قيل ان المراد به بيان كمال قدرته قال الذي
قدر على خلقكم من نفس واحدة ، فهو على عقابكم اقدر ، فيتحقق ، عليكم ان تتركوا
خالفته ، وتتقوا عقوبته ، وقوله (الذي خلقكم من نفس واحدة) المراد بالنفس هنا آدم عند
جميع المفسرين (وخلق منها زوجها) يعني حواء عليهم السلام ، ذهب اكثر المفسرين الى انها
خلقت من ضلع من اصل ا adam ، (وبث منها رجالاً كثيراً) أي نشر وفرق من هاتين النسرين
على وجه التناول رجالاً ونساء ، وإنما من علينا تعالى بان خلقنا من نفس واحدة ، لأنه اقرب
إلى ان يعطف بعضاً على بعض ، ويرحم ببعضنا بعضاً ، لرجوعنا جميعاً إلى اصل واحد وذلك
ابلغ في القدرة وادل على العالم والحكمة .



صفات الزوجة الصالحة :

من امعن فكره ونظر بنبراس عقله ، تحقق لديه ان معظم الشقاء والتعاسة والآلام التي تصادفها أكثريه الناس في حياتها صادرة عن جهل النساء اللواتي يفتقرن إلى المعرفة ، والأداب النفسيه ، وحسن التدبير .

فكم من امرأة هدمت بيتها بسوء تدبيرها ، وقلة معرفتها ، وجهلها .

وما نفع ابي العائلة إذا جد وسعى ، ومها انتج ، إذا كانت عنده امرأة تبدد أمواله ، وتفسد تربية أطفاله ، لعدم تعقلها ، وسوء تدبيرها .

فمن الواجب تعلم الفتيات المبادئ ، الصالحة ، وتربيهن عقولهن بالحكمة ، وحملهن على حب الفضيلة .

ان الزوجة الصالحة ، هي التي تمتاز بدينه وأديبها ، وبأفكارها الطاهرة الشريفة ، وبشعورها بالمسؤولية ، الملقاة على عاتقها وبأخلاقها الكريمة ، الانيسة ، وبصبرها الجميل على تقلبات الدهر ونكبات الزمن ، وعريكتها اللينة ، وعفتها النقية ، وسياستها الحكيمه .

ترى الزوجة الصالحة ، الرشيدة العاقلة ، مرتدية ثوب النظافة واللياقة ، تتمشى على حدود الاعتدال والاقتصاد على جميع متطلبات الحياة ، فتحمل زوجها ونفسها على العمل وترك الكسل ، وطرد التساؤم .

والزوجة الصالحة ، هي التي تنہض في الصباح الباكر ، متسلبة بالقوة



والنشاط ، لترتيب أشغال النهار ، والقيام بمهام منزلاً ومسؤولياتها ، فتكون ينبع سعادة زوجها ، وفخر أولادها الذين يسمعون أناشيد مدحها من أبيهم وأقاربهم وغيرهم فيهمون طرباً ، ويزيدون من اكرامها وتعظيمها .

هذه هي الزوجة التي ترفع شأن الإنسانية الصحيحة و تعمل في دفع عجلة التقدم والرقي . وتقدم للبشرية أجل خدمة وأشرف عملاً . فانها بتربيتها الصالحة المقرونة بالدين والإيمان ، تستطيع أن تؤثر على المجتمع أكثر من الخطب الرنانة والمحاضرات الضخمة والإنذار والتوبیخ . وبدون جهودها الجباره لا تفيـد وسائل التقدم والحضارة ما دام غشاء الجهل قد اعمى الكثـيرـين وخـيـمـ فوق رؤوسـهمـ الفـرـورـ .

واجبات الزوجة ... الصالحة :

إن واجب الزوجة نحو زوجها فرض مقدس ، سنة من قبل الخالق سبحانه وتعالى ، وامال هذا الواجب وعدم القيام به يعود على المرأة بشقاء مستمر ، إذ أنها فضلاً عن التقصير الديني تخسر محبة زوجها ، وإخلاصه لها وثقته بها . وبالعزم الخسارة ...

يصرف الزوجات حياتها في نكد وخصام ، بخلاف ما إذا قامت الزوجة بواجباتها الاجتماعية والدينية ، وما يتطلبه مركزها كربـةـ بـيـتـ ...ـ وـسـيـدةـ اـسـرـةـ .

فإذا أدت واجبها بـاخـلـاصـ وـأـمـانـةـ ، فإن السـعادـةـ تـظـلـلـهاـ بـأـجـنـحـتهاـ وـالـبرـكـةـ



والسلام ، والإيهان والإطمئنان يأويان منزلاً ، وقد أطنب الناس بالزوجة الصالحة كما قيل :

نبغ الفتاة العاقلة الأمينة ذات الكمال العفة الرزينة

فكم من امرأة هدمت بيت الزوجية وعشها الهنيء بسوء تصرفها ، وعدم معرفتها بالواجبات الزوجية المقدسة واستهتارها باوامر الدين .

تلك التي يسود في بيتها الخصام والشقاق . تفر السعادة من أمامها وتكون حياتها مع زوجها عبارة عن سلسلة متصلة حلقاتها بالمرارة والويلات ، مرتبطة أجزاؤها بالمصائب والتشمدات ...

مع انه كان بوسعمها لو تتقى هذا البلاء العظيم بقليل من الصبر والتعقل ، وتعمل ما يفرضه عليها الدين والأدب من الواجبات نحو زوجها وبيتها وأطفالها .

يجب ان تتأكد الزوجة بان سعادتها وسعادة زوجها موقوفة على محبتها ، وحقيقة ثقتها وإخلاصها له ، ومدى تفانيها في تحقيق جميع حاجاته ورغباته ضمن نطاق الشرع والدين .

كما يجب على الزوج ان يقوم بخدمة زوجته ، يفعل كل ما يسرها ويصلح شؤونها وكما قالت تلك الإعرابية لابنتها : « كوني له أمة ... يكن لك عبداً » .

ولا تنسى الزوجة انه من الواجب عليها ان تعمل بقلب فرح إذا لم يكن احب إلى الرجل من الزوجة البشوش ، لأن البشاشة تنير وجهها وتكسبه رونقاً وجمالاً وان يكن غير جميل وكما قيل :



ليس الجمال بثغر فاعلم وان رديت بربا
ان الجمال معادن ومناقب اورثن مجدًا

ان الفتاة الجميلة المتكبرة الرعناء ، المغرورة يحيطها المتهاونه في دينها
وآدابها التي تصنع بعد زواجها حنجرة كدرة ، ولساناً سليطاً ، لا يهمها إلا
نفسها وزينتها ... فإن حياتها البيتية تكون جحيمًا لا يطاق .

ولا تقدر هذه الزوجة المغرورة ان تواجه اللوم إلا على نفسها ، إذا أخذ
زوجها بالتبسم والتذمر . وأخذت يتغيب عن المنزل لأن من طبع الرجل كراهة
الوجه العبوس المقلب والسعنة الشكسة .

ان اجمل حياة يحيطها الإنسان ، في منزل تديره زوجة مخلصة وفية ذات
دين وحياة وأدب ...

زوجة تلقي زوجها بوجه طلق ومحيا بشوش يزيل عنه التعب ، وتهدي
اليه من مكارم أخلاقها وعذوبة ألفاظها لطفاً وحلوة يأخذان منه
بعامع قلبه .

تنظر اليه بالاحاطه العطف والفتنه والذكاء ، فتعيره نشاطاً جديداً ، وتسهل
أمامه طريق الخير لاجتياز مصاعب الحياة ومتاعب الزمن .

اجل زوجة صالحة مثاليه تشارط زوجها همه واتعابه ، وقد ارتسم على
جيئنها التعقل والحلم والرصانة وتزيينت بالدين والفضل والعفاف وكريم الخلق
هي أجمل ما يلقاه الإنسان في حياته :

وعن انس بن مالك عن النبي ﷺ ، قال :

« الا اخبركم بنسائكم في الجنة ؟ » قلنا بلى يا رسول الله قال :



و الا اخبركم بنسائكم في الجنة ؟ » قلنا : بسلي يا رسول الله قال : « كل ودود ... ولود .. إذا غضبت أو أسيئه إليها ، أو غضب زوجها لحق ... قالت : هذه يدي في يدك لا اكتحلا بغمض حق ترضي ... »^(١).

وقد تغنى الشعراه بأوصاف المرأة الصالحة قال بعضهم :

وأول احساني اليكم تخيري
لما جدة الأعراق بادي عفافها
وقال بعضهم لبنيه :^(٢).

« قد أحسنت اليكم صفاراً ، وكباراً ، وقبل ان تولدوا » . قالوا له : « وكيف أحسنتلينا قبل ان نولد ؟ » فأجاب : « اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها » .

وقيل ان فاطمة بنت الخرشب رمت نفسها من المودج حين أسرت ، فماتت ل ساعتها وهي تقول : « المنية ... ولا الدنيا » . وقال احمد :

لا أتزوج امرأة حتى انظر الى ولدي منها ، قيل له :
كيف ذلك ؟ قال : أنظر الى أبيها وأمها . فإنها تجر بأحددهما .

وأول خبث الماء خبث ترابه
وأول خبث القوم خبث المناصح
وفي الحديث الشريف عن الرسول ﷺ قال :

١ - الترغيب والترهيب للمنذري ج - ٤ .

٢ - عيون الاخبار لابن قتيبة.



« ثلاثة من سعادة المرء ، ان تكون زوجته صالحة ... و اولاده ابراراً ... و خلطاؤه صالحين » .

وعن ابن عباس رضي الله عنها عن النبي (ص) قال :

« خيركم ... خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » ^(١) .

وعن عائشة (رض) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « : ان من أكمل المؤمنين إيماناً ، احسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » ^(٢) .

وعن انس بن مالك (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « من تزوج امرأة لعزاها ، لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوج امرأة لما لها لم يزده الله إلا فقرأ ، ومن تزوج امرأة لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يردها إلا ان يغض بصره ، ويحصن فرجه أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ... وبارك لها فيه » .

وفي رواية « ذات دين وايات وورع ... فأظفر بذات الدين تربت يداك » ^(٣) .

عن عيون الأخبار أن رجلاً من بني أسد قال : ضلت إبل لي ، فخرجت في طلبهن ، فهبطت وادياً ، وإذا أنا بفتاة اعشى نور وجهها نور بصرى ، فقالت لي : يا فتى مالي أراك مدلتا؟

فقلت : ضلت إبل لي ، فأنا في طلبها ، فقالت : أفادلك على من هي عنده ، وان شاء اعطاكها ... قلت : نعم . ذلك ولك أفضلاها ...

١ - الترغيب والترهيب - للمنذري ج - ٤ .

(٢) الترغيب والترهيب - للمنذري . ج - ٤ .

« تربت يداك » كلمة معناها الحث ، والتحريض .. والترغيب ... والمراد : هنا اظفر بذات الدين ، ولا تلتفت الى حطام الدنيا من مال وجاه وغيره .



قالت : الذي أعطاكم أخذهن ، وإن شاء ردهن فسله من طريق اليقين ، لا من طريق الاختبار .

فأعجبني ما رأيت من جمالها ، وحسن كلامها ، فقلت : ألك بعل ؟ قالت : قد دعي فأجاب : فأعید إلى ما خلق منه .

قلت : فيما قولك في بعل ، تؤمن بوائمه ولا تندم خلائقه ؟ .. فرفعت رأسها ، وتتفست وقالت :

كنا كفصنين في أصل غذاؤها ماء الجداول في روضات جنات
فاجتثتْ خيرها من جنب صاحبه دهر يذكر بفرحات وترحات
وكان عاهمدني إن خاني زمن ألا يضاجع انشى بعد مثواتي
وكنت عاهدتة إن خانه زمن ألا أبوه بيعمل طول محياتي
فلم نزل هكذا والوصل شيمتنا حتى توفى قريباً من سنيناتي
فاقتصر عنانك عنن ليس يردعه عن الوفاء خلاف بالتعبيات

هذه قصة امرأة ذات وفاء وإيمان ، غرسه الإسلام في نفسها مع التقوى ...
وأروع من هذه ما ذكر عن نهاية الأرب في فنون الأدب قال : « إن سليمان
بن عبد الملك ، خرج ومعه يزيد بن المهلب إلى بعض جبابين الشام ، وإذا بأمرأة
جالسة عند قبر تبكي .

فجاء سليمان ينظر إليها ... فقال لها يزيد : - وقد عجب سليمان من
حسنها ...

يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين حاجة ؟ فنظرت إليها . ثم نظرت إلى
القبر وقالت :



فان تسألاني عن هواي فإنه
بحوماء هذا القبر يا فتیان

وإني لأستحبه والترب بيننا
كما كنت أستحبه حين يراني^(١)

إلى أين المصير :

يشكوا هذا البلد من حب أبنائه للتقليد ، فما أن تظهر (موضة) أو تطل علينا (تقليعة) جديدة من الخارج ، حتى تتلقفها بلادنا ونكون أول المستوردين .

وهكذا أصبحت بلادنا ذات الماضي العريق ، سوقاً رحباً لجميع الأزياء (البيكني ٠٠٠ والميري ٠٠٠ والميكرو ٠٠٠ الخ) .

وبتأثير هذه النزعة ، كان بلادنا أسرع البلدان الشرقية إلى التغلي عن تقاليد الشرق المحافظ ، والأخذ بنمط الحياة الحديثة ، من لباس كاشف ٠٠٠ ورقص مزدوج ٠٠٠ واستعظام مختلف وما إليها من خلاعات جاء بها المستعمر من بلاده وتركها لنا فتمسكتنا بها وكأنها ارث من تراثنا العظيم .

ورغم التأثير السيء ، والإنكار والاستئثار الذي تركه هذا التقليد في بادىء الأمر ، في أوساط الجيل القديم ، ورجال الدين ، ودعاة الإصلاح وهداة الفضيلة والعفاف . فقد انتهى الأمر أخيراً إلى التسليم بأن هذه الأشياء ، هي

(١) نهاية الارب في فنون الادب - للنويري .



موجة عارمة من موجات العصر الحديث ، وتيار جارف من تيارات الحضارة والمدنية التي ينبغي أن نسايرها ، لأن الزمان ٢٠٠٠ والعصر ، يفرض طابعه على الجميع .

وعلى مر الأيام والليالي ، طورت عقلية الأكثريّة الساحقة من الناس ، فلم تعد ترى في هذه المظاهر ما كانت تراه في بادئ الأمر ، من شناعة أو قبح .. أو خلاعة أو فضائح ، بل أصبحت تجدها أموراً عاديّة ، لا تختلف عن أي أمر عادي من مؤلفات الحياة .

إن قواعد الأخلاق والفضيلة ، لم تتجاهلها إلا المجتمعات المنحلة ، التي كان ابتعادها عن عمود الدين والأخلاق سبب انحلالها .

لتساءل ... هل نضرب نحن صفحًا عن جميع هذه الحقائق لننساق في غرّات النزوات ؟

وهل تقاضى ونعمل ما تملئه عليه رغباتنا ؟ وما يزين الشيطان من سوء الاعمال ؟

ناهيك بمشاعر الشرف والغيرة لدى الإنسان ، وهي المتصلة أو تدق الاتصال بحسن الرجولة والكرامة .

فعندما يهون الشرف يهون العرض ، ويغدو الإحساس بالرجولة والغيرة ، هناك الذلة والمهانة والعار .

فإلى متى هذا الاستهانة ؟ وما معنى الروايات الخلاعية المتزايدة الانتشار ؟ والصور الإباحية العارية ... أن تتحلل غلافات الكتب والمجلات ... ؟ ... وما معنى الفضائح الخجولة التي نقف عليها كل يوم ؟ والحوادث التي تدل على انهيار خلقي مرير لدى الشبان والفتیات ؟



كل هذا في بلاد الإسلام يحصل باسم الحرية التي يتغنى بها الجيل الجديد ،
الذي يدعى التمدن والتطور .

ولكن .. ويا للأسف إذا تأملنا ورجمنا إلى حكم العقل ، نراها معكوسة ،
إذ هي القيد والتقييد .

إنها ليست حرية بالمعنى الصحيح ، بل هي حرية الفوضى ، حرية الشعب السائر على هواه ، دون أي ضابط أو قيد . دون أي رادع أو مانع ، حرية اللصوصية ... حرية القتل ... والسرقة التي انتشرت واستمرت حتى لم تعد حوادثها فردية ، بل غدت ذات طابع عام ، وخصوصاً حرية الفجور والخلاعة والاستهتار التي باتت تهدد مجتمعنا ... ووطننا الحبيب .

فإلى أين نحن سائرون ... ومتى نعود إلى وعيينا وإدراكنا ... وقانا الله من الزلات . ورحم الله الشبيبي حيث يقول في قصيدة العصباء :



وَجَئْتُ رَسُولًا لِّلْحَيَاةِ وَلَا أَرَى
بَكُمْ غَيْرَ حَيٍ فِي مَدَارِجِ مِيتٍ
وَيَسَرْتُ شَرْعًا مَا تَعَنَّتْ نَافِعًا
وَسَرَعَاتٍ مَا مَلَمْ بِهِ لِلتَّعَنُّتِ
وَحَرَمْتُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ بَعْدِ حَلْمِهَا
مَسَاوِيَءَ عَادَتْ بَعْدَ حَيْنٍ فَحُلِّتَ^(۱)

(۱) هذه الأبيات من قصيدة الشيخ الشيباني العصاء (روح الرسول).



المرأة في بده الدعوة الاسلامية

من الدستور الالهي ، ومن التشريع الاسلامي ، ومن سننا الانظمة الحكيمية ، والقوانين العادلة التي جاءت بها دعوة محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم ، تنسّمت المرأة روح الحرية .

ما أروع هذا الكون في تنظيمه ، وأروع ما فيه هذا الناموس الاسلامي العظيم ، الذي جعل لكل فرد من عالم الأحياء القدرة على أن يبرز القوى المادية والمعنوية ، التي تستلزم بقاء الحياة ، فلا قيود ... ولا ظلم ولا تعسف .

استيقظت المرأة من سباتها العميق ، فهبت تنفس عن وجهها غبار السنين ، تسابق الرجال في شتى الميادين ، وتسرع إلى التوحيد والإيمان مصدقة بكلمة الرحمن .

هو الإسلام الذي جعل النساء أخوات الرجال ، كما قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر واثن ...) أكسب المرأة المسلمة صفات جديدة لا عهد لها بها في العصر الجاهلي ، فضلاً عن أنه أثار فيها عواطف التدين والإيمان ، والتطلع إلى حياة أخرى ، هي خير وأبقى .

أجل لقد استيقظت المرأة ، وانبثت مواهب النساء وبرزت كفآآئهن التي كانت مطمورة ترثح تحت أثقال فادحة من قوانين المجتمع الخاطئة ، وتصعدات



العادات الجاهلية والتقاليد الوثنية .

لقد هبت المرأة من رقادها ، وأجابت دعوة الإسلام بقلب ملؤه التقوى ، ونفس فياضة بالإيمان .

إن المرأة ما زالت في كل عصر ومصر تبزّ الرجال بالإخلاص لعقيدتها ومبادئها ، والاندفاع في سبيل إيمانها ، لذلك نرى أن النساء العربيات ، في عهد الرسول الأعظم (ص) والخلفاء الراشدين وما بعدهم بقليل ، كن شريكات الرجال في ثباتهم الاجتماعية الدينية ، ووجهادهن ضد المشركين .

ولا غرابة في هذا ، فإن اختلاف الغايات والحوافز التي تدعو إلى القتال لها الآخر الفعال في تطوير المسائل

فبينما كان الحافز في الجاهلية حب النصر والفاخر أمام الملأ ، أصبح القتال في الإسلام ، هو المساعدة في نشر الدين ، وإدراك الأجر والثواب ، مما يضمن خير الدنيا والآخرة .

فأما النصر والفاخر ... وأما الجنة والنعيم الدائم ... قال تعالى : « إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بهم الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »^(١) .

وما أن سطعت شمس الهدى ، وصعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة المقدسة داعياً ومبشراً ونذيراً ، حتى سارعت المرأة لتساهم بدورها في اعتناق الإسلام ونشره والتصديق برسوله والإيمان بمبادئه .

(١) سورة التوبه - آية ١١١ .



لقد تجلّت في بده الدعوة الإسلامية، البداوة في طلاقتها وما تحويه من ثقافة أدبية وعزّة وإباء وأنفة وعفاف وكرم ومرودة وشجاعة ونجدة ووفاء للذمم . كل هذه المزايا الحميدة احتوتها أحضان شرع عظيم ، وقيادة رسول كريم ، يقيم الحدود ويعيّن الواجبات والحقوق ويقوم العقائد والمبادئ بالعدل والإنصاف والحرية والمساواة .

وبما أن المرأة العربية كانت على جانب من المذلة والاحتقار كما أسلفنا ، فإنها كانت تحتفظ بزوايا فطرية بدوية محمودة ، على رغم تسلط الرجل عليها ، واستئثاره بكل النواحي الاجتماعية . فقد خلق الإسلام في أوساط النساء التقى والورع وحبّ الجهاد في سبيل الله ، والتّفاني في نصرة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآلـه وسلم .

وكان من دواعي نشاط المرأة المساهمة في أعباء الانقلاب الكبير الذي قام به الرسول العربي الكريم في الجزيرة العربية والعالم أجمع . قال الشاعر :

بدي من القفر نور للورى وهدى يا للتمدن عم الكون من بدوي
التفت النساء حول النبي (ص) وعطفن عليه ، فوجد منها المؤمنات الصادقات الشجاعات اللواتي استعدن العذاب في سبيله وسبيل دعوة الإسلام .

ولا بأس من إيراد بعض مناقب المرأة الصالحة وموافقتها في بده الدعوة الإسلامية ليكون خير دليل... وأحسن سبيل للإحاطة بما كان للإسلام من أثر فعال عليها ، وعلى سير حياتها إذ نحن نتحدث عن المرأة في ظل الإسلام .
وأول امرأة أسلمت وأخلصت لعقيدتها ، وواجهت وضحت بكل شجاعة وإخلاص هي أم المؤمنين السيدة خديجة رضوان الله عليها .



أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها :

خديجة أم المؤمنين زوجة الرسول الكريم ، تزوجها صلى الله عليه وآلها وسلم وكان سنه خمساً وعشرين سنة - وخدية يومئذ ابنة أربعين سنة ، وهي أول امرأة دخلت حياته ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

لقد أجمع أهل السير والتاريخ أن خديجة بنت خويد بن أسد بن عبد العزيز ابن قصي^(١) كانت امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش تجارة . فلما بلغها عن رسول الله (ص) صدق الحديث وعظم الأمانة ، وكرم الأخلاق ، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره مع غلامها ميسرة ، فأجابها .

خرج معه ميسرة حتى قدم الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ، فاطلع الراهب رأسه إلى ميسرة ، فقال: من هذا؟؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش ، فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي .

ثم باع رسول الله (ص) واثقى وعاد فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة ، يرى

(١) وعلى هذا فهي من أقرب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم ، لأنها لم يتزوج من ذرية قصي غيرها سوى أم حبيبة وذلك بعد موت خديجة رضوان الله عليها - الكامل في التاريخ لابن الأثير .



ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعير ، فلما قدم مكة ربحت خديجة ربعاً كثيراً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وما رأى من اظلال الملائكة إياه .

كانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراد الله من كرامتها ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم وعرضت عليه نفسها ، وكانت من أوسط نساء قريش نسباً^(١) وأكثرهن مالاً وشرفاً . وكل رجل من قومها كان حريصاً على الزواج منها لو يقدر عليه .

فلما أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبر أعمامه . وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب وغيرهما من عمومته ، حتى دخل على خوبلد بن أسد ، فخطبها إليه .

فتزوجها فولدت له أولاده كلهم ما عدا إبراهيم .

قصة زواج الرسول (ص) من خديجة :

ذكر جميع أهل السير عن نفيسة بنت منية قالت : كانت خديجة بنت خوبلد امرأة حازمة ضابطة جلدة ، قوية ، شريفة مع ما أراد الله تعالى لها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً ، وأعظمهم شرفاً ، وأكثرهم مالاً ، وأحسنهم جمالاً وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة قد طلبها جل رجال قومها ، وذكروا لها الأموال ، فلم تقبل فأرسلتني دسيساً^(٢) إلى محمد صلى الله

(١) كان يقال لها: سيدة قريش - لأن الوسط في ذكر النسب - من أوساف المدح والتفضيل: يقال : فلان أوسط القبيلة - أي أعرقها في نسبها .

(٢) دسيساً أي خفية .



عليه وآلها وسلم . بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك
أن تتزوج ..؟

فقال : ما بيدي ما أتزوج به ..

قلت : فإن كفست ذلك ... ودعيت إلى المال ... والجمال ... والشرف ...
والكفاية ... ألا تجنيب ؟

قال : فمن هي ...؟ قلت : خديجة بنت خويلد ...

قال : وكيف لي بذلك يا نفيسة ؟؟ وأنا يتيم قريش ، وهي أمي قريش ذات
الجاه العظيم والثروة الواسعة .

فقالت نفيسة : قلت بلى وأنا أفعل ، فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن
يحضر إليها . وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد لیزوجها فحضر .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم في عمومته - وقد خطب عن
أبو طالب يومئذ خطبته المشهورة التي ذكرها أهل التاريخ وأصحاب السير .

خطبة أبو طالب يوم زواج الرسول (ص) :

قال أبو طالب :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع اسماعيل ، وضئضىء معد^(١)

(١) الضئضىء - الأصل والمعدن .



وعنصر مضر^(١) وجعلنا حضنة بيته المتكلفين بشأنه ، وسواس حرمته ، القائمين بخدمته . وجعله لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا أحكاماً أحكاماً الناس .

ثم ابن أخي هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل إلا رجع به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعلقاً ، وإن كان في المال قلّ فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة .

وهو والله بعد هذا ، له نبأ عظيم ، وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة ، وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثني عشر أوقية ونش^(٢) .

وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد : (هو الفحل لا يقدر أنفه) .

وبعد أن انتهى أبو طالب من خطبته^(٣) تكلم ورقة بن نوفل . فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عدلت فنحن سادة العرب »

(١) العنصر - الاصل - يقال : إنه أكرم العنصر - أي - الحسب - والهمة - النجد في اللغة .

(٢) قال الحب الطبرى : النش عشرون درهماً - والأوقية أربعون درهماً - وكانت الاولى والنش من الذهب ، فيكون جملة الصداق خمسة درهم شرعى - وقيل أصدقها عشرين بكرة .

(٣) إن البلاغة التي تجلت في خطبة أبي طالب وما ظهر فيها من عطف وحنان أبيه ، هي أصدق برهان ودليل قاطع على تفانيه في حب الرسول (ص) ورعايته ونصرته في دعوته .

عل أن أبي طالب لم يزل حق توفي يدافع عن الرسول (ص) الدفاع المستميت ولم يدع أحداً يصل إليه بسوء طيلة حياته . وكما قيل في حقه وحق علي (ع) :

فهذا بركة آوى وحامي وذاك بيئب خاض الماء

وحينا أرادت قريش قتله (ص) جاءت إلى أبي طالب وقالت له : أنت سيدنا ورأيتك من أمر

←



وقادتها ، وأنت أهل ذلك كله ، لا ينكر العرب فضلكم . ولا يرد أحد من الناس
فخركم وشرفكم فاشهدو عليٌّ معاشر قريش ، إني قد زوجت خديجة بنت خويلد ،
من محمد بن عبد الله ، وذكر المهر .

وأولم عليها رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، ونحر جزوراً ، وقيل نحر
جزورين ، وأطعم الناس وفرح أبو طالب فرحاً شديداً . وقال : « الحمد لله
الذي أذهب عنا الكرب ، ودفع الغموم . » وهي أول وليمة يومها رسول الله
صلى الله عليه وآلـه وسلم قال الشاعر في ذلك :

ورأته خديجة والتقوى والزهد فيه سجية والحياة
وأثناها أن الغمامه والسر ح أظلته منها أفياء
وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

⇒ ابن أخيك ما كان، وهذا عبارة بن المغيرة أحسن فق في قريش جمالاً ونهاة وشعرأ،
ندفعه إليك فيكون لك نصره وميراثه ، وتدفع اليك ابن أخيك نقتله ، فإن ذلك أجمع للعشيرة
وأفضل في عواقب الامور . قال أبو طالب : والله ما انصفتوني ، تعطوني إينكم أغذوه لكم
واعطيمك ابن أخي تقتلونه ؟! ما هذا بالنصف ! لا كان ذلك أبداً .

وحيثاً فقده مرة ولم يجده (ص) أمر فتيان بني هاشم وقال لهم : ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ، حق اذا ما وجدنا محمدآ فليقتل كل واحد منكم واحداً من زعماء قريش ، وكانت قريش مجتمعة في الكعبة . ولما وجد محمدآ (ص) أخبر زعماء قريش عنها كان أراد من قتلهم اذا لم يجد محمدآ (ص) وحيثاً طلبت قريش أن يترك محمدآ (ص) الدعوة الى الاسلام ويُسوّ دونه عليهم أجاب عليه الصلاة والسلام : « يا عم والله لو وضعوا الشمس بيمني والقمر بيساري على أن أترك هذا الأمر لما تركته . » فأجابه عمّه بقوله :

وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُوَ إِلَيْكُمْ يَجْمَعُهُمْ
حَتَّىٰ أَوْسِدَ فِي التَّرَابِ دُفِينًا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
مِنْ خَيْرِ أَدِيَاتِ الْبَرِّيَّةِ دِينًا

وكل من يقول بعدم اسلام أبي طالب يكون قد افترى وأخطأ لأن دفاعه أكبر شاهد على
اسلامه ...



فدعته إلى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الأذكياء .

إن خديجة رضي الله عنها عندما رأت محمدًا وما يتعلّق به من الأمانة والتقوى والورع والحياء والزهد والوفاء، لم تتأخر بانتهاز الفرصة، ودعوة محمد إلى الزواج فعرضت نفسها عليه ، وهي ذات الشرف الظاهر ، والمال الوافر ، والخلق الكريم ، والحسب ، والنسب .

وذكر ابن هشام : « أن خديجة أم المؤمنين كانت قد تزوجت من أبي هالة بن زرارة التميمي . ومات أبو هالة في الجاهلية ، وقد ولدت له خديجة هندا الصحابي ، راوي حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد بدرًا وقيل أحداً . وقد روى عنه الحسن بن علي فقال : حدثني خالي لأنه أخو فاطمة لامها . وكان هند هذا فصيحاً، بليناً، وصادقاً . وكان يقول : أنا أكرم الناس أباً – وأما وأخاً وأختاً – أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(١) .

وأخي القاسم ، وأخي فاطمة ، وأمي خديجة . رضي الله عنهم جميعاً .
وقتل هنداً هذا مع علي رضي الله عنه يوم الجمل »^(٢) .

(١) إشارة إلى أن الرسول الكريم بثابة أبيه ، فهو عمه زوج أمه خديجة رضي الله عنها ...

(٢) السيرة النبوية لأبي بن هشام - ج - ١ - ص - ١٩٨ .



نبذة من حياة السيدة خديجة مع الرسول الأعظم (ص)

لنلقي نظرة سريعة على حياة السيدة خديجة رضي الله عنها ، بعد زواجها من الرسول الكريم صلى الله عليه وآلـه وسلم نرى ما لاقته من ظلم قريش وقطيعتها ، لأنـها وقفت من محمد صلـى الله عليه وآلـه وسلم تلك الوقفة الجبارـة التي سجلـها التاريخ على صفحاته .

لقد كانت رضوان الله علـيـها أـكـبـرـ مـسـاعـدـ لـالـرـسـوـلـ (صـ) وـأـعـظـمـ عـونـ عـلـيـ نـشـرـ دـعـوـتـهـ ، حتـىـ قـالـ عـلـيـهـ وـآلـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ: « قـامـ الدـيـنـ بـسـيفـ عـلـيـ وـمـالـ خـدـيـجـةـ » ، لأنـها صـرـفـتـ مـاـهـاـ الـكـثـيرـ فـيـ سـبـيلـ نـصـرـةـ الإـسـلـامـ .

لقد كانت خديجة رضي الله عنها ، في العز والجـاهـ والثـروـةـ ، وهي سـيدـةـ قـرـيـشـ - كـاـ أـسـلـفـنـاـ - وـلـكـنـ بـعـدـ زـوـاجـهـ مـنـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ ، انـفـضـواـ مـنـ حـوـلـهـاـ ، وـرـجـعـوـاـ بـالـلـائـةـ عـلـيـهـاـ وـأـخـيـرـاـ تـكـرـرـ لـهـاـ جـمـيعـ كـاـنـهـاـ أـتـتـ شـيـئـاـ نـكـرـاـ .

ولـمـ يـبـعـثـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ ، كـانـتـ خـدـيـجـةـ أـوـلـ مـنـ آـمـنـ بـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ وـصـدـقـهـ فـيـاـ جـاءـ بـهـ عـنـ رـبـهـ ، وـآـزـرـهـ عـلـىـ أـمـرـهـ ، فـكـانـ عـلـيـهـ وـآلـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ ، لـاـ يـسـمـعـ مـنـ الـمـشـرـكـينـ شـيـئـاـ يـكـرـهـهـ - مـنـ رـدـ عـلـيـهـ أـوـ تـكـذـبـ لـهـ أـوـ اـسـتـهـزـءـ بـهـ - إـلـاـ فـرـجـ اللـهـ عـنـهـ بـخـدـيـجـةـ ، الـقـيـ كـانـتـ تـثـبـتـهـ عـلـىـ دـعـوـتـهـ ، وـتـخـفـفـ عـنـهـ وـتـهـونـ عـلـيـهـ مـاـ يـلـقـىـ مـنـ قـوـمـهـ مـنـ الـمـعـارـضـةـ وـالـأـذـىـ^(١) .

(١) طبقات ابن سعد الكبرى .



نزول الوحي - ومبث الرسول :

استقرت الحياة هادئة ناعمة ، فقد لاقى محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم في بيت الزوجية المطف والخنان ، الذي افتقده منذ طفولته ، وهذه خديجة الزوجة الوفية ، قد أضفت على البيت الراحة والاستقرار والأمان ، وولدت البنات والصبيان .

نعمت أسرة محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم ، سنوات بحياة هادئة ، وادعة ، بالألفة والمودة ، يرشف الزوجان على مهل ، رحيم ود عميق ، وحلوة سعادة صافية .

لقد كان في الرسول الأعظم صلى الله عليه وآلـه وسلم ميل إلى التفكير والاستفراغ ، ونزع إلى الخلاء والتأمل منذ صباه ، فكان يذهب إلى غار حراء ،^(١) يقضي فيه الساعات ، بل يتعداها إلى الليل يمارس هناك ، بعيداً عن الناس ما طاب له من التعبد والتهدج وما يسمونه الآن في العصر الحاضر : (الرياضة الروحية) .

وهنا تتجلّى شخصية السيدة خديجة ، وما كان لها من تأثير بالغ على حياة محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم ، فنراها في وقارها ، وجلال سنها ونضوجها ، لا تتألف أو تضيق بهذه الخلوات ، التي كانت تبعد عنها زوجها الحبيب ، وعن

(١) غار حراء ، هو كهف في جبل حراء، يحوار مكة المكرمة – كان النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم يتبعده فيه .



أولادها ، وبيتها ، وما خطر لها أن تتعاتب ، أو تتذمر من هجره لها البدالي الطوال ، وما حاولت رضي الله عنها ، أن تعكر عليه صفاءه كما نعهد ، من فضول النساء ، التي تستثير بالرجل وتغافر عليه .

ولكن السيدة خديجة رضوان الله عليها ، كانت على عكس ذلك ، فقد حاولت ما وسعها الجهد ، أن توفر له المدوه والاستقرار ، وأحاطته بالرعاية التامة ، مدة إقامته في البيت ، وعندما يذهب إلى غار حراء ، كانت ترسل من يحرسه ويرعايه ولا يعكر عليه صفو خلوته .

وهناك في غار حراء ، « بعث الله رسوله وأكرمه بما اختصه به من نبوته ، بعد أن استكمل أربعين سنة وذلك بعد بناء الكعبة بخمس سنين » ^(١) .

وكان مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم ، في شهر ربيع الأول – وقيل في السابع والعشرين من شهر رجب ، وقيل في رمضان – وأشار لذلك قول الشاعر :

وأنت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان
« وكان جبريل يظهر له ، فيكلمه ، وربما ناداه من السماء ، ومن الشجرة ، ومن الجبل ، فيذعر من ذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم » ^(٢) .

عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ^(٣) أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي ، سمعت نداءً ، فقالت : ما يفعل بك الله إلا خيراً ، فواه الله

(١) مروج الذهب - للمسعودي .

(٢) تاريخ البغدادي .

(٣) بمح البيان في تفسير القرآن - لأطبرسي .



إنك لتهدي الأمانة وتصل الرحم ، وتصدق الحديث . قالت خديجة : فانطلقتنا إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى ، وهو ابن عم خديجة فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة أذا أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ، ثم اثنى فأخبرني ، فلما خلا ناداه يا محمد ، قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا إله إلا الله ، فأتى ورقة فذكر له ذلك ، فقال له : أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى وأنكنبي مرسل ، وأنك سوف تؤمر بالجهاد ، بعد يومك هذا ، ولئن أدركتني ذلك لأجاهدك معك ، فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ لقد رأيت القس في الجنة ، عليه ثياب الحرير لأنها آمن بي وصدقني – يعني ورقة – وروي أن ورقة قال في ذلك :

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :^(١) أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حبيب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتهجنث فيه ، وهو التعبد ،
الليالي ذات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويترود لذلك ، ثم يرجع إلى

^(١) الميزان في تفسير القرآن - للطهطاوي،

خدية ، فـيـتـزـودـ لـمـلـلـهـ ، حـقـ جـاهـ الـحـقـ ، وـهـوـ فيـ غـارـ حـرـاءـ ، فـجـاءـهـ الـمـلـكـ .
فـقـالـ : اـقـرـأـ ، قـالـ مـاـ أـنـاـ بـقـارـىـءـ . قـالـ فـأـخـذـنـيـ فـغـطـنـيـ ^(١) حـتـىـ بـلـغـ مـنـيـ الـجـهـدـ .
ثـمـ أـرـسـلـنـيـ .

فـقـالـ : اـقـرـأـ ، فـقـلـتـ مـاـ أـنـاـ بـقـارـىـءـ ، قـالـ : فـأـخـذـنـيـ فـغـطـنـيـ الثـانـيـةـ حـتـىـ بـلـغـ
مـنـيـ الـجـهـدـ ثـمـ أـرـسـلـنـيـ فـقـالـ : اـقـرـأـ ، فـقـاتـ مـاـ أـنـاـ بـقـارـىـءـ ، فـأـخـذـنـيـ فـغـطـنـيـ الثـالـثـةـ
حـتـىـ بـلـغـ مـنـيـ الـجـهـدـ ثـمـ أـرـسـلـنـيـ فـقـالـ : « اـقـرـأـ بـسـمـ رـبـكـ الـذـيـ خـلـقـ خـلـقـ الـإـنـسـانـ
مـنـ عـلـقـ اـقـرـأـ وـرـبـكـ الـأـكـرـمـ الـذـيـ عـلـمـ بـالـقـلـمـ » . ^(٢) .

فـرـجـعـ بـهـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ يـرـجـفـ فـؤـادـهـ فـدـخـلـ عـلـىـ خـدـيـحةـ
بـنـتـ خـوـيـلـدـ فـقـالـ : زـمـلـونـيـ - زـمـلـونـيـ فـزـمـلـوـهـ حـتـىـ ذـهـبـ عـنـهـ الرـعـبـ فـقـالـ
خـدـيـحةـ : وـأـخـبـرـهـاـ الـخـبـرـ : لـقـدـ خـشـيـتـ عـلـىـ نـفـسـيـ فـقـالـتـ خـدـيـحةـ : كـلـاـ مـاـ يـخـزـيـكـ
الـلـهـ اـبـداـ ، إـنـكـ لـتـصـلـ الرـحـمـ ، وـتـحـمـلـ الـكـلـ ، وـتـكـسـبـ الـمـدـوـمـ ، وـتـقـرـيـ
الـضـيـفـ ، وـتـعـيـنـ عـلـىـ نـوـائـبـ الـحـقـ !

وـفـيـ سـيـرـةـ اـبـنـ هـشـامـ عـنـ النـبـيـ (صـ) قـالـ : فـخـرـجـتـ حـتـىـ إـذـاـ كـنـتـ فـيـ وـسـطـ
الـجـبـلـ سـمـعـتـ صـوـتاـ مـنـ السـهـاءـ يـقـولـ : يـاـ مـحـمـدـ أـنـتـ رـسـولـ اللـهـ وـأـنـاـ جـبـرـيـلـ . قـالـ :
فـوـقـفـتـ أـنـظـرـ إـلـيـهـ . مـاـ أـتـقـدـمـ وـمـاـ أـتـأـخـرـ ، وـجـعـلـتـ أـصـرـفـ وـجـهـيـ عـنـهـ فـيـ آـفـاقـ
الـسـهـاءـ ، قـالـ فـلـاـ أـنـظـرـ فـيـ نـاحـيـةـ مـنـهـاـ إـلـاـ رـأـيـتـ كـذـلـكـ ، فـهـاـزـتـ وـاقـفـاـ مـاـ أـتـقـدـمـ

(١) وـفـيـ سـيـرـةـ اـبـنـ هـشـامـ (فـقـتـنـيـ) وـالـفـتـ - حـبـسـ النـفـسـ - وـفـيـ السـيـرـةـ الـخـلـبـيـةـ يـقـولـ : فـقـتـنـيـ
حـتـىـ حـسـبـتـ أـنـهـ الـمـوتـ ، إـشـارـةـ أـنـ (صـ) يـحـصـلـ لـهـ شـدـائـدـ ثـلـاثـ ثـمـ يـعـصـلـ لـهـ الـفـرـحـ بـعـدـ ذـلـكـ .
فـكـانـتـ الـأـوـلـىـ اـدـخـالـ قـرـيـشـ لـهـ (صـ) فـيـ الشـعـبـ مـعـ أـهـلـهـ - وـالتـضـيـيقـ عـلـيـهـ - وـالـثـانـيـةـ اـتـفـاقـهـمـ عـلـىـ
قـتـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ وـالـثـالـثـةـ - خـرـوجـهـ مـنـ أـحـبـ الـبـلـادـ إـلـيـهـ ، مـسـقـطـ رـأـسـ مـكـةـ
- الـكـرـمـةـ - وـبـعـدـهـ عـنـ الـكـعـبـةـ الـمـقـدـسـةـ .

(٢) سـوـرـةـ الـعـلـقـ - آـيـةـ ١ـ - ٢ـ - ٣ـ - ٤ـ - .



أمامي ، ولا أرجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رسلي في طلي ، فبلغوا أعلى مكة ، ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعاً إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة ، فجلست إليها مضيفاً ^(١) . فقالت يا أبا القاسم : أين كنت ! فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ، ورجعوا إلى فحدثتها بالذي رأيت ، فقالت أبشر ، واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكوننبي هذه الأمة . ^(٢)

وآمنت خديجة ، وصدقت بما جاءه من الله عز وجل ، وآزرته على أمره فكانت أول من آمن بالله ورسوله .

أجل لقد كانت ساعده الأقوى ، مشجعة إياه على القيام بأعباء النبوة العظيمة ، فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وآلـه وسلم ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من المشركين ، من رد عليه وتکذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها وجدها العطوف الحنون .

(١) مضيفاً معناه ملتصقاً : يقال اضفت إلى الرجل ، إذا ملت نحوه ولصقت به - ومنه سمي الضيف ضيفاً .

(٢) طبقات ابن سعد الكبوري - الكامل في التاريخ لابن الأثير والسيرة النبوية لابن هشام - أعلام النساء - عمر رضا كحاله .



صلوة النبي (ص) وخدیجة وعلی (ع)

إن الصلاة حين افترضت على الرسول (ص) أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضاً جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الظهور للصلاة ، ثم توضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما رأى جبريل توضاً ، ثم قام به جبريل فصلبه وصلى رسول الله بصلاته . ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاءه رسول الله خديجة فتوضاً لها ليريها كيف الظهور ، كما أراه جبريل . فتوضات كما توضاً لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها الرسول كما صلى به جبريل فصلت بصلاته .

ومكث رسول الله (ص) وخدیجة ، وعلي بن ابی طالب(ع) یقیمون الصلاة سرآ ما شاء الله . ثم أخذوا بالذهباب الى الكعبه غير مبالین باستهزاء قریش وسخريتهم ، والأذى الذي كانوا يلاقونه .

وأقام الرسول أول فرض
فاقتدت فيه أحسن القداء
وهي كانت لكل ما يتجلّى
من رسول المهدى من الرقباء
فترى بالعيان ما لا تراه
من عظيم الآيات مقلة راه^(١)
وفي رواية عن عفیف الکندي ، قال^(٢) :

١ - ملحمة أهل البيت للشيخ عبد المنعم الفرطوسی .

٢ - السیرة الحلبیة ج - ١ - ص - ٢٩٦ واعلام النساء عمر رضا كحاله .



«جئت في الجاهلية الى مكة ، وأنا أريد ان ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها»،
فنزلت على العباس بن عبد المطلب .

قال : فأنا عنده ، وأنا أنظر الى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتقت إذ
أقبل شاب حتى دنا من الكعبة ، فرفع رأسه الى السماء ، فنظر ملياً ، ثم استقبل
الكعبة قائماً مستقبلاً وما هي إلا ان جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم لم يلبث إلا
يسيراً ، حتى جاءت امرأة فقامت خلفها . ثم رکع الشاب فركع الغلام ،
ورکع المراة ، ثم رفع الشاب رأسه ، ورفع الغلام رأسه ، ورفعت المراة رأسها
ثم خر الشاب ساجداً ، وخر الغلام ساجداً ، وخرت المراة ساجدة .

قال : فقلت : يا عباس اني أرى امراً عظيماً فقال العباس أمر عظيم !! هل
تدرى من هذا الشاب ؟ قلت : لا ما أدرى قال : هذا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب
ابن اخي ... هل تدرى من هذه ؟ قلت : لا أدرى . قال : هذه خديجة بنت
خويلد زوجة ابن أخي هذا . ان ابن أخي هذا الذي ترى حدثنا أن ربها رب
السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه والله ما علمت على ظهر الأرض
كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة » انتهى .

وإذا حلّت الهدایة قلباً نشطت في العبادة الأعضاء

لما بعث النبي صلی الله علیہ وآلہ وسلم . جعل يدعـو الناس سراً ، واتبعه
ناس جلهم من الضعفاء ، من الرجال والنساء والى هذا المعنى يشير الحديث
الشـرـيف بقوله : (ان هذا الدين بدأ غريباً - وسيعود غريباً كما بدأ
قطـوبـيـ للغـربـاء) .

ولا يخفى ان أهل التاريخ وعلماء السير قد اجمعوا على أن أول الناس إيماناً



باليٰ عليه الصلاة والسلام خديجة رضي الله عنها - ثم علي بن أبي طالب (ع) .
ففي المرفوع عن سلمان ان النبي قال : أول هذه الأمة وروداً على الحوض
أوها إسلاماً علي بن أبي طالب . ولما زوجه فاطمة قال لها : زوجتك سيدة في
الدنيا والآخرة . وانه لاول اصحابي إسلاماً ... وأكثراهم علماء ... وأعظمهم
علماء ^{١١} .

لقد كانت خديجة (رض) مثال الإخلاص والوفاء ، فلم تبال عندما تذكرت
لها قريش ، ولم تكتثر لجفاه نساء مكة لها ، وهي السيدة الجليلة ذات المقام
الرقيق كما قيل :

زوجتها نساء مكة لما زوجت فيه في أشد الجفاء
وهي لاتثنى عن الحق صبراً ودفعاً عن خاتم الأنبياء

وقفت خديجة بجانب محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم ، تؤازره وتواصيه ،
تحمل المشاق ، وتستسيغ الهوان في سبيل الإسلام ، صابرة على شظف العيش
وعلى الحصار والحرمان .

١ - ينابيع الودة - القندوزي الحنفي .



حصار قريش للمسلمين

لما رأت قريش الاسلام يتسع ويزيد ، واموال خديجة بين يدي محمد (ص) يتصرف بها كيف يشاء في سبيل الاسلام ويشتري الارقاء من الذين اسلموا ، ووقعوا تحت التعذيب في ايدي قريش ويحررهم ، وهم المستضعفون .

اجتمع كفار قريش على قتل محمد وقالوا : قد أفسد علينا ابناءنا ونساءنا الذين اتبعوه ، وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتریحون انفسكم . فأبى قومه ، فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بنى هاشم والتضييق عليهم بمنعهم حضور الاسواق فلا يبيعونهم - ولا يبتاعوا منهم شيئاً . ولا يقبلوا لهم صلحًا ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا مهدًا (ص) - للقتل - وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها بالکعبه .

فدخل بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب إلا ابو لهب فإنه ضاهر عليهم قريشاً^(١) .

.....

١ - ان ابا لهب ضاهر قريشاً على المسلمين ، روی انه اقى هنداً بنت عتبة بن ربعة فقال لها : يا بنت عتبة هل نصرت اللات العزى ؟ وفارقتك من فارقها ، وضاهر عليهما ؟ قالت نعم : فجزاك الله خيراً يا ابا عتبة .

وفي رواية ، .. كان يقول : يعدني محمد اشياء لا اراها ، يزعم انها كانتة بعد الموت . فما وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفعني في يديه ويقول : تبا لكما - ما ارى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فانزل الله تعالى فيه (تبت يدا ابي لهب وتب ..) الآية . ودخل بنو هاشم وبنو المطلب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حبـن بعثة الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وكانت مدة اقامته بالشعب ثلاث سنوات . والله العالم .



وكان كاتب الصحيفة ، منصور بن عكرمة ، فدعى عليه رسول الله ﷺ فشلت أصابعه . وكانت الصحيفة عند أم الجلاس الخناظلية حالة أبي جهل .

وروي ان بني هاشم - وبني المطلب لاقوا شتى المصاعب وهم محاصرون في الشعب ، فقد جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط (ورق الشجر) وكانوا إذا قدمت العبر مكة ، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام يقتاته ، فيقوم أبو هب يقول :

يا عشر التجار غالوا محمدأ ... وأصحاب محمد ... حتى لا يدركون شيئاً معكم ، فقد علمتم مالي ووفاء ذمي . فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع المسلم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يده شيء يعلّهم به .

وبقي المسلمون في شعب أبي طالب ثلاث سنوات متتالية حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرضاً .

وان ثباتهم على هذه الشدة جعل لهم المقام الرفيع في الآخرة وملائكتهم الأرض في الدنيا ، فكانوا ساداتها . وكما قيل :

وجزائهم في جنة الخلد فيها صبروا وهي منه خير جزاء



قصة حكيم بن حزام مع أبي جهل

ذكر المؤرخون ان أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد ومعه غلام يحمل
قمحاً يريد به عمه خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله ﷺ محاصرة
معه في شعب أبي طالب تعاشر مع المسلمين الجوع... والحرمان ... والحبس ...
والاضطهاد فتعلق به أبو جهل وقال : اتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟

والله لا تبرح أنت وطعامك حتى افضحك بـكـة ...

فجاءه أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد فقال : مالك ... وله ؟
قال : يحمل الطعام إلى بني هاشم !

فقال له أبو البختري : طعام كان لعمته عندة ، بعثت إليه فيه افتنعه أن يأتيها بطعمها ؟ ! خل سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ... فأخذ له أبو البختري لحى بغير فضربه به فشجه ، ووطئه وطئاً شديداً . وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ . وأصحابه ، فيشتمون بهم ...

رسول الله على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجماراً .. مبادياً بأمر الله لا يتقي فيه أحداً من الناس .



ثم قام النبي يدعو إلى الله
اما اشربت في قلوبهم الكفر
وفي الكفر شدة واباء
فداء الضلال فيهم عباء

شخصية أم المؤمنين خديجة :

ستظل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها رمزاً حياً في سجل المرأة المسلمة الصالحة . وستبقى على مر العصور القدوة الحسنة التي يعجب على كل امرأة أن تتبع خطاتها .

لقد وقفت السيدة خديجة (رض) حياتها للعطاء الكامل . الذي وهبته للرسول الكريم ، بكل إيمان . وخطت بعقيدتها الثابتة طريق الصواب ، لنبات جنسها ، في وقت كانت البشرية لا تعيحقيقة وجود المرأة ، وقبل أن يتفتح العقل الإنساني ، ويتفهم معنى السعادة الحقيقة .

صحيح ان هناك أناساً يقيسون السعادة واللذة بمقدار ما يغرون بها من متع جنسية ... أو بقدر ما يلتهمون من أطعمة شهية ... أو بضخامة ما يمتلكون من ثروة مالية .. الخ .. غير ان الواقع لا يؤيد ذلك أبداً ...

ان اللذة والسعادة لا تعني المتعة الحسية المادية فقط . بل هي الشعور الذاتي بالرضا ... والإسترضاة وهي كل ما يدخل الاطمئنان إلى قلب الإنسان .

وما لا ريب فيه أن السعادة الحقيقة يفوز بذلك كل من يتمسك بإيمانه وعقيدته ومبادئه الأخلاق الفاضلة .

ان السعادة لمن يفضل الإخلاص على الخيانة ... وهي لمن يؤثر الضنك



والدخل المحدود ، على الكسب الحرام والربا والاحتكار . وهي لمن يجد السلاسة في تحمل المشاق والمتاعب للمحافظة على دينه وعرضه وشرفه .

وهذه سيدتنا خديجة أم المؤمنين (رض) لقد اكتنفت السعادة حياتها على رغم المصاعب والعقبات التي لاقتها . فكانت تذللها بقلب مطمئن بالایمان ، حق سجلها التاريخ باحرف من نور ، بعد أن لامس الإسلام قلبها ومداها الباري إلى طريق السعادة الأبدية .

وفاة خديجة أم المؤمنين (رض) :

دخل رسول الله ﷺ على خديجه ، وهي تجود بنفسها ، فوقف ينظر إليها ، والألم يعصر قلبه الشريف ثم قال لها : - بالكلمة مني ما أرى -.

ولما توفيت خديجة (رض) جعلت فاطمة ابنتها تتعلق ببابها الرسول (ص) وهي تبكي وتقول : أين أمي ... ؟ أين أمي ... ؟ فنزل جبريل فقال للرسول ﷺ : قل لفاطمة إن الله بنى لامك بيته في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب .

وبعد خروجبني هاشم من الشعب بثمانية أعوام ، ماتت خديجة (رض) وكانت وفاتها ووفاة أبو طالب في عام واحد فحزن النبي (ص) عليها حزناً عظيماً .

وقد سمي النبي ذلك العام - عام الأحزان - وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين .



عظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بفقد عمه الكفيل أبي طالب (رض) وزوجته الوفية الخلصة المساعدة، وقال عليه الصلاة والسلام ما ثالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

وُدفنت خديجة رضوان الله عليها بالحجون ، ونزلت ﷺ في حفرتها .
وكان لها من العمر خمس وستون سنة .

لزم الرسول صلوات الله عليه بيته حزناً عليها ، وكانت مدة إقامتها معه خمساً وعشرين سنة قضتها في كفاح وجihad مستمر .

وفي ختام المطاف لا باس من ذكر قول الرسول الأعظم في حقها ، دلالة على عظمتها : قال عليه الصلاة والسلام :

« كمل من الرجال كثير - وكمل من النساء أربع - آسيه بنت مزاحم ومريم بنت عمران ، وخدية بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد بن عبد الله ﷺ » .



عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم

هبت قريش عندما صرخ النبي محمد (ص) بالرسالة ، وراح فراعتها يتغافلون في تعذيب الذين أسلموا وأمنوا ، باشد أنواع العذاب .

لقد تجاوز طغاة قريش الحدود في الظلم والاستبداد خصوصاً على المستضعفين الذين سبقو إلـى الإسلام ، ولا عشائر لهم تمنعهم ، ولا قوة ترد عنهم ظلم المعذبين من رؤساء قريش المشركين .

وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين الضعفاء ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر .

كانوا يخرجونهم إذا حيت الظفيرة ، ويطرحونهم على الرمال ، ويأتون بالصخر يضعونه على صدورهم ، ويعذبونهم باشد العذاب . فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يزيداد تصلباً وإيماناً بالإسلام ونبيه .

كانت المرأة في طليعة المؤمنين الصادقين ، ومن السابقين للإسلام الذين قال الله سبحانه وتعالى في حقهم : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري



تحتها الأنهر خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)^(١) .

وقد كانت المرأة في طبيعة المؤمنين ومن الذين استعدوا العذاب في سبيل العقيدة الإسلامية ولنا في قصة سمية أم عمار بن ياسر أكبر دليل على ما نقول .

سمية أم عمار بن ياسر :

هي بنت خباط ، كانت امة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، فزوجه سمية . فولدت له عماراً فاعتهقه .

هذه المرأة التي سجلها التاريخ ، وسجل لها جهادها وشجاعتها وثباتها على عقيدتها ، لقد صبرت سمية على العذاب والهوان ، وظللت متمسكة بعقيدتها وإيمانها حتى أصبحت في مصاف المجاهدين الذين قال الله تعالى فيهم : (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم)^(٢) .

وذكر ابن هشام في سيرته : كانت سمية سابع سبعة في الإسلام ، وكانت من يعبد في الله عز وجل إشد العذاب ، وهي أول شهيدة في الإسلام ، قال مجاهد:

(١) سورة التوبة - آية - ١٠٠ -

وقد ذكر صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن ما نصه : وفي هذه الآية ، دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما حققهم من أنواع المشقة في نصرة الدين . فمنها مفارقة العشائر والأقربين - ومنها مباينة المأذوف من الدين - ومنها نصرة الإسلام مع قلة العدد وكثرة العدو - ومنها السبق إلى الإيمان والدعاء إليه .

(٢) سورة الحج - آية : ٣٥



أول من أظهر الإسلام بمكة - ما عدا بني هاشم - سبعة أشخاص ، أبو بكر -
وبلال - وخباب - وصهيب - وياسر - وعمار وسمية .

فاما أبو بكر من عدوه قومه وعشيرته ، وأما الآخرون فألبسوا أدراج الحديد ،
ثم صهروا في الشمس .

وفي رواية ابن عبد البر : أن عماراً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : يا رسول الله بلغ مني - أو بلغ منها العذاب (أي سمية) كل مبلغ ،
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

صبراً أبا اليقظان ، اللهم لا تعذب أحداً من آل ياسر بالنار ...
ثم مر أبو جهل يوماً بسمية وهي في العذاب ، فأغلظت له القول ، فطعنها
بحربة في قلبها فماتت . وذلك قبل الهجرة .

وروي أنه لما قتل أبو جهل يوم بدر قال رسول الله عليه الصلاة والسلام
لعمار : (قتل الله قاتل أمك) .

كانت سمية أم عمار رضي الله عنها ذات إيمان قوي بالله ، أسلمت وحسن
إسلامها . فكانت من السابقين الذين موعدهم الجنة .

تحملت العذاب وصبرت على الأذى صبر الكريم ، فلم تصبراً ، أو تهن عزيمتها ،
او يضعف إيمانها الذي رفعها إلى مستوى الأبطال الخالدين .

وهناك سيدة أخرى هي « زنيرة » التي أصيب بصرها وهي في العذاب ،
فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات ... والعزي . فقالت : كذبوا
وبهت الله ، ما تضر اللات ... والعزي وما تتفعان . ولكن هذا أمر من
السماء ، وربى قادر على رد بصري ... فأصبحت من الفد وقد رد الله
تعالى بصرها .



ونحن عندما نذكر بعض اللواتي تحملن الأذى من سادات قريش وجبارتها ،
وصبرن على العذاب لا تنسى النهدية... وابنتها ، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار.
فكانت تعذبها وتقول : والله لا أدعوكا إلا أن تكفرا بمحمد .

وام عبيس : وهي أمة لبني زهرة . فكان الأسود ابن عبد يغوث يعذبها^(١)
وغيرهن كثيرات . مما يضيق المجال عن الإحاطة بهن .

موقف المرأة المسلمة في بدء الدعوة :

الواقع أن الانقلاب الذي أحدثه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغ التعاليم
الساوية والنظم الإسلامية لبني البشر ، والانتقال فجأة من طور ... إلى طور .
كان شبه المستحيل .

ورغم أن التقاليد التي صاغتها العصور والعادات التي فرضتها الأجيال ، والتي
يتوارثها الأبناء عن الآباء ، لا يمكن أن تزول دفعه واحدة ، ولا تندثر أو تتبدل
إلا بعدة طويلة من الزمن .

لكن التعاليم الإسلامية الجديدة ، قلبت نظام المجتمع العربي ، وأسرعت إلى
قلوب المسلمين ، واحتلت الصدارة في نفوس المؤمنين . فإذا بأولئك الرجال
الذين كانوا بالأمس القريب ، يعتبرون المرأة مخلوقاً وضيماً لا تصلح إلا للخدمة
أو للمتعة . نجدهم ينقلبون فجأة وبسرعة مدهشة ، إلى اعتبار النساء وإكرامهن
حسب التعاليم النبوية وتوجيه الرسول الكريم .

(١) سيرة ابن هشام ج - ١ - ص ٣٤٠ - وال الكامل في التاريخ لابن الاتير ج - ٢
ص ٤٦ .



وكذلك نجدهم يعاملوهن باللودة والرحة أسوة بالنبي العظيم الذي كان يعامل الملوكة الرقيقة المؤمنة ، معاملة الحرة الرفيعة الكريمة .

وتتج عن هذا التبدل - التطور - ان المرأة شعرت بمنزلتها ، وحفظ كرامتها فقمن النسوة بواجباتهن منتعشات الأرواح نشيطات الأجسام .

والفين في امثال الرجال لأوامر الدين ونواهيه طريقاً واسعاً الانطلاق من مجال القول الى مجال العمل .

نرى بذور الخير ، وقفزات واسعة ، ونشاطاً ظاهراً للمرأة المسلمة ، التي وقفت جنباً إلى جنب تشارك الرجل في جميع المراحل ... والميادين .

فقد ابنتليت بما ابتلى به المسلمون من التعذيب والاضطهاد والأذى من قريش وطواغيتها .

أجل لقد جاهدت وضحت بكل غالٍ ورخيص في سبيل عقيدتها ثابتة على إيمانها .

هاجرت إلى الحبشة فراراً بدينهما مع من هاجر من المسلمين .

نعم هاجرت المرأة الهجرتين . ووصلت إلى القبلتين ، وثبتت على إيمانها حين دعا داعي الحق .



إشارة الرسول الأعظم (ص) على أصحابه بالهجرة :

لما كثر المسلمون وظهر الإيمان ، ثار ناس كثيرون من كفار قريش على من آمن من قبائلهم ، فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم ، فقال لهم رسول الله (ص) تفرقوا في الأرض .

قالوا : أين نذهب يا رسول الله ؟

قال : ها هنا وأشار إلى أرض الحبشة ، وكانت أحب الأرض إليه . فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين ، منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه . فخرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، حتى انتهوا إلى الشعيبة ، منهم الراكب والملاشي .

ووفق الله المسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار ، حلوهم إلى أرض الحبشة بنصف دينار . وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة للنبوة .

وخرجت قريش في آثارهم ، حتى جاؤوا البحر حيث ركب المسلمون فلم يدر كوا منهم أحداً^(١) .

ويقول ابن الأثير في تاريخه : « وكان عليهم عثمان بن مظعون فهو رئيس المهاجرين في الهجرة الأولى ، ليشرف على شؤونهم ويراقب أعمالهم ، كي لا تفرق كلمتهم ، ومن هنا نعلم أن المسلمين يجب أن لا يخرجوا عن النظام الإسلامي الذي

(١) طبقات ابن سعد الكبيرى - مجلد - ١ - ٢ - صفحة ١٣٦ .



وضعه لهم النبي صلى الله عليه وسلم وأن يكون لهم قائد يدير أمورهم ، وإن كانوا قليلين ، وإن ترك المسلمين القيادة وانصراف كل حسب رأيه ، وميشه ، وهواء ، جعلهم كالغنم الشاردة فصاروا طعنة للمستعمرين .

ولو أنهم اتبعوا دينهم العظيم ، وجعلوا لهم من وسطهم غبوراً على مصالحهم يكافح عنهم ، حسب التعاليم الإسلامية (لا تأخذه في الله لومة لائم) فينماضل الأعداء ، لتلافي النقصان ، وإصلاح الخلل ...

عندما تنقض الأمة إلى السعادة والشرف .

المجراة الثانية :

وبعد نقض الصحيفة ، وتضييق المشركون على المسلمين ... في حديث يطول شرحه لا مجال لذكره ... خرج المسلمون فراراً بدينهم إلى أرض الحبشة ، فكانت الهجرة الثانية .

كان أمير القوم هذه المرة جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه ومعه أمراته أسماء بنت عميس .

تتابع المسلمون إلى أرض الحبشة منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه كما ذكرنا في الهجرة الأولى .

فكان جميع من هاجر من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجن بهم صغاراً - أو ولدوا في أرض الحبشة - كانوا ثمانين رجلاً وبسبعين عشرة امرأة أو ما يزيد والله أعلم .



حزن الرسول (ص) على فراق خديجة:

بعد أن ألقينا نظرة خاطفة على حياة أم المؤمنين السيدة خديجة (رض) زوجة الرسول الكريم (ص) لا بد لنا من أن نتكلم عن مدى حزن النبي (ص) لفراقه الزوجة الوفية ...

أجل ... لقد خدمت تلك الجذوة المشتعلة التي أضاءت طريق الجهاد مدة من الزمن.

رحلت خديجة إلى جوار ربهما آمنة مطمئنة ، وبقي الرسول الكريم (ص) بعدها في كابة وحزن ، وهم بالغ ..

فالليالي تضي كالحات ، مشحونة بالذكريات الأليمة ، ذكريات الزوجة الوفية ، ربة البيت ، وأم الأولاد ، وساعدة القوي ، وشريكه في الجهاد .

كان عليه الصلاة والسلام يرجع إلى البيت ، وهو مرهق ينوه بأعباء الرسالة العظيمة ، وقد أتعبه ما يلقى من المشركين ، من تعنت وأذى .

لقد فرح المشركون بموت خديجة ... وأبي طالب الحمامي والكفيل محمد (ص) وظنوا أن الظلمات تكاثفت حوله ، فلن يبدو على الأفق شماع أو ضياء

كان صلى الله عليه وآله وسلم يخلو إلى نفسه ليستعيد ذكري الراحلة التي ملأت عليه دنياه ، وقد تراكمت عليه الهموم والأحزان .

دخلت عليه خولة بنت حكيم السلمية ، وقالت له : يا رسول الله كأنني



أراك قد دخلت خلة لفقد خديجة ؟

فأجاب عليه الصلاة والسلام : (أجل كانت أم العيال وربة البيت) .

فاقتربت عليه خولة بعد حديث طويل أن يتزوج . فأجابها بنبرة عتاب . . .
« من بعد خديجة ؟ »

قالت : هون عليك ، إن أردت ثيباً فمذه سودة بنت زمعة ... أو أردت
بكراً . . فعليك بعائشة بنت أبي بكر ، فقال لها : لكنها لا تزال صغيرة
يا خولة .

وكان رد خولة حاضراً : تخطبها اليوم الى أبيها ، ثم تنتظر حتى تنضج .

فأجابها النبي باستغراب : حتى تنضج ؟ ثم أردف بلوعة . . .

لكن من للبيت يرعى شؤونه ؟ ومن لبيات الرسول يخدمهن ؟

واخيراً أذن لها الرسول في خطبتهما . فمررت أول آببيت (أبي بكر) ثم
جاءت بيت (زمعة) فدخلت على ابنته (سودة) وهي تقول : - ماذا أدخل
الله عليك من الخير والبركة يا سودة ؟

فسألت (سودة) وهي لا تدري مرادها : وماذا يا خولة ؟

قالت : أرسلني رسول الله أخطبتك عليه . . .

وكانت الهجرة الى يثرب (المدينة المنورة) بوعي من السهام أتى به جبريل .

هناك في المدينة أنصار للرسول الأعظم ، يحيطون به ويقتدونه بأرواحهم
مستسلين ، يرون الاستشهاد في سبيل الدعوة الاسلامية مجدًا وانتصاراً ، وغاية
أماناتهم نشر الإسلام وتعاليمه ، وتركيز دعائهما .



هجرة الرسول (ص) الى يثرب :

تعالى الهاfax في أنحاء يثرب ، وخرج أهلها مسرعين ليروا الرسول الكريم (ص) . وأقبلت أفواج الناس ساعية في شوق ولهفة ، الى حيث تلقى المهاجر العظيم .

خرج أهالي يثرب رجالاً ونساء ، مرحبين ... داعين بصوت واحد : « هلم إلينا يا رسول الله - الى العدد - والعدة - والمنعة » خرجوا وهم يهتفون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى الله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان النبي الأعظم (ص) يحيي المستقبلين مبتسمًا ثم يقول : « خلوا سيل ناقتي » .

ولما بركت ناقة الرسول ، اختار عليه الصلاة والسلام ذلك الموضع الذي بركت فيه ، فبني عليه مسجدًا « المسجد النبوى الشريف » .

وبنى الرسول (ص) حول المسجد بيوتاً من الطين والجريد ، ... أقام بهذه البيوت بعض المهاجرين ينعمون بسماع أصوات المصلين والمتعبدين ، التي هي أعظم نغم وأذب ترتيل ينعش قلوب المؤمنين .

وفي بعض هذه البيوت ، أقامت السيدة سودة بنت زمعة أم المؤمنين ، ترعى شؤون بيت الرسول الأعظم (ص) وتسرر على راحة بناته .



ولما استقر المسلمون في دار المحرقة ، حيث العدد - والمعدة - وملائمة -
وعبدوا الله بدون خوف من اضطهاد عدوهم وأذيته .

قام الرسول (ص) وخطب المسلمين ، وآخر بينهم ، المهاجرين منهم
والأنصار . فقال (ص) تآخوا في الله أخوين ... أخوين ...

«آخر بين أبي بكر وبين خارجة بن زهير الخزرجي ، وآخر بين عمر بن الخطاب وبين عتبان بن مالك العوفي ، وآخر بين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ ... الخ ..

ثم أخذ النبي (ص) بيده علي بن أبي طالب (ع) وهو يقول : هذا أخي ...
وابن عمي ... ووزيري ...

وتفرق الجموع ، وخرج كل مهاجر بأخ له ، وذهب علي بن أبي طالب (ع)
بالربع الوفير ... مؤاخاة سيد البشر وخاتم الأنبياء ، فكان له الأخ والوصي ...
والساعد القوي .

عاد الرسول (ص) إلى بيته وقد ارقت نفسه الشريفة إلى مؤاخاة المسلمين ،
واتحادهم وتضامنهم في سبيل الدعوة إلى الإسلام ونصرة الداعي .

وجاء أبو بكر يتتحدث إلى النبي (ص) باتفاق زواج ابنته عائشة التي عقدت
عليها الرسول الكريم (ص) بمكة ، وهي لا تزال يومئذ بنت ست سنوات على ما
يروى - ومنهم من قال سبع سنوات - .

وأصفى النبي (ص) إلى حدديث أبي بكر - ثم سأله مستفسراً كم أصبح
عمرها ؟ فقال أبو بكر : تسع سنين .

«وأجاب النبي ... وأتي مع بعض الأنصار ونسائهم إلى منزل أبي بكر



الصديق حيث كان يقيم في بيت الحارث بن الحزرج ... »^(٢) .

عائشة أم المؤمنين :

هي بنت أبي بكر ، وإحدى زوجات النبي (ص) المحظوظات عاشت في حنف الإسلام ، وأخذت عن الرسول الأعظم (ص) الكثير من التعاليم ، وروت عنه الروايات الكثيرة في شتى المسائل .

كانت ذات نفوذ قوي بعد وفاة النبي (ص) ساعدتها على ذلك أنها زوجة صاحب الرسالة ... وابنة أبي بكر ..

وبذكائها وفطنتها اغتنمت هذين الأمرين ، فأبرزت شخصيتها وخصوصاً في مطلع خلافة أمير المؤمنين علي (ع) .

نظرت عائشة فوجدت أن علي بن أبي طالب أصبح خليفة للمسلمين ، وأن طلحة والزبير بايضاً عليها^(٢) وهي لم ترض بذلك ، ولم يوافق هواماً .

وكيف ترضى أن يلي الخلافة بنو هاشم ، وخصوصاً علي بن أبي طالب زوج الزهراء ابنة ضرتها أم المؤمنين خديجة .

كانت مقومات الشخصية القوية مكتملة لدى ابنة أبي بكر ، فهي تعيش في

(١) تاريخ الطبرى .

(٢) إن طلحة والزبير بعدما بايضاً عليها (ع) نكثاً البيعة عندما علموا أنها لن يحققا رغباتها في الامرة والسلطان لأن علياً سيساوي بين افراد الامة ، ويعطي كل ذي حق حقه بلا تفاضل أو تمييز .



ظل بيت ربيع، بيت صاحب الرسالة.. - منذ تزوجها الرسول الأعظم (ص) -
وستقي من لدنه علمًا وأدبًا ، يعينها على ذلك ، ذكاء حاد ، وفطنة وقادة ، بما
جعلها موئلا ، وملجأ لطالبي الحديث عن الرسول الأعظم (ص) .

فروى عنها كبار مشايخ المسلمين الكثير مما حفظته من زوجها النبي (ص)
والكثير مما استفادته هي من تجارب الحياة كقولها : كما في بلاغات النساء .

« مكارم الأخلاق عشرة - صدق الحديث - وصدق البأس - وأداء
الأمانة - وصلة الرحم - والمكافحة بالصنيع - وبذل المعروف - والتذمّر
للصاحب - وقرى الضيف - ورأسمهن الحياة »^(١) .

كانت السيدة عائشة تتمتع بشباب ناضر ، وجمال فتان ، بالإضافة إلى
صفات لها الأثر الكبير في زرع الثقة في النفس لدى الانثى ، هذه الثقة التي
جرأت أم المؤمنين أن تخوض غمار الحرب ، وتسحر بعض المسلمين بطلاوة
حديثها ، وعذوبة ألفاظها ، فتأخذ بأعنة النفوس ، وتصنع ما يصنع
الرجال العظام .

إن شخصيتها ، وقوتها إدراكيها ، وتعلّمها للأمور وسعة افقها كل
هذه الخصائص هي التي جعلتها تتتفوق على صواحبها ، وتنقلب على كل ما يحيطها
من مشاكل ، وتذلل أمام أهدافها الصعب .

لكن السيدة عائشة انهزمت عند الصراع مع هواها وعواطفها ، وفشلت في
تجريد نفسها من الغرائز الأنوثية وبقيت الانثى . انثى تشعر بالغيرة من غيرها .
صحيح ان لها مكان الصدارة بين زوجات النبي اللواتي كن يتواجدن الواحدة
تلوا الأخرى ، بعد موت خديجة التي أكرمتها الباري سبحانه فلم تتجرع مرارة
الضرائر ، ولم تكتوي بنار الغيرة التي تشعل صدورهن .

(١) بلاغات النساء لابن طيفور ... هكذا وردت في الأصل.



وهنا لعبت الطبيعة دورها ، فالسيدة عائشة لا تتمكن من اخهاد نار الغيرة التي تتاجج في صدرها ، وهي ذات الشعور القوي ٠٠٠ أليست الغيرة من صفات الأنثى ٠٠٠ من البشر !

ومن طريف ما يروى عن السيدة عائشة ، أن النبي (ص) قال لها مداعباً : « ما ضرك لو مت قبلي ، فقمت عليك ... وكتفتك ... وصلبت عليك ... ودفنتك ?? »

فأجابت وقد التهيب صدرها بنار الغيرة : « ليكن ذلك حظ غيري . والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك »^(١) .

لقد ضم بيت النبي (ص) عدداً من النساء ، من ذوات الجمال والذكاء ، علاوة على النسب الرفيع .

عاشت السيدة عائشة بين ضرائر من بينهن السيدة الحسنة الأبية المترفة أم سلمة بنت أبي أمية - زاد الركب - والسيدة ذات الشرف والحسب زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمّة الرسول التي كانت تفاخر ضرائرها بأن الله سبحانه زوجها في السماء ، إشارة إلى قوله تعالى : (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها)^(٢) وأم حبيبة بنت أبي سفيان زعيم مشركي مكة ، وقائد جيشه لحرب النبي (ص) .

(١) تاريخ الطبرى - ابن جرير .

(٢) سورة الأحزاب - آية ٣٨ .

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: نزات هذه الآية في زينب بنت جحش الأسدية ، بنت أمية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله (ص) فخطبها على مولاه زيد بن حارثة . وفي الحديث أن زينب كانت تفتخّر على سائر نساء النبي وتقول : (زوجني الله من النبي وأنتن إنما زوجنكم أولياؤ صحن) .



ناهيك عن جويرية بنت الحارث التي تبهر الأنظار لروعه جمالها . وحصة بنت عمر بن الخطاب . وصفية بنت حبيبي بن أحطب الناعمة ... الساحرة .

ولكن السيدة عائشة كانت تقول : ما أغرت من امرأة قط كغيري من خديجة ... ولم أرها .

لقد حاولت السيدة عائشة أم المؤمنين الاستيلاء على قلب الرسول الزوج العظيم ، بشتى الطرق ، وجعلت سلاحها من أنوثتها - وذكائها - وصباها - وجمالها - .

ولكن المرأة ... مرارة الفيرة لم تقدر أن تستسيغها ، فالحب العميق الذي يكنه الرسول الأعظم (ص) لزوجته الراحلة خديجة (رض) كان شفلا الشاغل.

لقد بقىت خديجة (رض) تشارك عائشة عواطف الزوج وحناته ، وهي بين الأموات ، وتحت الثرى ، ولكن طيفها ما زال ماثلاً أمام عيني الرسول ، ولسانه الشريف يلهج بذكرها يردد اسمها في كل حين ، ولم يسام من الثناء عليها حتى تأججت نار الفيرة في قلب عائشة (رض) فلم تهالك أم المؤمنين أن قالت مرة للرسول (ص) : لقد عوضك الله من كبيرة السن ... فغضب رسول الله (ص) من كلامها - أغضبها عظيمًا حتى أسقطت من جلدتها . فقالت في نفسها : اللهم إن ذهب غضب رسول الله عني لم أعد أذكرها بسوء .

وقالت عائشة : كان النبي يذكر خديجة وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة ؟ فيقول : إنها كانت وكان لي منها ولد .

فلا غرابة أن تزداد نار الفيرة في قلب السيدة عائشة (رض) وهي تسمع النبي يردد في كل حين (كان لي منها ولد) وعائشة تلك الشابة الحلوة - ذات الذكاء



والفطنة لم تنجي زوجها ولدأ ، في حين أن خديجة وهي العجوز قد انجحت له البنين والبنات .

ولا يمكن للسيدة عائشة أن تتغافل ذاك الحب الشديد للأبناء ، والحرص على الانجاب الذي كان يكمن في قلب الرسول الأعظم (ص) ورجاء ذلك العهد أجمع .

إن مرارة العقم—وحرارة عواطف الأمومة ... المحرومة ... والكبث... كل هذه الأشياء التي هي من صنع الطبيعة البشرية وقدرة الخالق الجبار ، كانت تثير في نفس السيدة عائشة داعماً شعوراً بوطأة الحرمان التي تجثم على صدرها . وتتضرر إلى بنات ضرتها (خديجة) متৎسرة تشعر كأن حواجز منيعة تقوم بينها وبينهن . بل ترى أن كل واحدة منهن هي صورة عن ضرتها التي استأثرت بقلب الزوج الرسول وما بلغته من إيثار لم يبلغه أحد من قبل ... ولا من بعد.

وهذا ما جعل السيدة عائشة تخرج إلى حرب علي بن أبي طالب زوج فاطمة بنت محمد(ص) ابنة ضرتها التي احتلت مكان أمها خديجة من قلب الرسول(ص). وكانت وقعة الجمل الشهيرة في البصرة التي ذكرها جميع أهل التاريخ وأصحاب السير وليس هذا المجال مجال لذكرها .

ذكرت الدكتورة بنت الشاطئ : « لما تزوج النبي اسماء بنت النعمان التي أحست عائشة خطر جمالها منذ وقعت عينها عليها ، وقدرت أنها اذا لم تحصل بينها وبين زوجها الرسول فسوف تتكلفها من أمرها عسراً .

ومن ثم قررت أن تفرغ منها قبل أن يتم الزواج . وببدأت ت العمل على الفور مستعينة بصواحتها ٠٠٠

دعت إليها حفصة و أخرى من يحرصن من إرضائهما ، فقالت لها :



« قد وضع يده في الغرائب يوشك أن يصرفن وجهه عنّا » و ٠٠٠
و اتفقن على خطة موحدة ٠٠٠ أقبلن على العروس مهنيات ، يجعلونها
للزفاف ، ويوصينها بما تفعل ، وما تقول استجلاباً لرضا الزوج
العظيم ٠٠٠ ومحبته ٠٠٠

فكان مما نصحن لها به ، أن تستعين بالله إذا ما دخل عليها ٠٠٠ !
وفعلت المسكينة ٠٠٠

لم تكن ترى الرسول مقبلاً عليهمـا ، حتى استعاذت بالله وفي حسابها أنها
تستجلب محبتها ورضاه ٠٠٠

فصرف رسول الله وجهه عنها وقال : « لقد عذت بمعاذ » .
وغادرها من لحظته ، وأمرها أن تلعق بأهلها ٠٠٠

فبعثت إليه - أو بعث أبوها - من يتوسط لردها ويتحدث عمـا كان من
نسائـه معـها ، فلم يملـك عليه الصلاة والسلام ، إلا أن يبتسم ويقول :
« إنـهنـ صـواـحـبـ يـوسـفـ ٠٠٠ وـإـنـ كـيـدـهـنـ عـظـيمـ » .

وبقي (ص) عند كلمته ، فلم يمسك تلك التي (عاذت بمعاذ) .
وتخلاصت عائشة من منافسة خطيرة ١١ .

ومما روى ابن طيفور : أن عائشة (رض) لما احتضرت جزعت ، فقيل لها :
« أتجزعن يا أم المؤمنين وأنت زوجة رسول الله (ص) وأم المؤمنين - وابنة
أبي بكر الصديق ؟ !

(١) زاجم سيدات بيت النبوة - الدكتورة بنت الشاطبي .



فقالت متحسراً ...

– إن يوم الجهل معترض في حلقي ... ليتنى مت قبله – أو كنت نسياً
منسيّاً^(١).

توفيت عائشة أم المؤمنين عن عمر يناهز السادسة والستين . وصلى عليها أبو هريرة . ودفنت بالبقيع مع أمهاط المؤمنين زوجات النبي الكريم (ص) .

وتحت ثرى المدينة المنورة – يثرب – خمد ذلك الذكاء القاد – واللهم
الذى ظل يضطرم سنيناً وأعوااماً طواها ...

وتحت ثرى – يثرب – جمع الموت بين الفرائر حيث لا تنافس ... ولا
حقد . . ولا غيرة ...

أم المؤمنين أم سامة :

إن ظهور الرسالة الحمدية أعظم حادث في تاريخ العرب خاصة ، والبشر
عامة . قال تعالى :

« وما أرسلناك إلا كافية للناس بشيراً ونذيراً »^(٢) حتى كان قصارى جهد
المسلمين ، توكيز دعائم الدين ، ووجهادهم في اجتثاعهم على الإسلام ، ونبذ ما كانوا
عليه من الجاهلية الجهلاء والضلاله العميماء .

سرت تعاليم الإسلام في النفوس كضياء الشمس ينساب بنوره الحالى على قلوب

(١) لاغات النساء لابن طيفور .

(٢) سورة سباء - آية - ٢٨ .



المؤمنين أنتي كانوا وحيثما رحلوا .

وهنا ظهرت المرأة التي كانت قد أنكرتها الأُمّة ، واضطهدتها الشعوب إلى ميدان الحياة ، تؤدي رسالتها وتضرب المثل الأعلى في علو الملة – والبطولة – والجهاد – ونصرة الحق – والتعاون على البر والتقوى – والتمسك بعمرى الدين والإيمان – ومكارم الأخلاق .

كان من أبرز المجاهدات المهاجرات المؤمنات السيدة أم سلمة رضوان الله عليها ، وهي تعطينا صورة واضحة عن المرأة المسلمة في ذلك العهد ... ومدى مساحتها في الجهاد .

أم سلمة هي بنت أبي أمية^(١) الملقب بزاد الركب وهي مهاجرة جليلة من المسلمات السابقات إلى الإسلام . تزوجها عبد الله بن الأسد المخزومي ، آمنت بالنبي (ص) وصدقته ، وهاجرت إلى أرض الحبشة عندما أشار الرسول الكريم على المسلمين بالهجرة .

وقد كانت أم سلمة من طلاقة اللسان ، وحسن الرأي وكال الهيئة ، وجاء الصورة ، ما تحدث عنه العرب .

وقد حزنت السيدة عائشة عندما تزوج رسول الله (ص) بام سلمة ، لما ذكروا لها من كمالها ، وأدبها ، وجمالها ، وقالت لما رأتها : « والله أضعف ما وصفت لي » .

وما يدلنا على طلاقة لسان السيدة أم سلمة وفطمتها نستمع إليها كما يحدثنا

(١) هو سهيل بن المغيرة من بني مخزوم ، وهو ابن عم رسول الله (ص) برة بنت عبد عبد المطلب لقمه زاد الركب لأنه كان أحد أجواد العرب ، فكان إذا سافر لم يحمل من يكون معه أو برفقته زاداً ، بل هو يكتفيهم جميعاً مؤونة السفر ، بجوده وكرمه .



التاريخ ، وهي تتكلم عن الذين هاجروا الى أرض الحبشة . وما كان من المخوار بين النجاشي ملك الحبشة - وعمر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أمير المسلمين في ارض الحبشة .

حديث أم سلمة (رض) :

ذكر ابن هشام في السيرة النبوية^(١) عن أم سلمة قولها : « لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار - النجاشي - أمينا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً اثمروا بينهم أن يبعثوا الى النجاشي فبينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة . وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(٢) .

فجمعوا له أدمًا كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية .

ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربعة ، وعمرو بن العاص . وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لها : ادفعوا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما الى النجاشي هداياه .

ثم سأله أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم ، قالت : فخرجا حتى قدموا على النجاشي ونحن عندـه ... بخير دار عندـ خير جـار ... فلم يبقـ من بطارقته بطريق إلا دفعـاـ اليـهـ هـديـتـهـ قبلـ أنـ يـكلـمـاـ النـجـاشـيـ وـقـالـاـ لـكـلـ بـطـرـيقـ مـنـهـ :

(١) السيرة النبوية لابن هشام - ج - ١ - ص - ٣٥٨ ٣٥٩ .

(٢) الأدم ، هو الجلد وكانت مكة والجزيرة العربية معروفة بالجلود الممتازة وهي من مصادر ثروتها .



«انه قد ضوى^(١) الى بلد الملك منّا غلبهان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليزددهم اليهم . فإذا كلامنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم البنا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً^(٢) وأعلم بها عابوا عليهم وعاتبوا لهم فيه .

قالت : ولم يكن شيء أبغض الى عبد الله بن أبي ربعة وعمرو بن العاص ، من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقته من حوله :

صدقاً أيتها الملك قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بها عابوا عليهم فأسلمهم اليها ، فليزددهم الى بلادهم وقومهم .

قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لا ما الله إذا لا اسلهم اليها ، ولا يُكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فأسلهم عما يقول هذان في أمرهم . فإن كانوا كما يقولون أسلتهم اليها ، ورددتهم الى قومهم . وإن كانوا غير ذلك ، منعهم منها وأحسنت جوارهم مما جاوروني .

قالت : ثم أرسل الى أصحاب رسول الله (ص) ، فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم : ماذا تقولون للرجل إذا جئتموه ...؟

قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا (ص) كائناً في ذلك ما هو كائن .

(١) ضوى : جأوا اليه - ولصق به - أي اتى ليلاً متخفياً - سراً .

(٢) أعلى بهم عيناً - أي اعرف بهم وابصر - والمعنى : عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم يرون منهم ما لا يرى غيرهم .



فَلَمَّا جَاءُوا وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيَّ اسْأَفْتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالُوا لَهُمْ: - مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِّنْ هَذِهِ الْمَلَلِ...؟

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَامَهُ جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِوانَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ الْمَلِكُ، كَنَا قَوْمًا أَهْلَ جَاهْلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِيَ الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطِعُ الْأَرْحَامَ، وَنَسْيِ الْجَوَارَ وَيَا كُلَّ الْقَوِيِّ مِنْهُ الْمُضْعِيفُ. فَكَنَا عَلَى ذَلِكَ حَقِّ بَعْثَ اللَّهِ إِلَيْنَا رَسُولًا مَنَا، نَعْرَفُ نَسْبَهُ، وَصَدَقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لَنْوَحْدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلُعُ مَا كَنَا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ.

وَأَمْرَنَا أَيْضًا: بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمْانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِ عنِ الْمُحَارِمِ وَالْدَّمَاءِ.

وَنَهَا نَا أَيْضًا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقُولِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتَمِّ، وَقُذْفِ الْمُحْصَنَاتِ.

وَأَمْرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمْرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ... الخَ قَالَتْ: فَعَدَدُ عَلَيْهِ أَمْرُ اسْلَامٍ.

فَصَدَقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ.

وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَمْنَا مَا حَرَمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمًا، فَعَذَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنِ دِينِنَا، لِيَرْدُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحْلِ مَا كَنَا نَسْتَحْلِ مِنَ الْخَبَائِثِ.

فَلَمَّا قَهْرُونَا وَظَلَمُونَا، وَضَيَّقُونَا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى



بلادك ، واحتراقك على من سواك ، ورغبتنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أية الملك .

قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه عليه . قالت : فقرأ عليه صدرأ من « كم يغض » . قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أسايقته حتى اخضلو^(١) مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال لهم النجاشي : إن هذا الدين ، والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة^(٢) انطلق ، فلا والله لا اسلمهم إليكما ، ولا يُسْكادون .

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لا تتبنه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم^(٣) . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربعة وكان أتقى الرجلين : لا نفعل ، فإن لهم ارحاماً وإن كانوا قد خالفونا .

قال : والله لا يخبرنـه إنـهم يزعمونـ أنـ عيسـى بنـ مريمـ عبدـ . قالت : ثم غدا عليهـ منـ الغـدـ ، فقالـ لهـ : أـيـهاـ الـمـلـكـ إـنـهـمـ يـقـولـونـ فـيـ عـيـسـىـ بـنـ مـرـيمـ قـوـلـاـ عـظـيـماـ ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـمـ ، فـسـلـهـمـ عـمـاـ يـقـولـونـ فـيـهـ .

قالت : ولم ينزلـ بـنـاـ مـثـلـهـ قـطـ : فـاجـتـمـعـ الـقـوـمـ ثـمـ قـالـ بـعـضـ مـاـذاـ تـقـولـونـ فـيـ عـيـسـىـ بـنـ مـرـيمـ إـذـاـ سـأـلـكـ عـنـهـ ..؟ـ قـالـواـ : نـقـولـ وـالـلـهـ مـاـ قـالـ اللـهـ ، وـمـاـ جـاءـنـاـ بـهـ نـبـيـنـاـ ، كـائـنـاـ فـيـ ذـلـكـ مـاـ هـوـ كـائـنـ .

(١) أخضل : أبل - واحتضرت لحيته : ابتلت

(٢) المشكاة : قال في لسان العرب : « وفي حديث النجاشي : إنـاـ يـخـرـجـوـاـ مـنـ مـشـكـاـةـ وـاحـدـةـ . المشـكـاةـ : الـكـوـنـ غـيرـ النـافـذـةـ ؛ـ وـقـيـلـ هـيـ الـحـدـيدـةـ الـقـيـ يـعـلـقـ عـلـيـهـمـاـ الـقـنـدـيلـ »ـ . ارادـ القرآنـ -ـ وـالـأـنـجـيـلـ كـلامـ اللـهـ تـعـالـىـ -ـ وـأـنـهـمـ هـمـ شـيـءـ وـاحـدـ .

(٣) خضراءهم - معناها : شجرتهم التي منها تفرعوا .



قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مریم ؟ قالت فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا (ص) يقول : هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته ، ألقاهما إلى مریم العذراء البتول .

قالت : فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مریم بقدر هذا العود ، فقالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال :

قال : وإن نخرتم والله ... اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيم الآمنون - من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم : ما أحب أن لي ديراً من ذهب ، وإنني آذيت رجلاً منكم - ردوا عليهما هداياهم ، فلا حاجة لي بها . فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجوا من عنده ، مقيوحين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقروا عنده بخير دار - مع خير جار . (انتهى) .

لقد كانت السيدة أم سلمة أول ظعينة دخلت إلى المدينة المنورة مهاجرة ، وكان زوجها أبو سلمة قد سبقها إليها . وتروي لنا رحلتها إلى (يثرب) المدينة المنورة فتقول : رحّلت بعيري ، ووضعت ابني في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، وما معني أحد من خلق الله تعالى ، فقلت أبلغ بن لقيت ، حتى أقدم على زوجي بالمدينة ، حتى إذا كنت بالتنعيم ، لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار ، فقال إلى أين با ابنة أبي أمية ؟ فقلت : أريد زوجي بالمدينة ، فقال : هل معك أحد ... ؟ فقلت : لا والله إلا الله ... وابني هذا .

فقال : والله مالك من منزل - فأخذ بخطام البعير ، فانطلق يهوي بي يقودني ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أكرم منه .



كان إذا بلغ المنزل ، أنماخ بي ثم تندى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، فحط عنه ثم قيده في الشجرة . فإذا دنا الرواح ، قام إلى بعيري ، فقدمه ، فرحته ، ثم تأخر عنى وقال : أركبي ... فإذا ركبت واستويت على بعيري ، أتي فأخذ بخطام البعير فقاده ، ولم يزل يصنع ذلك حتى قدم المدينة ^(١) .

وفي وقعة أحد قتل ابو سلمة رضوان الله عليه مجاهداً ، فحزنت عليه زوجته ام سلمة ، ووجدت كثيراً على فقد الزوج المؤمن العطوف الذي كان دائماً يدعوا لها بالخير والسعادة ، وطالما رد قوله : « اللهم ارزق ام سلمة بعدي رجلاً خيراً مني ، لا ينحرها ولا يؤذها » .

فَلِمَّا ماتَ قَالَتْ : مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ أَبْيَ خَيْرٍ مِّنْ أَبْدِي سَلَمَةَ .. وَكَانَ اللَّهُ قَدْ اسْتَجَابَ دُعَاءَ أَبِي سَلَمَةَ الْمُجَاهِدِ الْمُؤْمِنِ ، فَأَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص).

زواج رسول الله (ص) من أم سلمة :

حزنت أم سلمة على فقد الزوج الرؤوف ، وعطفت على اولادهـا ، ترعامـهـا بكل حنان وعطف حتى إذا انقضت عدتها أرسل إليها أبو بكر يخطبـهاـ ، فرفضت بكل إصرار ، وخطبـهاـ عمر من الخطاب فرفضت أيضاـ (٢) .

وأرسل رسول الله (ص) إلى أم سلمة يخطبها ، فقالت مرحباً برسول الله

(١) سيرة ابن هشام - ج - ٢ - ص ١١٣ . وفي الدر المنثور ص - ٥٣١ اقول : لقد كان المسلمون الاول مثال الشهامة ، والمروءة ، والغيرة ، والحبة . ف الحديث ام سلعة عن عثمان بن طلحة ومرافقته لها في الطريق ومعاملته ايها : معاملة الحسنة حيث كان يتنحى الى جهة ثانية ويتأخر ، حتى تركب راحلتها وهي في منتهى الحشمة والادب .

(٢) اعلام النساء - للاستاذ عمر رضا كحالة ،



رسوله . ولكن ارجع الى النبي وقل له : اني امرأة غيري ، واني ام ايتام ،
وانه ليس احد من أوليائي شاهداً . فأرسل رسول الله (ص) : « أما قولك :
اني ام ايتام « مصببة » ، فان الله سيكفيك صبيانك ، وأما قولك اني غيري -
فسادعوا الله ان يذهب غيرتك وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهداً ولا غائباً
إلا استرضاني » .

تزوجها رسول الله (ص) السنة الرابعة للهجرة ، من شهر شوال ، فكانت من
خيرة نسائه ، ذات عقل راجح ، وإيمان راسخ ورأي صائب ، مع ورع وتقى .

شهدت ام سلمة ^(١) رضوان الله عليها فتح خيبر ، وقالت مع نسوة : على ما
يروى - ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال ، فيكون لنا من
الأجر مثل ما لهم ، فنزلت الآية الكريمة والله اعلم « ولا تتموا ما فضل الله به
بعضكم على بعض » ^(٢) .

لقد كان لأم سلمة الرأي السديد ، وبعد النظر ، مع سلامه التفكير ،
وحسن التعبير ، والحرص على مصلحة المسلمين ، واداء النصيحة لهم ، وإرشادهم
الى طريق الصواب .

نصيحة أم سلمة لل الخليفة عثمان :

حينما ثار الناس على الخليفة عثمان بن عفان بسبب ليونته ومعاملته لأقربائه
بالحسنى ، وإيثاربني أمية بالأموال والمناصب الرفيعة ، وتسلط مروان بن الحكم
على أفكاره حتى أصبح عثمان لا يعمل عملاً إلا بمشورة مروان ، ولم يلتفت الى

(١) اعلام النساء عمر رضا كعالة - ص - ٢٢ : .

(٢) سورة النساء - آية - ٣١ .



نصائح المسلمين عندما طلبوا منه الحمد من سيطرة مروان - وأمثاله من بنى أمية - واستئثارهم بمقدرات المسلمين ، واللعب بشأن الخلافة ، إلى غير ذلك مما لسنابصده .

ولما اجتاحت الثورة العارمة صبر المسلمين ، نرى السيدة أم سلمة تتوجه إلى الخليفة عثمان بن أبي العاص التي تفريط عطفاً ، وحرضاً على المصلحة العامة . وعدم تضييع الصدف ، وحفظاً على الإسلام .

قالت له : يا بنى ما لي أرى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين . لا تعف طريقاً كان رسول الله (ص) يحبها . ولا تقتدح بزند كان عليه الصلاة والسلام أكباه - وتونخ حيث توخي صاحبها فانها ثكراً الامر ثكراً .. ولم يظلمها

هذا حق أمومتي قضيتها إليك ، وإن عليك حق الطاعة^(١) .

حديث أم سلمة مع عائشة :

تبجل لـنا شخصية أم سلمة وتعقلها وبعد نظرها في عواقب الأمور ، وذلك عندما أرادت عائشة أم المؤمنين الخروج للمطالبة بدم عثمان .

جاءت عائشة إلى أم سلمة ، لاستشارتها من جهة ولاقناعها ، لعلّها تخرج منها من جهة ثانية .

وقد قامت عائشة بهذه المحاولة وهي تعرف حق المعرفة ما تتعلّق به رفيقتها من قوة الشخصية ، وبعد النظر والاعتقاد بحق علي ، ومنزلته عند ربها ، وهو الإمام الحق .

(١) أعلام النساء - عمر رضا كحاله .



قالت عائشة (رض) : يا بنت أبي أمية، انت اول مهاجرة من أزواج رسول الله (ص) وأنت كبيرة امهات المؤمنين ، وكان رسول الله (ص) يقسم لنا من بيتك ، وكان جبرائيل أكثر ما يكون في منزلك ، فقالت أم سلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة !؟ فقالت عائشة : « ان عبد الله ابن أخي اخبرني أن القوم استتابوا عثمان ، فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام ، وقد عزمت الخروج الى البصرة ، ومعي الزبير وطلحة ، فاخرجي معنا ، لعل الله ان يصلح هذا الأمر على ايديينا ، وبنا »^(١) .

وكان الذكريات ، تسرع بام سلمة وتعود بها الى عهد رسول الله (ص) ، حيث كانتا معاً هي وعائشة ، تريان بأم عينيها منزلة علي بن ابي طالب عليه السلام عند رسول الله (ص) يخلو به دون غيره من الصحابة ويناجيه ويسأله ويؤثره بعظيم حبه ، وينشر بين المؤمنين ما لعلي عليه السلام من درجات الفضل الرفيعة والمنزلة العالية .

ثم تمثلت علي بن ابي طالب وبطولته وتفانيه في الجماد في سبيل الله وهو يضرب بسيفه يدافع عن الرسول الكريم ، ويلقي بنفسه في لهوات الحروب ، فيخوض المعارك ويفوض في دماء المشركين ويحصد الكفار حتى يفرق جمعهم فلا يبالي في سبيل نصرة الدين أو قوع على الموت او الموت وقع عليه .

تمثلت ام سلمة العلم الجم الذي عند علي المقتبس من الرسول الأعظم المحيط بالزاخر يلأ الآفاق والأكوان وذكرت قول النبي (ص) أنا مدينة العلم وعلى بابها .

وتمثلت في علي بن ابي طالب روح العدل التي تجري في عروقه .

وتمثلته عليه السلام في تقواه وورعه وزهده .

(١) تاريخ اليعقوبي - ص. ١٦٩ .



وتمثلته عليه السلام في توجيه الناس الى سنن الخير ، وصرفهم عن الاندفاع في
شوائب الدنيا وتحمّل على طريق الخير وسلوك سبل الهدى والإيمان
وعبادة الرحمن .

وتمثلته عليه السلام في إرساء قواعد العدل ، وثبتت دعائم الحق ،
وإزهاق الباطل .

وتمثلت الرسول (ص) حيث قال في حق علي : «علي مع الحق والحق مع
علي - يدور معه حيثما دار » .

وتمثلت أم سلمة أيضاً عليها وهو في كتف النبي عليه الصلاة والسلام
وتحت رعايته .

وتمثلت خلق علي الساكن في روحه الإنسانية الشاملة .

وما أن وصلت السيدة أم سلمة الى هذا الحد من التصورات ، واستعادة
الذكريات حتى التفتت الى رفيقتها السيدة عائشة ، وأجبتها بكل هدوء :

يقول الاستاذ عمر رضا كعالة : ^(١) قال أم سلمة : إنك كنت بالامس
تخرضين على عثمان ، وتقولين فيه أخبت القول .. وانك لتعرفين منزلة علي بن
أبي طالب عند رسول الله (ص) .

أفأذكريك ؟ قالت : نعم . قالت : أتذكرين يوم اقبل النبي (ص) ونحن معه
حتى إذا هبط من قديد ذات الشهال خلا بعلي يناديه فأطال .. فاردت أن
تهجمي عليها ، فذهبتك ، فعصيتني ، .. فهجمت عليها ..

فها لبنت أن رجعت باكية ؟ فقلت : ما شأنك ؟ . قلت : إني هجمت عليها

(١) اعلام النساء : عمر رضا كعالة .



وهما يتناجيان ، فقلت لعلي : ليس لي من رسول الله (ص) إلا يوم من تسعه أيام (أفما تدعني يابن أبي طالب ويومي ؟ !) فأقبل رسول الله (ص) وهو غضبان محمر الوجه فقال : ارجعني وراءك ... والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان ... فرجعت نادمة ساقطة ٠٠٠

قالت عائشة : نعم أذكر ذلك .

قالت أم سلمة : وأذكري أيضاً - كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص) وأنت تغسلين رأسه ، وأنا أحيس له حيساً ، وكان الحيس يعجبه ، فرفع رأسه وقال : يا ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الاذنب ، تنبحـا كلاـبـ الـحـوـأـ ، فـتـكـونـ نـاكـبـةـ عنـ الصـراـطـ ؟

فرفعت يدي من الحيس فقلت : أعود بالله وبرسوله من ذلك ! .. ثم ضرب على ظهرك وقال إياكِ أن تكونيهما ثم قال : يا بنت أبي أمية إياكِ ان تكونيهما . أما أنا فقد اندرتك ٠٠٠

قالت عائشة : نعم أذكر هذا ٠٠٠

قالت وأذكري أيضاً : كنت أنا وأنت مع رسول الله (ص) في سفر له ، وكان علي يتبعاهد نعلي رسول الله (ص) فيخصصها - ويتبعاهد اثوابه فيغسلها ، فنقبت له نعل ، فأخذها يومئذ يخصفها ، وقعد في ظل شجرة ، وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه ، فقمنا إلى الحجاب ، ودخل علينا يجادلناه فيما ارادا . ثم قال له : يا رسول الله اذا لا زدري قدر ما تصحبنا ، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعده مفزعأ .

فقال لها : اما اني قد ارى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقتم بنو



إسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكنها ٠٠٠ ثم خرجا ٠

فلما خرجا خرجن نحن الى رسول الله (ص) ، فقلت له : (و كنت أجرأ
عليه منا) من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم ؟ فقال : خاصف النعل ٠٠٠
فنزلنا فلم نر احداً إلا علياً . فقلت يا رسول الله : ما أرى إلا علياً ٠٠٠
قال : هو ذاك ٠٠٠ يا عائشة ٠٠٠

قالت عائشة : نعم اذكر ذلك ٠٠٠

عندما قالت السيدة أم سلامة : فأي خروج تخرجين بعد هذا ؟ ! فقالت : إنما
اخراج للإصلاح بين الناس ١١ ٠

ولما رأت السيدة أم سلامة ان موقف رفيقتها السيدة عائشة موقف عناد ٠٠٠
وإصرار - وقد أزمعت الخروج الى البصرة ، التي كانت فيها وقعة (الجمل)
الشهيرة - ولم يثنها عن عزمها شيء كتبت اليها رسالة طويلة تعبر فيها عن مدى
اسفها ٠٠٠ وعدم الأخذ بالرواية والتعقل والحكمة ١٢ ٠

والسيدة أم سلامة راوية جليلة من راويات الحديث وقد روت عن النبي (ص)
وعن فاطمة الزهراء عليها السلام وروى عنها جل مشايخ المسلمين وكثير من
الصحاباة المعروفين ٠

وقد توفيت بالمدينة المنورة (يثرب) عن عمر يناهز الأربع وثمانين سنة ،
ودفنت بالبقيع رضوان الله عليها ٠

(١) اعلام النساء - عمر رضا كحاله ٠

(٢) ان رسالة السيدة أم سلامة الى رفيقتها السيدة عائشة قد ذكرها بالتفصيل اكثر المؤرخين ،
وأصحاب السير ٠



فاطمة بنت الرسول (ص)

في مناخ الإيمان والعقيدة يسمى الإنسان، وتهواى سود انانيته ، وتتحطم حدود فرديته وحواجز المادة الطاغية .

فإذا تجرد الإنسان من الأدران والشوائب ، يشف أهابة ، وتشع نورا ياته ، ويتجاوز الزمان والمكان الى الديومة والخلود .

وبالعقيدة الراسخة ، والإيمان القوي ، والأخلاق الفاضلة ، ترتفع اعمدة الحضارة والتمدن والرقي ، وتبني قصور القيم ، وتنالق الحقيقة ويعم الوجود فيض من النور .

أجل في مناخ الإيمان والعقيدة ، نشأت فاطمة الزهراء عليهم السلام ، وترعرعت في كنف ابها الرسول الاعظم (ص) ، ورعايتها أمها خديجة أم المؤمنين (رضي) . وقد اغدقها عليها العطف والحنان مما يفوق الوصف .

رضعت عليها السلام من ثدي الإيمان ، وربت في حجر الإسلام ونهلت من المعين الصافي ، فكان الرسول الاعظم (ص) الوالد العطوف ، والمربي الشفوق ، والمعلم الكريم ، والمؤدب الحليم .

كانت حياة فاطمة (ع) مليئة بالأحداث ، حافلة بالمصاعب والمتاعب ، مشحونة بالمعن والآلام .

منذ طفولتها ذهبت مع ابوها العظيمين الى شعب ابي طالب ، ولاقت هناك على طفولتها من شظف العيش ، وشدة الحصار ، واذية قريش ، ما لا يتحمله



جسمها الصغير ، وينوه تحت عبئه الشیخ الكبير .

ولكن الخطب الفادح الذي ألم بها وهي بعد لم تتهيأ للأحداث ، هو موت امها خديجة (رض) على مرأى منها وسمع ، فقد اقض مضجعها ، وترك جرحا عميقا في القلب ، وحسرة ولوعنة في النفس ، وعبرة حرثى تترقرق في العيون .

بكث الزهراء عليها السلام عند موت والدتها ، بحسرة ولوعنة ، لا سيما عندما شاهدت ذلك النور .. ينطفئ ... ورأت ويمض الحياة يخبو في عينيها ، بدمدا احتمد اعوااما متتالية بالكفاح في سبيل الاسلام .

بكث الزهراء (ع) لرحيل امها التي نامت مستقرة تحت ثرى مكة وخلفت الدنيا من وراءها ، وقد امتلأت بالنفاق والشئآن . والتاريخ مشغول باعظم حدث اهتزت له اركان الجزيرة بل العالم اجمع الا وهو الاسلام والرسالة المحمدية ...

اجل رحلت خديجة وخلفت التاريخ يرصد الساعات بل الدقائق من حياة الزوج الكريم وللرسول العظيم تملك الحقبة الحافلة بشاق اعباء الرسالة والجهاد الاكبر في سبيل الدعوة الى الاسلام وتعاليمه .

بكث الزهراء امها خديجة احر بكاء ، بكتها من قلب ملهوف وفؤاد مكلوم ، حتى تقرحت اجفانها ..

ولكن الذي هون عليها الخطب هي ان تجد والدها الرسول الكريم يحنو عليها ، ويفمرها بعطفه الفياض ، ويجعلها كنفسه حيث يقول : (فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبطئني ما يبسطها وان الانساب تقطع يوم القيمة



غير نسبي وسببي وصوري^(١)

المigration إلى المدينة (يُثْرِبُ)

هاجرت فاطمة عليها السلام إلى المدينة لتلتحق بأبيها النبي (ص) حيث كانت لا يقر لها قرار إلا بقربه ، ولا يهدأ لها بال إلا بظله . ولا غرابة في ذلك فالنبي العظيم (ص) في أبوته الرحيمة ، وانسانيته العالية ، وحناته الفياض ، قد غمر الزهراء مزيداً من المطف والحب حتى ينسىها ذلك الشعور المرير المشحون بالوحشة لفارق أمها .

ذكر أكثر أهل السير وأصحاب التاريخ : أن النبي (ص) أمر علياً (ع) قبل هجرته بالمبيت على فراشه . وأوصاه أن يلحق به مع النساء بعد تسلیم الودائع والامانات الموجودة عند الرسول لأهلهما .

وبعد هجرة النبي (ص) إلى المدينة ، نفذ الإمام علي (ع) أمر الأموال والودائع ، ثم هيأ للنساء الرواحل ، وآخرجهن من مكة في طريقه إلى المدينة ، وأشار الإمام علي (ع) على المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى ، حيث يتوجه الركب منها باتجاه المدينة .

ولكن الإمام علي (ع) خرج بالفواطم في وضع النهار غير مبال بالمخاطر اعتقاداً منه على شجاعته واتكاله على الله .

وكان معه الفواطم وهن... فاطمة الزهراء بنت محمد عليهما الصلاة والسلام .

١ - ينابيع المودة - لalconدو زي الحنفي - ص - ٢١٩



وفاطمة بنت الحزنة ... وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب . وكان معه ايضاً :
ام اين وابو واقد الليبي ...

فجعل أبو واقد يجد السير مخافة ان تلتحق بهم قريش ، وتحول بينهم وبين
اتمام المسير . فقال له علي (ع) :

أرق بالنسوة يا أبا واقد وتمهل .. وارتجز على يقول :

لِيْس إِلَّا اللَّهُ فَارْفَعْ ذَنْبِكَا يَكْفِيكَ رَبُّ الْخَلْقِ مَا أَهْمَكَا

وقد روی عن هجرة الزهراء (ع) الى المدينة غير هذا النحو تقول الدكتورة
بنت الشاطئ^١ :

هاجر النبي الى يثرب وعلى أثره هاجر علي بن ابي طالب وكان قد ت Merrill
ثلاثة أيام بمكة ريثما أدى عن النبي المهاجر الودائع التي كانت عنده للناس .

وبقيت فاطمة واختها ام كلثوم حتى جاء رسول من ابيهما فصحبهما الى
يثرب ، واغلقت دار محمد بمكة كما أغلقت دور المسلمين فيها هجرة ، ليس
فيها ساكن .

ولم تمر رحلتهما بسلام : فما كادتا تودعان أم القرى وينفصل الركب بهما ،
مستقبلاً طريق الشهال ، حتى طاردتها اللثام من شرقي قريش ، وباء الحويث
بن ذقيذ بن عبد بن قصي ، وكان من يؤذني أباها النبي بمكة باسم اللحاق بها
حتى نحس بغيرها فرمى بها الى الأرض .

١ - ترجم سيدات بيت النبوة - الدكتورة بنت الشاطئ^١ : وقد ذكروا هجرتها (ع) على عدة
أوجه والله العالم .



وكانـت فاطمة (ع) يومئذ ضعيفة نحيلة الجسم قد أنهكتـها الأحداث الجسام
الـتي لقيتها قبل ان تمتليء شبعاً وريماً .

وتركـ الحصار المـنك أثره في صحتـها ، وان زادـ في معنويـتمـا
قوـة على قـوة . فلـما نـخـسـ بها « الحـويـرـتـ القرـشـيـ » فـرمـىـ بهاـ واختـهاـ عـلـىـ اـدـيمـ
الـصـحـرـاءـ الـأـوـعـثـ ، سـارـتـ بـقـيـةـ الـطـرـيقـ مـتـعـبـةـ إـلـىـ انـ بـلـفـتـ المـدـيـنـةـ – وـمـاـ تـكـادـ
سـاقـاهـاـ تـنـهـضـانـ بـهـاـ .

فـلمـ يـبقـ هـنـاكـ مـنـ لـمـ يـلـعـنـ الحـويـرـثـ . وـسـوـفـ تـمـ السـنـوـاتـ وـابـوـهـاـ الرـسـوـلـ
(صـ) لـاـ يـنـسـىـ الفـعـلـةـ الشـنـعـاءـ الـآـثـمـةـ ، بـلـ سـنـرـاهـ فـيـ العـامـ الثـامـنـ لـلـهـجـرـةـ . يـذـكـرـ
« الحـويـرـثـ » يـوـمـ الـفـتـحـ الـأـكـبـرـ . وـيـسـمـيـهـ مـعـ النـفـرـ الـذـينـ عـهـدـ النـبـيـ إـلـىـ اـمـرـائـهـ
إـنـ يـقـتـلـوـهـمـ وـانـ وـجـدـواـ تـحـتـ اـسـتـارـ الـكـعـبـةـ .

وـكـانـ عـلـيـ بـنـ اـبـيـ طـالـبـ اـحـقـ هـؤـلـاءـ اـمـرـاءـ بـقـتـلـ الحـويـرـثـ وـقـدـ فـعـلـ . . .



زواج فاطمة من علي عليها السلام :

في المدينة المنورة ، وفي بيت الرسول العظيم أقامت فاطمة عليها السلام ، تملأ بيت أبيها بعد الوحشة ، وتسهر على راحته ، ذلك الوالد العظيم ، بكل سرور واعتزاز . وقد سبحت عليها السلام شاحرة الباري سبحانه وتعالى على نعمه وألاءه وهي ترى أباها النبي عليه وآلـه الصلاة والسلام في أعز موضع مع أصحابه الذين يفدونه بالمحج والأرواح .

وكان رسول الله (ص) قبل وصول الزهراء إلى المدينة بمدة وجيزة آخر بين المهاجرين والأنصار وذلك لحكمة بالغة حتى لا يشعرون ب الوحشة الاغتراب وتحتاج كلتهم ويشد ازر بعضهم بعضاً .

وفي السنة الثانية للهجرة من شهر رمضان المبارك ، زوج النبي (ص) ابنته فاطمة من علي عليه السلام وبذلك أصبح على صهر النبي .. وابن عمه . وأخاه .

ويذكر أهل السير ، انه لما عزم النبي على تزويج علي بن أبي طالب من ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، جمع الصحابة وخطب فيهم قائلاً^(١) « الحمد لله الحمود بنعمته ، المعبد بقدرته ، المطاع سلطانه ، المرغوب عن عذابه وسلطوته النافذ أمره في سائره وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحکامه وأعزهم بيديه وأكرمه بنبيه محمد (ص) وإن الله تبارك وتعالى اسمه وتعالى عظمته ، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً وانتهت بها الارحام وانتظم بها الانام وقال عز من قائل : « وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسماً وصراً وكان

(١) ينابيع الودة - لاقنديوزي - الحنفي - ص - ٢٠٧ .



ربك قديرأ ، فأمر الله تعالى يحرى إلى قضائه وقضاؤه يحرى إلى قدره ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب ، يمحو الله ويثبت ويحكم ما يريد وعنه ألم الكتاب .

ثم قال عليه الصلاة والسلام : « ان الله امرني ان ازوج فاطمة بعلي ابن ابي طالب ابن عمي ، فاشهدوا اني قد زوجته بها . ثم قال :

« يا علي إن الله تبارك وتعالى أمرني ان ازوجك فاطمة ، اني قد زوجتكها على اربعمائة مثقال فضة » فقال علي : « قد رضيتها يا رسول الله ورضيت بذلك عن الله العظيم ورسوله الكريم » ثم ان عليا خر ساجدا لله شكرآ ، فلما رفع رأسه قال له رسول الله (ص) جمع الله شملكها وأعز جد كا واطاب نسلكها وجعل نسلكها مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وامن الأمة وبارك الله لكها وبارك فيكها وبارك عليكها وأسعدك وأخرج منها الكثير الطيب .

« اللهم انها مني وأنا منها ، اللهم كا اذهبت عني الرجس وطهرتني فاذهب عنها الرجس وطهرها ... وطهر نسلها » .

وقد ذكر جميع المؤرخين زواج فاطمة الزهراء عليها السلام بنفس المعنى وبالفاظ مختلفة .

وبعد الخطبة قال النبي (ص) : يا علي لا بد للعرس من وليمة ، فقال سعد بن عبادة : عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار اصواعاً من الاذرة فلما كانت ليلة البناء قال النبي عليه الصلاة والسلام : يا علي لا تحدث شيئاً حتى آتيك ، فأتى اليهما فدعاه بما فتوضاً منه ثم انضمه على علي وفاطمة وقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما وبارك في شملهما^(١) .

(١) ينابيع المودة - للقندوزي - الحنفي .



وفي طبقات ابن سعد قال : « احتفل بنو عبد المطلب بهذا الزواج كما لم يختلفوا بزواج مثله من قبل وجاء حمزة عم محمد وعلي بشارفين فنخرهما وأطعم الناس .

ولما انقضى الحفل وانصرف المهنئون دعا الرسول أم سلمة ... وعائشة وبعض أمهات المؤمنين وطلب منها أن يمضين بالعروض إلى بيت علي (ع) .

وبعد صلاة العشاء ذهب النبي (ص) إلى بيت علي وهناك تجلت عاطفة الأبوة الصحبية ، وحنانه الفياض وحبه لفاطمة وزوجها عليهما السلام .

دعا الرسول بما فقرأ عليه بعض آي الذكر الحكيم ثم أمر العروسين أن يشربا منه وتوضأ بالباقي ونثره على رأسهما وهو يقول : اللهم بارك فيما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما » ^(١) .

لقد استعجب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه الكريم في تلك الساعة فبارك الله لعلي وفاطمة عليهما السلام في هذا الزواج السعيد وحضر ذرية النبي المختار في أولاد ابنته وحبيبتها فاطمة الزهراء .

لم يتألم الرسول إلا أن أرسل دموعه عندما قبل فاطمة وهي تبكي شأن كل انشى فارقت بيت أبيها ومرتع طفولتها وملاعب صباها .

ولما هم عليه الصلوة والسلام بالانصراف انحنى على فاطمة بكل عطف وحنان قائلاً : لقد تركتك وديعة عند أول الناس إسلاماً وأقوى الناس إيماناً وأكثرهم علمًا وأفضلهم أخلاقاً ^(٢) « أما والله يا فاطمة لقد زوجتك سيداً في

(١) طبقات ابن سعد الكبير .

(٢) « « « «



الدنيا والآخرة ، ^(٣) .

بيت الزوجية :

انتقلت فاطمة إلى المرحلة الثانية من حياتها ربة البيت وأم الأولاد ، بيت متواضع يسرح الإيمان في أجوانه ، وترقد السعادة في جنباته ، يرعاه زوج كريم الخلق ، عظيم الشأن ، في الدنيا والآخرة .

وعلى مر السنين يمثله البيت بالأولاد من بنين وبنات يحوط الجميع رعاية الرسول الأعظم (ص) .

تقول الدكتورة بنت الشاطئ : « لا أصف هنا ما كان لهذا الحب الأبوي من أثر عميق في اسعد « فاطمة » التي أرهقتها الحزن وانهكتها العباية شابة » .

بل لا أصف هنا مدى ما بعث في حياتها الزوجية التي عرفناها خشونتها وقسوتها مادياً ، من بهجة وانس وإشراق . فلقد اسعد « فاطمة » ان تكون أمًا لهذين الولدين الآثرين عند ابیها (ص) ، وارضاها أن تستطيع بفضل الله أن تهيء لأبیها الحبيب بعد ان انتقلت من بيته هذه المتعة الفامررة ، التي يجدهما في سبطيه الغاليين .

ولم يكن « على كرم الله وجهه » أقل منها سعادة وغبطة . لقد سرّه بل ازدهى ان تتصل به حياة ابن عمه النبي (ص) هذا الاتصال الوثيق . فيمتزج دمه بدم النبي الراكي ، ليخرج من صلبه ذرية سيد العرب ، وبنو بناته الزهراء ، ويذهب دون الناس جميعاً بمسجد الأبوة لسلالة النبي وآل بيته الاكرمين ، ^(٤)

(١) ينابيع المودة - للقندوزي الحنفي .

(٢) تراجم سيدات بيت النبوة - الدكتورة بنت الشاطئ .



« وَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ قَالَ : مَا نَزَّلَتِ الْآيَةُ - « قُلْ لَا إِسْأَلْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا
الْمَوْدَةُ فِي الْقَرْبَى » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مُوْدَتُهُمْ ؟
قَالَ : عَلَيْهِ ... وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجْرَى عَلَيْكُمْ الْمَوْدَةَ وَإِنِّي
سَأَسْأَلُكُمْ غَدًّا عَنْهُمْ » ^(١) .

وَعَنْ عَلَيْهِ قَالَ : كَنَا مَعَ النَّبِيِّ (ص) فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ ، إِذْ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ
بِكَسْرَةِ الْمُدْعَى مِنْ خَبْرِ ... وَقَالَتْ : أَخْبَرْتُ لَابْنِي وَجَهْنَمَ مِنْهُ هَذِهِ الْكَسْرَةَ فَقَالَ :
بَنِيهِ إِنَّهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِيمَا أَبْيَكَ مِنْذِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ^(٢) .

وَفِي رِوَايَةِ الْحَافِظِ الْأَصْبَهَانِيِّ عَنْ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ ^(٣) : « كَانَتْ فَاطِمَةُ
ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) أَكْرَمُ أَهْلِهِ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ زَوْجَيِّي ، فَجَرَتْ بِالرَّحَاءِ حَتَّى
أَثْرَتِ الرَّحَاءِ بِيَدِهَا وَاسْتَقْتَ بِالْقَرْبَى حَتَّى أَثْرَتِ الْقَرْبَى بِنَحْرِهَا ، وَقَمَتِ الْبَيْتُ
أَغْبَرَتِ ثِيَابَهَا ، وَأَوْقَدَتِ تَحْتَ الْقَدْرِ حَتَّى دَنَسَتِ ثِيَابَهَا ، وَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضَرُّ .

فَاتَّتِ النَّبِيِّ (ص) تَسْأَلَهُ خَادِمًا ، فَقَالَ : لَا أَعْطِيْكَ وَأَدْعُ أَهْلَ الصَّفَةِ ^(٤) !
تَطْوِي بِطْوَنَهُمْ مِنَ الْجَوْعِ . أَوْلَادُكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ !

إِذَا آوَيْتَ إِلَى فَرَاشَكَ ، تَسْبِحُنِي اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثًا وَثَلَاثَيْنَ وَتَحْمِدِنِي ثَلَاثًا
وَثَلَاثَيْنَ ، وَتَكْبِرِنِي أَرْبَعًا وَثَلَاثَيْنَ » .

أَقُولُ : إِنَّ الْمَشَاقَ الَّتِي لَاقَتِ الزَّهْرَاءَ (ع) وَحِيَاةَ الْكَفَاحِ الْمَسْتَمِرَةَ زَادَتْهَا

(١) يَنَابِيعُ الْمَوْدَةِ - لِلْقَنْدُوزِيِّ الْخَنْفِيِّ .

(٢) « « « « «

(٣) حَلْيَةُ الْأُولَيَاءِ - لِلْحَافِظِ الْأَصْبَهَانِيِّ .

(٤) أَهْلُ الصَّفَةِ - هُمْ فَقْرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْمَعْدَمِينَ ، كَانُوا يَجْلِسُونَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ
يَنْتَظِرُونَ مَعْوِنَةَ الْمُوسِرِينَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَعَامٍ وَغَيْرِهِ



إيمانًا ، وشظف العيش لم يؤثر على صحتها وهي تكبح في الليل والنهر جاهدة في توفير أسباب الراحة لزوجها وبناتها .

كل هذه المتاعب كانت تتلاشى بسرعة البرق عندما ترى والدها الرسول العظيم ، يغمرها بفيض من الحنان الأبوي الذي يضيئ حياتها سعادة وحبوراً . وتأخذها النسمة وهي ترى أبيها المصطفى في عظمته يحوطها برعايته ويغمرها مع ولديها السبطين بانقى الحب وأصفي الحنان .

وكيف يغيب عن ناظريها مرأى النبي المختار وهو يمشي في أسواق المدينة حاملاً حفيده على كتفه ، حتى إذا وصل إلى المسجد النبوي الشريف وقام للصلوة ، وضعه إلى جانبه في رفق ... وأقبل يوم الناس .

وكيف لا تزهو وهي ترى أولادها يملؤن دنيا الرسول بهجة وسروراً ...

الحسنان ولداه ... وهو الوالد ... النبي البشر ، الذي يرقص قلبه الشريف فرحاً وهو يسمعها وهم يقولان جدائه... أو يا ابتي ، هذه اللفظة السحرية التي شاءت الأقدار أن تحرم النبي (ص) منها ... ونراه يتلهف على سماعها ولذسمعه يقول دائمًا ... ولدائي هذان سيداً شباب أهل الجنة . ولا يعبر عن الحسينين إلا بكلمة - ولدائي - .

حب الرسول (ص) لابنته فاطمة :

لقد ذكر أكثر أهل التاريخ حب رسول الله (ص) لابنته فاطمة ففي رواية : دخل النبي (ص) على فاطمة وهي تطعن وعليها كساء من وبر الإبل ، فبكى وقال : « تجرعي يا فاطمة مراة الدنيا ... لنعيم الآخرة » .



وأقبلت فاطمة فوقت بين يدي أبيها عليه الصلاة والسلام فنظر إليها وقد ذهب الدم من وجهها، وعليها صفرة من شدة التعب والجوع فقال الرسول (ص) : ادن مني يا فاطمة ، فدنت حتى قامت بين يديه ، ورفع يده الشريفة حتى وضعها موضع القلادة ، وفوج بين أصابعه ثم قال :

« اللهم مشبع الجماعة - رافع الضيق ، ارفع فاطمة بنت محمد . »^(١)

وقالت عائشة : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديناً برسول الله (ص) من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها ، كما كانت تصنع هي به (ص) .

وسئلـت عائشة (رض) : أي الناس كان أحب إلى رسول الله (ص) ؟
قالـت : فاطمة ؟ قـيلـ : ومن الرجال ؟ قالـت : زوجها .

وقالت عائشة (رض) ما رأيت قـطـ أحدـاـ أفضلـ منـ فـاطـمـةـ غـيرـ أـبـيـهاـ^(٢) .

« ان الزهراء (ع) لا تنسى موقف أبيها الرسول ، وقد أخذ بكتفي الحسين وهو صغير وقدماه على قدميه (ص) يرقصه قائلاً : « ترق ... ترق ... » فيما يزال الصبي الصغير حتى يضع قدميه على صدر جده الشريف ، فيقول له الرسول : افتح فاك ... فيفتحه ... فيقبله « ص » وهو يقول : « اللهم احبه فاني احبه » .

محمد الإنسان البطل بشرأً ورسولاً »^(٣) .

(١) طبقات ابن سعد الكبرى .

(٢) السيرة الخلبية - برهان الدين الخلبـي .

(٣) تراجم سيدات بيت النبوة الدكتورة بنت الشاطـىء .



وهل تنسى الزهراء «ع»، أبیها الرسول «ص»، وقد وقف يخطب يجمع من المسلمين فجاء الحسن والحسین علیهما قمیصان احمران، وهم يمشيان ويعتران، فما كان من الرسول الأعظم «ص»، إلا أن قطع كلامه ونزل عن المنبر وحملها ووضعها بجانبه بكل رفق وحنان ثم التفت إلى الناس معتذراً:

«صدق الله سبحانه حيث يقول: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة لكم»، لقد نظرت إلى هذين الصغيرين، يمشيان ويعتران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما إلى».

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التي توالت بها الانباء من أصحاب التواریخ وأهل السیر. وكلها تحدثنا عن ذلك الحب الكبير الذي يكشف عن جانب من عظمة ذلك النبي المختار.

فاطمة الزهراء مع أبيها يوم فتح مکة:

مرت الأيام هنيئة صافية، واحست سيدة النساء فاطمة الزهراء بالسعادة تغمر كيانها وهي ترى نور الإسلام قد أضاء القسم الأكبر من الحجاز، وتشاهد أياماً الرسول عليه الصلوة والسلام في جهاده المؤيد بنصر من الله سبحانه.

لقد احست بالفبطة عندما رأت جباررة الجزيرة تخضع لسلطان الإسلام، وتدين برسالة أبيها محمد «ص».

وها هو الرسول العظيم، يتاھب للسفر إلى فتح مکة.. حرب قريش الظالمة.. إلى الوطن الحبيب الذي فارقه منذ ثانية أعوام مهاجرًا بعدما قاسى مر العذاب.

والزهراء «ع» لا تطيق البعد عن أبيها، وقد اسبغ عليها من آيات



حبه «ص»، وعلى زوجها ولدتها ما لا نستطيع أن نصفه .

اتت الزهراء «ع» تطلب من أبيها «ص» مرافقتها إلى البلد الأمين ، إلى مسقط رأسها مكة المكرمة ، فإذا ذلت لها ، حتى تظل بقربه تنعم بعطفه وحنانه ..

وطافت الذكريات ، وتولت المرئيات أمام عيني بضعة الرسول ، وسيدة النساء ، وراحت تسائل نفسها وتقول : ترى هل تزال مكة كما تركناها منذ ثانية أعوام ؟ . أم تغيرت ... ودار الأهل والأحبة ... هل تحت يد الحدثان من معالمتها شيئاً ؟ ... أم غداً عليها العدو فصيرها خراباً بلقعاً .

وملاعب الصبا ... أما تزال تذكر من رحل عنها من المؤمنين الأحباب الصالحين ؟ ... أم نسيتهم على مر الأيام وتطاول الأعوام ؟

وتذكرت الكعبة الشريفة ، التي شهدت أول صلاة أقيمت ... وشهدت قريشاً وهي تكيل الأذى لأبنها البار محمد «ص» ...

وتذكرت عليها السلام ، قبر أمها خديجة الكبرى ، وقبر أبي طالب كفيل النبي «ص» ، وغير ذلك من سيرة الأهل والأحباب .

وفي غمرة ذكرياتها ، ترأت لها قريش مع عتوها وعنفوانها وكبرياتها ، ترسل أحد زعمائها إلى المدينة المنورة لتفاوض النبي «ص» على تمديد الهدنة التي تم الاتفاق عليها في الحديبية في العام السادس من الهجرة .

أرسلت قريش زعيماً أبا سفيان إلى الرسول العظيم ليفاوضه ، ويستأمه ، بعد أن أخلت قريش بالشروط التي تم الاتفاق عليها في (الحديبية) وساعدت بنى بكر أحلافها ... على خزاعة حليفة النبي «ص» .



وها هو محمد مع المسلمين قد أصبحوا قوة ليس بامكان قريش او غيرها من القبائل تجاهلها .

قريش تشتدب ابا سفيان لمحاوضة النبي (ص)

أرسلت قريش ابا سفيان بن حرب حامل لواء المشركين ، وعدو محمد والمسلمين ، وزوج آكلة الاكباد « هند » التي صنعت بشهداء « أحد » ما تقدّم لها الابدان . ومثلت بمحنة عم النبي ، ولاكت كبدہ فلم تستسيغها . علاوة على انها راحت تغري قومها، ببنیش قبر آمنة بنت وهب...أم محمد (ص) اشقاء... وحقداً^(١) .

لقد قاتل أبو سفيان لما رأى ما بلغ من نفوذ النبي وارادته التي اصبحت هي الارادة العامة ، وساعده ان يرى المسلمين وقد أصبحوا قوة هائلة لا يمكن لقريش مقاومتها ، ورائعه تأهب « محمد » لحرب قريش ، وفتح مكة .

اتى ابو سفيان الى المدينة سفيراً لقريش ، فرأى من قوة الاسلام وضخامة استعداد الجيش العظيم ، المعبأ للزحف على قريش وفتح مكة المكرمة ، ما روّعه واذهله ، فلم يدرِّ ما يفعل ، او يقول ... بل وقف ذاهلاً يشحذ فكره ، ويلم شتات رأيه ، ليجد له منفذًا ، او حيلة يصل بها الى محمد ... ويكلمه في أهل بلده وعشيرته .

دخل ابو سفيان على ابنته رملة « ام حبيبة » وهي زوجة رسول الله(ص)، فما كاد يهم بالجلوس على فراشها كان بحجرتها ، حتى اسرعت وطوفه ، فقال لها:

– السيرة النبوية لابن هشام .



ارغبت بهذا الفراش عنِّي ... أم رغبت به علىّ؟ فأجابته أم حبيبة : هذا فراش رسول الله (ص) طاهر ، وانت رجل مشرك نجس ، يعادي المسلمين ، ويکيد للإسلام :

خرج ابو سفيان من عند أم حبيبة وقد اظلمت الدنيا في عينيه ، وزاد غمه ، وحزنه ، لهوانه حتى على ابنته ، ولم يكن يتصور ان الاسلام يجعل للمسلمين هذه الصلابة .

وكان يأس ... وعظمت عليه ان يرجع خائباً ، وكيف يقابل قريشاً ، وسخريتها به (وهو الامر ... الناهي) وكيف يغطي فشله الذي كاد ان يختنق انفاسه ... وما الحيلة ؟

وفي خضم حيرته لمع في خاطره بارقة أمل ... لماذا لا يذهب الى علي بن ابي طالب ... فهو الوحيد الذي ربما يصفى اليه محمد (ص) .

ان علياً وزوجته الزهراء من اقرب الناس الى قلب محمد ، واحبهم اليه . وما ان وصل الى هذا الحد من التفكير ، حتى تنفس الصعداء ، وتوجه على الفور ، الى دار علي بن ابي طالب (ع) ، ولما دخل قال له :

« يا ابا الحسن انك اقرب الناس اليّ » ، وامس القوم بي رحماً ، واني قد جئتكم في حاجة ، لا أجد لها غيرك فلا تردنني خائباً » .

فقال له الامام علي (ع)... تكلم حاجتك؟ فقال حاجتي أن تشفع عند ابن عمك رسول الله (ص) في نجاح مهمي حتى أرجع الى قريش ...

رد عليه الامام علي قائلاً! ويحك يا ابا سفيان، والله ان رسول الله ان عزم على امر لا يستطيع احد من الناس ان يكلمه .



وقف ابو سفيان يتجرق لوعة وتوجه الى الباب لينصرف وقد اظلمت الدنيا
في عينيه ، والتبتست عليه الامور ، ثم لم يلبث ان وقف وقال بانكسار :

« يا ابا الحسن ، اني ارى الامور قد اشتدت علي ، وأرى الزمان الذي كنت
فيه امراً ... وناهياً قد ولی ، فلا تبعخل علي » في ارشادي ونصحي ..

ولاحت لابي سفيان بارقة امل اخرى ، لماذا لا يكلم الزهراء ... ألم تشفع
اختها زينب لزوجها ابي العاص بن الربيع يوم كان مشركاً ...

ان الزهراء ابنة محمد ، واحب خلق الله اليه ، ذات القلب الرحيم ، وتوجه
الى فاطمة ، وكان الحسن والحسين يدبان بين يديها ، ويعتران فقال لها :

« يا ابنة محمد ، هل لك ان تأمرني احد ولديك هذين فيغير بين الناس ؟ ...
ويكون سيد العرب الى آخر الدهر . اجابت الزهراء (ع) بكل هدوء ووقار :
والله ما بلغ ولدي هذا أن يغير بين الناس . وما يغير أحد على رسول الله
(ص) .

وابت الزهراء أن تتدخل مع أبيها في مثل هذه الأمور ولكن أبا سفيان
ظل يلح عليها ويتسلل اليها بولديها ، ونبرات صوته تتقطع من الفشل والخيبة
وفاطمة (ع) بقيت على موقفها السلبي منه .

وعاد زعيم المشركين يتتحدث مع علي ، وقلبه يتفتر ويقول له بكل
انكسار : لا أدرى بأي لسان ارجحه الى قريش ، وقد عقدت علي الامال ،
واوفدتني الى محمد ، وهي ترجو ان لا ارجع اليها أجر أذىال الخيبة والخسران .

قال له الإمام (ع) : والله لا أرى لك مخرجاً غير ان تقوم على ملا من
الناس ، فتجير بين الفريقين من سادة كنانة ، ومع هذا فإني لا اظن ان



ذلك يجديك نفعاً .

خرج أبو سفيان حتى انتهى إلى جمع من المسلمين ، فصاح : ألا أني قد اجرت بين الناس ، ثم دخل على النبي وقال : لا اظنك ترد جواري يا محمد ... فلم يزد النبي (ص) في جوابه على قوله : انت تقول ذلك .

واتجه أبو سفيان نحو مكة ، وهو يتعرّى باذيال الفشل والخذلان .

حدث كل هذا وفاطمة «ع» واقفة تسبع الله وتتجده . وهي ترى أبا سفيان رأس الشرك ، يتمتمل ذليلاً بين أيدي المسلمين ، ويرجع أخيراً بالفشل والخسران المبين .

وقفت عليهما السلام مزهوة بانتصار الحق على الباطل والإيمان بالله ... على الشرك والضلال . وعادت بها الذاكرة يوم كانت مع أبيها بمكة قبل سنوات ثمان ، فتذكرت الزهراء مواقف قريش ، كيف كانت تتارد النبي وأصحابه المسلمين ، بشتى أنواع الإساءة والأذى .. حتى خرج صلوات الله عليه في جوف الليل متوجهاً نحو يثرب التي وجد فيها أنصاراً له مخلصين عاهدوه على بذل المهج والأرواح ، ليمنعوه من قريش وأحلافها ، ومن كل من يضرم للإسلام كيداً .

دخول جيش المسلمين مكة

سار النبي (ص) في عشرة آلاف من المسلمين ، مبعياً شطر مكة المكرمة ، ولواؤه مع ابن عمّه وصهره ووصيه علي ابن أبي طالب (ع) .

ومن قبل كان علي "حاملاً العقاب" في خيبر وهي أول راية للرسول



الأعظم – كما ورد في طبقات ابن سعد .

و كذلك حمل – علي – راية الرسول في غزوة بني قريظة ... و حمل لواء المهاجرين يوم أحد . و حمل بعد ذلك لواء الرسول « ص » يوم حنين ^(١) .

و ذكر الطبرى في تاريخه : « أمر رسول الله سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء ^(٢) .

وقال سعد حين توجه داخلاً : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمات ، فسمعها رجل من المهاجرين فقال :

يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عبادة ، وما نؤمن أن تكون له في قريش صولة !

فقال رسول الله (ص) : لعلي بن أبي طالب أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت الذي تدخل بها » .

و دخل رسول الله من اذخر ، حتى نزل باعلى مكة ، ضربت له قبة هناك قريبة من مثوى خديجة .

كانت الزهراء معه ، خرجت فيمن خرج من النساء المؤمنات ، ترافق أبيها وتشاهد فتح مكة والنصر المبين ، وقد أنهاها الفرح الأكبر كل ما ألم بها من تعب وعناء .

ولكن أطياف الماضي أخذت تحوم حولها وتتراءى لها .

(١) طبقات ابن سعد الكبرى .

(٢) كداء – جبل يأعل مكة



تذكرت أمها خديجة (رض) ٠٠٠ وعمها أبا طالب ، و اختيهما زينب ورقية وقد هاجرتا مثلها من مكة ، ولكن إلى غير رجمة .. لقد رقدتا تحت قرى المدينة المنورة .

وها هي (الزهراء) ترجع وحدها مع أبيها الفاتح العظيم وزوجها البطل الكبير ، وكم تمنت لو أن أمها ... وعمها وجميع الأحباب المفقودين يشاركونها الفرحة الكبرى بالنصر المبين .

انهملت الدموع من عينيها غزيرة ، فقد هاجت بنفسها الأشجان ، وبقيت مع أطيافها وهي تقترب من أم القرى وفي غمرة شجونها وأسماها ، صحت من تأملاتها على صوت الحق المنبعث من حناجر المسلمين الفاتحين .

كادت الجبال تتصدع خشية ورعبه .. من هتاف عشرة آلاف مسلم قائلين :
« الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله والله أكبر » .

وقفت عليها السلام وهي تنظر إلى أهالي مكة ، وطواوغيت قريش ٠٠ وهم يفرون من وجه تلك الجموع الدافقة .. وقد استولى عليهم الذعر والخوف والجزع . وكاد قلبها يطير فرحاً عندما شاهدت أباها النبي العظيم (ص) بين أصحابه ، يحفون به وهو محني الرأس تواضعأ الله وشكراً له على ما أنعم عليه سبحانه .

ودخل الرسول (ص) على هذه الصورة ، حتى لتكلاد جبهته الشريفة تمس رحل الناقة .. ورأته عليه الصلوة والسلام يوصي قادة جيشه بعدم مقاتلة أحد . ويعلن العفو عن الجميع مستثنياً أفراداً قلائل من الرجال والنساء ،



سهام بأسائهم ، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة^(١) .

وقفت الزهراء (ع) فخورة مزهوة بنصر الله ، وكانت السهام ترعنى ذلك الحشد الضخم من المسلمين المجاهدين ، وتحفظ تلك الجموع الملتفة حول القائد الرسول ...

« وطافت الملائكة تبارك انتصار حزب الله على حزب الشيطان قال تعالى : « فَإِنْ حَزْبُ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ »^(٢) .

وذكر الطبرى في تاريخه وابن هشام في سيرته ، أن رسول الله (ص) قام قائماً حين وقف على باب الكعبة ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

الا كل مأثرة^(٣) او دم او مثال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ... إلى قوله (ص) :

يا معشر قريش ، إن الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالأباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب . ثم تلا رسول الله (ص) : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

(١) تحت أستار الكعبة : مراده عليه الصلوة والسلام لعظيم الذنب التي اقترفوها . منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح لأنه كان قد اسلم وارتدى مشركاً . ومنهم عبد الله بن خطبل من تميم ، لأنه قتل مسلماً وارتدى مشركاً . وكانت له قيستان تغنىان بمجاهد الرسول (ص) . والحويرث بن نقيد كان من يؤذى الرسول (ص) .

ومقيس بن صبابة لأنه قتل الانصاري الذي قتل أخاه خطباً ورجع إلى قريش مرتدأ . وعكرمة بن أبي جهل ... وغيرهم ... ومن النساء : هند بنت عتبة « أم معاوية » التي مثلت بشهداء أحد ولاكت كبد الحمزة ... وسارة مولاة عمر بن هاشم بن عبد المطلب وغيرهم .

(٢) سورة المائدة - آية - ٥٦ .

(٣) المأثرة : هي الخصلة - او العادة التي تتوارثها الناس ويتحدثون بها .



من ذكر واتشى وجعلناكم شعوبأً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم ، .

يا معاشر قريش ويَا أهْلَ مَكَّةَ ، مَا ترَوْنَ إِنِّي فَاعْلَمُ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَيْرًا ... اخْ
كَرِيمٌ ... وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٌ .

ثُمَّ قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الظَّلَقَاءُ ...

وَكَانَتِ الزَّهْرَاءُ وَاقْفَةً وَعِنْنَاهَا مَعْلَقَتَانِ بِأَبِيهَا وَقَدْ رَأَتْهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْصَّلَاةَ
وَالسَّلَامَ وَسَطَ الْجَمْعِ الْزَّاخِرَةِ وَطَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ سَبْعَةَ اشْوَاطٍ ثُمَّ جَلَسَ بِرَهْةٍ
يَسْتَرِيعُ ، رِبَّئَا يَطْمَئِنُ النَّاسُ أَثْرَ مَوْجَةِ الْفَتْحِ الدَّافِقَةِ .

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرَ الطَّبَرِيَّ فِي تَارِيخِهِ : « ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَكَّةَ لِبَيْعَةِ
رَسُولِ اللَّهِ (ص) عَلَى الإِسْلَامِ فَجَلَسَ لَهُمْ عَلَى الصَّفَا » .

وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) مِنْ بَيْعَةِ الرَّجَالِ بَايْعَ النِّسَاءِ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاءٌ
مِنْ نِسَاءِ قَرِيشٍ ، فِيهِنَّ هَنْدَ بْنَتَ عَتَبَةَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَكَانَتْ مَتَّقِبَةً . مُتَنَكِّرَةً
لِحَدِيثِهَا وَمَا كَانَ مِنْ صَنْيِعِهَا (بِحَمْزَةَ) يَوْمَ احْدَى .

فَهِيَ تَخَافُ أَنْ يَأْخُذَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِحَدِيثِهَا ذَلِكَ .

فَلِمَّا دَنَوْنَا مِنْهُ ، لِيَبَايِعَنَّهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : تَبَايِعُنِي عَلَى أَلَا تُشَرِّكُنَّ
بِأَنَّهُ شَيْئًا ؟ فَقَالَتْ هَنْدُ بْنَتُ عَتَبَةَ :

وَاللَّهِ إِنِّي لَتَأْخُذُ عَلَيْنَا امْرًا مَا تَأْخُذُهُ عَلَى الرِّجَالِ ! وَسَنُؤْتِيكَهُ . قَالَ : وَلَا
تُسْرِقْنِي ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنِّي كَنْتُ لَا صِيبٌ مِنْ مَالِ أَبِي سَفِيَّانَ الْمُهَنَّةِ وَالْمُهَنَّةِ ، وَمَا
أَدْرِي أَكَانَ ذَلِكَ حَلَالًا لِي أَمْ لَا ؟ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : وَإِنِّي لَهَنْدَ بْنَتَ عَتَبَةَ ! ؟

فَقَالَتْ : إِنِّي هَنْدَ بْنَتَ عَتَبَةَ ، فَاعْفُ عَمَّا سَلَفَ ... عَفَا اللَّهُ عَنِّي .



قال : ولا تزنين – قالت : يا رسول الله هل تزني الحرة ؟ ! قال : ولا تقتلن أولادكن ؟ قالت : ربنا نام صغاراً ، وقتلتهم يوم بدر كباراً .

قال الرسول : ولا تأتين بهتان تفرينه بين ايديكـن وأرجلـكـن . قالت والله إن إتيان البهتان لقبيح ... ولبعض التجاوز امثل .

قال : ولا تعصيني في معروف ؟ قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف ... الخ .

أقبل المساء بعد نهار حار ، مشحون بالتعب ؟ فرجع الرسول البطل الظافر الى قبته ، حيث كانت تنتظره ابنته الزهراء عليها السلام بفارغ الصبر .

احلام وتصورات وذكريات :

لقد تمثلت روح امها الطاهرة تطل من علـها ؟ ترعى زوجها الحبيب النبي العظيم في هذا اليوم المشهود ... يوم النصر .

التفتت الزهراء عليها السلام ، فرأـتـ أـيـهاـ النـبـيـ بـابـتسـامـتـهـ المـشـرقـةـ وـعـطـفـهـ وـخـنـانـهـ ، فـهـبـتـ تـتـلقـاهـ مـرـحـبةـ مـهـنـثـةـ ، ثمـ تـنـفـسـتـ الصـعـدـاءـ وـأـرـدـفـتـ تـقـوـلـ :

ألا ليـتـ أمـيـ (ـخـديـحةـ)ـ الـتـيـ بـذـلتـ جـمـيعـ أـمـواـلـهـاـ ، وـضـحـتـ بـالـنـفـسـ وـالـنـفـيسـ لـتـقـوـيـةـ الـإـسـلـامـ ، وـدـعـمـ مـحـمـدـ ... وـإـرـسـاءـ قـوـاعـدـ الرـسـالـةـ المـقـدـسـةـ .

ليـتـهاـ بـقـيـتـ إـلـىـ هـذـاـ يـوـمـ المشـهـودـ لـتـقـرـعـ عـيـنـهــاـ بـمـرـأـيـ تـحـطـيمـ الـلـاتـ وـالـعـزـىـ وـمـنـاءـ الـثـالـثـةـ الـأـخـرـىـ ؟ـ وـجـمـيعـ الـأـصـنـامـ الـقـيـ كـانـتـ دـاـخـلـ الـكـعـبـةـ الـمـشـرـفـةـ وـعـلـىـ سـطـحـهــاـ ،ـ وـقـدـ تـكـسـرـتـ تـحـتـ أـقـدـامـ الـمـسـلـمـينـ ،ـ وـتـحـطـمـتـ بـيـدـ عـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ .

ولـيـتـ أمـيـ (ـخـديـحةـ)ـ بـقـيـتـ إـلـىـ هـذـاـ يـوـمـ :ـ لـتـشـهـدـ مـعـيـ الفـرـحةـ الـكـبـرـىـ ،ـ



وترى أولئك الطفاة ، وقد تركتهم قبل سنوات قليلة يلاحقون النبي العظيم وأصحابه المسلمين المؤمنين ، ويكتيرون لهم أنواع الأذى والاستهزاء .

ليتها تراهم اليوم كيف ضرب الله عليهم الذلة . يلوذون بالنبي عليه وآله الصلاة والسلام ، يتسللون بين يديه بكل انكسار مخافة العقاب والقصاص .

ليتها بقيت الى هذا اليوم ، لتسمع صوت (بلال) تتجاوب اصداوه في شباب مكة ، وهو يهتف من على سطح المسجد المشرفة ... « أشهد أن لا إله إلا الله ... وأشهد أن محمد رسول الله ... » .

ليت (خديجة) بقيت الى الآن ، حتى تسمع صوت بلال يؤذن لصلاة الصبح من فوق الحرم الأقدس فيخشع الكون بجلال الأذان وروعة الدعاء ... وهيبة المكان ... ويهب المؤمنون من مضاجعهم ، بكل نشاط ، ساعين الى المسجد الحرام بقلوب طافحة بالإيمان ونفوس قوية بالعقيدة ، يسبحون للخالق الدُّيان وألسنتهم تلهمج بالتهليل والتكبير ، ليؤدوا للمرة الأولى فريضة الإسلام في البيت العتيق والكمبة المشرفة المطهرة من الأوثان ... تجلت عظمة الخالق الديان.

لكن مشيئة الباري تعالى قبضت على (خديجة) أن ترحل عن الدنيا الزائفة وفي قلبها حسرة ٠٠٠ وفي نفسها لوعة ، ولكنها رضي الله عنها لشدة إيمانها على ثقة بأن النصر في النهاية حلليف الإسلام والنبي محمد . وأن الناس سيدخلون في دين الله افواجاً .

وتحلو الأيام للزهراء عليها السلام ، لتقضى مع الرسول في (مكة) أيامًا حافلة .

وتسعد لترى معاقل الشرك تنهاك تحت اقدام ابیها الرسول وترى ايضاً فلول المشركين لا تجد بديلاً لها عن قبول الدعوة الإسلامية .



جاءت نساء الأنصار الى الزهراء يتسائلن ٠٠٠ هل سيقيم النبي بسقوط رأسه
(مكة) وينسى المدينة وأهلها الأنصار ؟؟

إن ابتهاج الرسول (ص) بالفتح وإسلام قريش وحرصه على تألفهم وغبطته
بالرجوع الى (مكة) بعد الهجرة والاغتراب مما يشير بالأنصار نوازع
القلق والخيرة .

خصوصاً بعدما رأى رجال الأنصار عفو النبي العظيم عن طواغيت قريش
ومن والاها .

فقال قائلهم :

« لقد لقي والله رسول الله (ص) ٠٠٠ قومه !! »

عتب الانصار على الرسول (ص) :

أنشد الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري « يعاتب الرسول (ص) إيثاره
قريشاً وغيرها من قبائل العرب « بالعطاء والفيء » دون الأنصار قال حسان
ذلك في قصيدة منها :

وأت الرسول وقل يا خير مؤمن
للمؤمنين إذا ما عُدَّد البشر

علام تدعى « سليم » وهي نازحة
قدام قوم همَا آورو وهم نصروا

سماهم الله أنصاراً بنصرهم
دين الهدى وعوان الحرب تستعر

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا
للناثبات وما ضاقوا وما ضجروا



والناس ألب علينا فيك ، ليس لنا
إلا السيوف وأطراف القنا وذر

فها ونينا ، وما خنا ، وما خبروا
منا عثراً وكل الناس قد عثروا !

وبلغ سمع سيدة النساء (فاطمة) ما قاله حسان ... وما أشار إليه من الوجد الذي خامر نفوس الأنصار ... فقدرت أن لهذا العتاب الصريح تفاعلات ... له ما بعده، وقفت واجهة حيري .

ولكنها عليها السلام كانت مطمئنة إلى أن أباها الرسول (ص) سوف يجد له مخرجاً ولا يدع الأنصار إلا أن يجعلهم في اطمئنان قريري العين .

ذكر الطبرى في تاريخه عن أبي سعيد الخدري قال :

« لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء » ، وجد هذا الحمى من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة^(١) وحتى قال قائلهم :

« لقي والله رسول الله قومه » .

فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحمى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت .

قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً من قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحمى من الأنصار شيء .

قال (ص) : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ ..

(١) القالة : الكلام المتداول - السيء .



قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي !

قال : فاجمع لي قومك في الحظيرة ...

قال : فخرج سعد فجتمع الأنصار في تلك الحظيرة ...

فجاءه رجال من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما
اجتمعوا إليه أتاه سعد فقال :

قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فاتهام رسول الله (ص) فحمد الله
وأثنى عليه بالذي هو له أهل .

ثم قال : يا معاشر الأنصار ما - قالت - بلغتني عنكم ؟
وموجدة ^(١) وجدتموها في أنفسكم ؟

ألم آتكم ضلاًّا فهداكم الله ، وعالة ^(٢) فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله
بين قلوبكم ؟

قالوا : بلى - الله ولرسوله المن والفضل ...

قال : ألا تجيزوني يا معاشر الأنصار .

قالوا : وبماذا نجيزك يا رسول الله ، الله ولرسوله المن والفضل ...

قال : أما والله ، لو شتمت لقلم : فصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذبنا فصدقناك ،
ومخدولاً فنصرناك ، وطريداً فآتيناك ، وعائلاً فآسيناك ، ...

ووجدتم في أنفسكم يا معاشر الأنصار في لعاعة ^(٣) من الدنيا ، تألفت بها قلوب
قوم ، ليسلموا ، ووكلتم إلى إسلامكم !

(١) المعروف عند أهل اللغة - الموجدة اذا اردت الغضب .

(٢) عالة : جمع عائل ... وهو الفقير .

(٣) لعاعة : بالضم ... بقلة ناعمة ...



أفلا ترثون يا معشر الأنصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا
برسول الله الى رحالكم .

فوالذي نفس محمد بيده ، لو لا الهجرة لكنت إمراً من الأنصار ، ولو سلك
الناس شعباً^(١) وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ... ثم قال :
« اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصار » .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا حام ، وقالوا :
« رضينا برسول الله قسماً وحظاً » ، ثم انصرف رسول الله (ص) ،
وتفرقوا^(٢) .

بقيت الزهراء (ع) الى جانب أبيها بمكة حوالي شهرين وبعض الأيام ...
فقد جاءت مع أبيها وزوجها وجيش المسلمين الى البلد المحرام ، في شهر
رمضان من العام الثامن للهجرة ، وغادرتها مع أبيها وزوجها والأنصار الى
المدينة المنورة في آخر شهر ذي الحجة من العام نفسه .

لقد سعدت الزهراء (ع) عامين كاملين ، ونعمت بالهدوء والاستقرار ،
 تستجلي طلعة أبيها النبي (ص) في الغدو والآصال تلك الطلعة البهية المشرقة .

وقد ابتسمت لها الأيام ، فاستردت بعض قواها ، التي ذهبت بها الصدمات
التي لاقتها في حياتها الأولى ، واستعادت نشاطها فمكفت توفر الراحة لزوجها
الإمام علي (ع) . وتبدل ما في وسعها لتربية أولادها « أحفاد الرسول وأحبابه
وذريته وامتداد نسله » .

(١) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٢) كما ذكر هذه الرواية الطبرى في تاريخه ، كذلك ذكرها ابن هشام في سيرته ، وغيرهما
من أهل التاريخ والسير ...



تاركة شؤون الدار وخدمته لحاربها (فضة) التي جاء بها الإمام علي (ع)
من الغنائم التي نالها في المعارك .

الزهراء (ع) واليقظة المروعة :

امتد الحلم الهنيء ٠٠٠ وابتسمت الأيام ٠٠٠ وراحت « فاطمة » عليها
اللام تنعم في غيبة من السعادة والحبور ٠٠

ثم أفاقت من حلمها على ما هز كيانها وكانت اليقظة المروعة .

اشتكى النبي (ص) من مرض ألم به في أواخر شهر صفر في السنة الحادية
عشر للهجرة .

وكان عليه وآلـه الصلاة والسلام قد جهز جيشاً لمحاربة الروم وأعد لقيادة هذا
الجيش العظيم « اسامة بن زيد » وكان في مطلع شبابه .

أمر النبي جميع المهاجرين والأنصار ان ينضموا إليه ٠٠٠ وجعل يستحقهم
على الخروج ٠٠٠ ويلح ٠٠٠ ويقول : « نفذوا جيش اسامة » .

وظن أكثر المسلمين وبنو هاشم أنها وعكة طارئة لا تثبت ان تزول ولم
يفكر أحد أو يخطر على باله أنه مرض الموت .

ويشتد المرض بالنبي العظيم ٠٠٠ يوماً بعد يوم ولكن سيدة النساء فاطمة
الزهراء لم تكن تسمع بشكوى أبيها ، حتى أجهلت وارتوج قلبها ٠٠٠ وانهارت
اعصابها ٠٠٠ وكأنها الموت على ميعاد .

ألم تسمعه عليه وآلـه الصلاة والسلام وقد وقف بين اصحابه يعظهم ويقول :
أوشك أن ادعى فأجيب .



وسمعته في حجة الوداع على جبل عرفات وقد وقف بين المسلمين يقول لهم:
(لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا) .

ورأته مراراً يخرج إلى زيارة القبور ويخاطبهم بكلمات تشعر بدنو أجله .
وما ان سمعت شكواه حتى أسرعت وقلبه يرتجف وقد استولى عليهما
الحزن . . . والخوف ، ولكنها كانت تتجدد صابرة .
رأته (ص) يجمع اصحابه ، ويوصيهم بأهل بيته خيراً بنصوص كثيرة وفي
كتاب ظلال الوحي قوله :

« على ان حياة النبي كانت مفعمة بتلك النصوص ، منذ يوم الانذار في دار
ابي طالب فـما بعده من الأيام حق سجي على فراش الموت والحجرة غاصة
باصحابه فقال :

أيها الناس ، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقد قدمت إليكم
القول معدنة إليكم ، ألا وإني خلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ،
ثم أخذ بيده علي فرفعها فقال : هذا علي مع القرآن ، والقرآن مع علي لا يفترقان
حق يردا علي الحوض » ^(١) .

ورأته عليه الصلاة والسلام يطلب من أصحابه دواة وقرطاساً ، ويلح في
طلبه ويكرر قائلاً : « آتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوها
بعدي أبداً .. » .

وخانها تجلدها واصطبارها ، وقد رأت اباها الرسول يتميل من شدة الألم
ويأخذ الماء بيده الشريفة ليمسح به رأسه لعله يخفف وطأة الألم . ثم يتاؤه قائلاً:
واصكريباء ...

(١) عن كتاب في ظلال الوحي - للسيد علي فضل الله الحسني .



انكبت عليه (الزهراء) تشم وتصبح ... واكربي بك يا ابنته واكربي لكربلك يا ابنته .

وينظر إليها بكل عطف ... وحنان ... وإشراق . ينظر إليها نظرة مودع لهذه الدنيا الزائلة ، المليئة بالهموم والأحزان .

ثم يقول : لا كرب على أبيك بعد اليوم . ويوصيها عليه السلام بالصبر وتقوى الله سبحانه ، وأسرر إليها أنه قد حان أجله وأنها أول أهل بيته لحوقاً به . وقال لها « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة . فتجلدي ... واصبري .

الزهراء (ع) يوم وفاة النبي (ص) :

نزل القضاء الذي لا مفر منه ، ولحق الرسول العظيم بالرفيق الأعلى ، وبقيت الزهراء عليها السلام حزينة كثيبة يتيمة ، لا تجد للسؤال منفذًا إلى قلبها ، ولا تجد إلى العزاء سبيلاً .

وعلا الصراخ ... والمويل من البيت النبوى الشريف ، فعلم أهل المدينة بالمصاب الفادح الأليم ، وراحـتـ الزهراء في غـيـوبـةـ أـفـقـدـتـهاـ الـوعـيـ .

ولما أفاقـتـ منـ غـيـوبـتهاـ ، وـجـدـتـ النـاسـ كـالـبـرـ كـانـ الثـاثـرـ سـكـارـىـ منـ وـقـعـ المصـابـ ، حـيـارـىـ منـ أـمـرـهـ ، فـقـدـ انـصـرـفـ جـمـاعـةـ منـ الصـحـابـةـ ، إـلـىـ «ـ سـقـيـفةـ بـنـيـ سـاعـدةـ »ـ حـيـثـ الـأـنـصـارـ قـدـ اـجـتـمـعـواـ يـتـدـاـولـونـ فـيـ اـمـرـ الـخـلـافـةـ ، وـذـلـكـ بـعـدـ ماـ تـأـكـدـواـ أـنـ الـمـهـاجـرـينـ قـدـ اـجـتـمـعـواـ يـبـرـمـونـ الـأـمـرـ حـسـبـ مـيـوـلـهـمـ وـتـخـطـيـطـهـمـ ، ضـدـ أـصـحـابـ الـأـمـرـ الشـرـعـيـنـ ، الـذـيـنـ نـصـ عـلـيـهـمـ الرـسـوـلـ الـكـرـيـمـ ...ـ

وـكـانـ بـيـنـ الـمـهـاجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ حـوارـ وـاسـعـ وـكـلامـ كـثـيرـ ، وـأـخـذـ وـرـدـ ، وـكـانـ النـتـيـجـةـ لـصـالـحـ «ـ أـبـيـ بـكـرـ »ـ .



وافتقدت الزهراء زوجها علياً عليه السلام ، وأين هو من هذا الخضم ؟ الذي تتعالى أمواجه ، وتنقاذ الناس من المسلمين حسب الأهواء ... والأغراض ...

وإذا به عليه السلام قد انصرف مع جماعة ، من خيار الصحابة عن كل شيء ،
ولم يعد من هم إلا تجهيز النبي لثواب الأخير .

حدث كل هذا «وفاطمة» يغشى عليها ساعة بعد ساعة ، لكنها أخيراً
جمعت كيانها المنشتت ... وتحامت على نفسها ، وذهبت تسعى إلى قبر الحبيب
أبيها الرسول (ص) .

ويا له من منظر يفتت الأكباد ، ويتصدع له الصخر الأصم .

ألقت بنفسها على القبر ، ووقعت مغشياً عليها ، ولما أفاقت من غشيتها صاحت
من قلب كثيب :

يا أبناه ... أحباب ربا دعاه ... يا أبناه في جنة الفردوس مأواه .

وفي طبقات ابن سعد : أن فاطمة قالت : يا أبناه ، إن جبريل ينعاهم ،
يا أبناه ، من رب ما أدناه ، يا أبناه من جنان الفردوس مأواه ، يا أبناه ،
أحباب ربا دعاه .

وخنقتها العبرات ، فبككت عليها السلام ، حتى تفرحت أحفانها ، وبكى
الناس لبكائهما ، ثم استرجعت وقالت :

اغبرَ آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصرات
فالأرض من بعد النبي كثيبة أسفًا عليه كثيرة الريحان
فليبكه شرق البلاد وغريها ولتبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطود المعظم جوده والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوءه صلى عليك منزل القرآن



واستعبرت باكية ، فبكى الناس رفقاً بها وتنقطعت قلوبهم حزناً عليها ، وهم ينظرون إليها ، وهي تقلب التراب بين أناملها ، في حركة يائسة ، كمن فرغت من الدنيا ، ثم تأخذ حفنة من تراب القبر ، وتدعنيها من عينيها اللتين فرجهما البكاء ثم راحت تشم ذلك التراب وهي تقول متفعجة :

ماذا على من شم تربة احمد إلا يشم مدى الزمان غواليا
صُبّت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليها
ورجعت عليها السلام ، مع بعض النسوة إلى البيت ، والناس تتبعها بعيون دامعة ، وقلوب متصدعة ، حتى إذا بلغت دارها ، استأذن عليها أنس بن مالك وراح يسألها الصبر والعزاء ، فقالت له معاذبة :

يا أنس ، كيف طابت نفوسكم ، أن تحثوا التراب على رسول الله ؟؟
ثم قالت وقد شرقت بدموعها :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
وغاب مذ غبت عننا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا
لما نعيت وحالت دونك الكتب

قال ابن شهر اشوب في مناقبه : إن الزهراء عليها السلام ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس ، ناحلة الجسم ، منهدة الركن ، باكية العين ، محترقة القلب ، يغشى عليها ساعة بعد ساعة : تقول لولديها : أين أبوكا ^(١) الذي كان يكرمكما ويحملكم؟ أين أبوكا الذي كان من أشد الناس حباً لكما وشفقة عليكم !!

(١) أبوكا: تعنى جدهما رسول الله (ص). كان يحبهما كثيراً وكانت لهما بعذلة الاب . وكان يقول : ولدائي هذان سيدا شباب أهل الجنة .



ولا تزال تعدد معاملته لها ، وموافقه منها ، حتى يغشى عليها .

جاء في كتاب الأمالي «للصدوق» عن الإمام الصادق (ع) : قال : البكاؤون خمسة : آدم ، ويعقوب ويوسف ، وفاطمة بنت محمد (ص) وعلي بن الحسين زين العابدين (ع) .

فأما آدم : فإنه بكى خوفاً من ربه لما خرج من الجنة .

وأما يعقوب : فإنه بكى على ولده يوسف حتى ذهب بصره ، وقيل له : « تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الماляكين »^(١) .

وأما يوسف : فإنه بكى على أبيه حتى تأذى منه من كان معه في السجن .

وأما فاطمة بنت محمد (ص) فقد بككت على أبيها حتى تأذى منها أهل المدينة ، وقالوا لها : لقد آذيتنا بكثرة بكائنك .

فكانت تخرج إلى المقابر ، فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تعود إلى بيتها .

وأما علي بن الحسين : فقد بكى على أبيه عشرين عاماً - وقيل أربعين عاماً - وما قدم له من طعام وشراب ، إلا استدبكاؤه ، فيقال له : ألا تأكل ؟ فيقول : كيف آكل ، وأبو عبد الله مات جائعاً ، وكيف أشرب ، وأبو عبد الله مات عطشاناً ... الخ .

بيت الأحزان :

وقد روى كثير من المؤرخين أن الإمام علي عليه السلام ، لما تضائق أهل المدينة من كثرة بكاء فاطمة ، بنى لها بيتاً في البقيع ، كانت تأوي إليه في

.....
(١) سورة يوسف آية ٨٥ .



ساعات من الليل والنهار ، تبكي اباها الرسول (ص) ما شاء لها . وسمى هذا البيت بيت الأحزان .

وفي كتاب (أهل البيت)^(١) ان بيت الأحزان ، هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة ، من جهة قبة مشهد الحسن ، والعباس ، الى ان يقول : وإليه أشار ابن جعير بقوله : « ويلي القبة العباسية بيت فاطمة الزهراء بنت الرسول ، ويعرف ببيت الأحزان ويقال انه هو البيت الذي آوت إليه والتزرت الحزن فيه ، منذ وفاة ابيها الى ان لحقت به » .

وجاء بنو هاشم وخيار الصحابة الى الزهراء عليها السلام ، يسألونها الصبر ..
والعزاء ومن أين لها بالصبر والعزاء ... وكيف ؟ !

« وكل مصاب بعد مصابها لم !!

وجلس بنو هاشم والصحابة الآخيار ، يتحدثون مع علي والزهراء وما كان من أمر البيعة ... وكيف تمت لأبي بكر (رض) في سقيفة بني ساعدة .

ولم يكدر يمضي على وفاة الرسول إلا يوم وساعات ، وأهله مشغولون عن كل شيء وهم منصرفون لتجهيزه لقره الأخير . ونسمع عليهما عليه السلام يقول : وفي نبرات صوته حزن عميق ، وألم دفين : « أفكنت ادع رسول الله في بيته مسجى ... بلا غسل^(٢) ... ولا تكفين ، ... وأخرج أنازع القوم الخلافة » .

أليست الخلافة هي حق شرعي لي على ما نصه الرسول (ص) ؟

(١) تراجم اهل البيت - توفيق ابو غلم .

(٢) ذكر ابن سعد في طبقة ااته - ج - ٢ - ص - ٦٠ كان علي رضي الله عنه ، هو الذي تولى غسل الجسد الشريف .



وهنا تكلمت فاطمة عليها السلام وقالت : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبعي له أن يصنع ... ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم .

تقول الدكتورة بنت الشاطيء : وأخذ الجماعة يتذاكرون بلاء علي في نصرة الإسلام ، ومكانه من رسول الله : لقد شهد علي مع الرسول مشاهده كلها :

كان يحمل لواء المهاجرين يوم أحد ، ولواء الرسول يوم غزوة بنى قريظة ، وحراة الأسد ، ويوم حنين .

وحمل يوم خيبر ، أول راية في الإسلام .. وكان (ص) ، قد اتخذها من برد زوجه « عائشة » ، أم المؤمنين وقال : « لأدفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه .. » .

فتطاول عمر بن الخطاب لها واستشرف ، رجاء أن يدفعها الرسول إليه ، فلما كان الغد ، دعا الرسول (عليه) ودفعها له .

ويوم الفتح كانت الراية مع (سعد بن عبادة) فقال الرسول لـ (علي) « ادر كه فخذ الراية منه ، فكن انت الذي تدخل بها » .

وقاد سراياه الرسول إلى « فدك » في شعبان من السنة السادسة للهجرة . والى « الفلس : صنم طيء » في السنة التاسعة .

والى اليمن في السنة العاشرة .. وعاد منها جميعاً مظفراً منصوراً ..

وعلى « القصواء » ناقة الرسول المباركة ، خرج « علي » إلى الحج بعد الفتح بعام ..

ويوم آخر النبي بين المهاجرين والأنصار ، اصطفى « علياً » اخاه ..
ويوم خرج إلى « بدر » غازياً ، ومعه أصحابه ، كل ثلاثة على جمل ، اختار



علياً وأبا لبابة زميلين ، وقد عرضا عليه (ص) أن يشيا ليستريح في مركبه ، فأبى وقال :

« ما أنت أقوى على المشي مني ، وما أنا أغنى عن الأجر منكما » .

وتذاكر القوم أحاديث الرسول لعله وفي علي :

« أنت مني بعزلة هرون من موسى » .

« أنت مني وأنا منك » .

« أنت ولِي كل مؤمن بعدي » .

« من كنت مولاه ، فعلي مولاه » .

« لا يحبه إلا مؤمن ، ولا يبغضه إلا منافق » .

أهناك من هو أحق بالخلافة من « علي » ربِّيُّ النبي ، وابن عمِّ أبي طالب ، وزوج ابنته الزهراء وأبي الحسين ريحانتي الرسول ، وأول الناس إسلاماً ، وأطوطهم في الجهاد باعاً ، وفتى قريش شجاعـة ... وعلمـاً ٩٩... .

وأمـكت الزهراء صامتة لا تعقب ، ومـضت أيام وهي في عزلة عن الناس ، لا تـنشط للنـضـال عن مـيرـاثـها الذي أـبـاهـ عليها أبوـ بـكـرـ .. وـهـلـ أـبـقـىـ لهاـ الحـزـنـ منـ قـوـةـ تـسـعـفـهاـ عـلـىـ نـضـالـ ...؟... .

وـكـانـتـ بـحـيـثـ نـظـلـ منـطـوـيـةـ عـلـىـ جـراـحـهاـ وـحـزـنـهاـ ، لـوـمـ يـدـعـهاـ الـواـجـبـ ، أـنـ تـؤـدـيـ حـقـ زـوـجـهاـ وـوـلـدـيـهاـ عـلـيـهاـ ، فـتـسـعـىـ فـيـ رـدـ الـأـمـرـ إـلـىـ أـهـلـ بـيـتـ الرـسـوـلـ ...؟... (١) .

(١) نقلت الدكتورة بنت الشاطئ، عن طبقات ابن سعد والبخاري ، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجة ، وابن حنبل هذا الحديث .



كلام الزهراء لنساء المهاجرين والأنصار :

مرضت الزهراء (ع) ، ولم يتعمل جسمها النحيل الكوارث التي ألمت بها بعد وفاة أبيها .

وما أن فشا الخبر بالوعكة التي أصابتها، حتى سارع حشد من نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها ، وتوافدن للاطمئنان عن صحتها .

التفتت عليها السلام وقالت لهن معايبة ، وذلك عندما قالن لها : حكيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ؟

ذكر الاستاذ عمر رضا كحالة كلام الزهراء (ع) لمن اتين لعيادتها من النساء قالت :^(١)

« أصبحت والله عائفة لدنياكم ، قالية لرجالكم ، لفظتهم بعد ان عجمتهم ، وشناةهم بعد أن سبرتهم ، فقبحا لفلول الحد ، وخور القنا أو كسره ، وخطل الرأي ، وبئسها قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم ، ... إلى أن تقول : لا جرم لقد قلدتهم ربكتها ، وشنط عليهم عارها ، فجدعوا وعقراؤ وبعداً للقوم الظالمين .

ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومبط الروح الأمين ... الطبن^(٢) بأمور الدنيا والدين .

ألا ذلك هو الخسران المبين .

(١) اعلام النساء - للأستاذ عمر رضا كحالة .

(٢) الطبن: لغة الفطين والطبنة : الفطنة جمع طبن .



وَمَا الَّذِي نَعْمَلُ مِنْ أَبْيَ الْحَسْنَى، نَعْمَلُ وَاللَّهُ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيْفَهُ، وَشَدَّةٌ
وَطَأَتْهُ، وَنَكَالٌ وَقَعْتَهُ، وَتَنَمِرَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ.

وبالله لو تكافؤا على زمام نبذه رسول الله (ص) لسار بهم سيراً سجحاً ، لا يكلم خشأه ، ولا يتعتم راكبه .

ولأورد هم منهاً رواياً فضفاضاً تطفع ضفتاه ولا صدر هم بطاناً قد تحرى بهم
الري غير من حل منهم بطيئاً بعمله الباهر ، وردده سورة الساغب ولفتحت
عليهم بركات من السماء ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

ألا هلمن ... فاسمعن ... وما عشت أراكن الدهر عجباً ... إلى أي جما
جلاؤا ! واسندوا ، وبأي عروة تمسكوا ، ولبيس المولى ، ولبيس العشير ... النخ
الى أن تقول :

والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على خاتم النبيين وسيد المرسلين ، .

إن الزهراء عليها السلام لم تكن تطالب ببقعة من أرض ... أو بأثر مادي وهي الزاهدة العابدة ، المنصرفة عن ملذات الدنيا وطيبات الحياة .

بل كانت تطالب « بالحق » وإرجاعه إلى أهله الشرعيين . فقد جعل رسول الله (ص) الخلافة في علي بن أبي طالب « زوجها » .

لقد عرفنا ما كانت عليه الزهراء (ع) من خشونة الحياة وشظف العيش ، وكانت الدنيا في عينيها أحرق من ذبابة طفيلية تنظر اليها باشمئزاز ، ولهذا كانت أكبر من أن تนาزع ، أو تخاوم أحداً لأجل الأرث المادي وغيره من متاع الدنيا ، فهي تعلم علم اليقين بأن حياتها قصيرة لا تبقى بعد أبيها إلا أياماً معدودات ، كما أخبرها النبي بذلك .

أمضت الزهراء (ع) حياتها القصيرة ، المشحونة بالشجن والألام ، وشظف العيش ، وخشونة الحياة ، المقرونة بالزهد والتقوش .

فكانت في ظل أب لم يشبع مرة واحدة من طعامه ... ثم انتقلت الى بيت زوج كان أكثر أدامه الملح ... والخل ... والزيت ، والدنيا في عينيه لا تساوي شمع نعل .

وما لا شك فيه ، ولا يمكن المؤرخون من إنكاره ، وإن وضع بعضهم غشاوة على بعض النواحي لكن لا بد من القول « الواقع يفرض نفسه » .

فقد أثبتت جميع المؤرخين ، وأهل السير ، أن الزهراء سلام الله عليها لم تكن تهمها « فدكا » ولا غيرها مما تركه والدها الرسول الكريم (ص) ...

بل المقصود من تصرفاتها ، ومطالبتها « إثبات الخلافة لأصحابها الشرعيين » وإحقاق الحق ، والحفاظ على الإسلام .

فالزهراء وزوجها علي بن أبي طالب (ع) كانت الدنيا في حسابها أو هي من بيت العنكبوب ، وأهون من عفصة قعرة « أي مرة » .

ولنسمع علياً يقول عندما كانت خيرات الدولة الإسلامية على سعتها ، تحت تصرفه ... لا بل تحت قدميه : « فوالله ما كنزنـت من دنيـاك تبرـأ ولا ادخرـت من غناـها وفرـأ ، وما أعددـت لبـالي ثوـبي طـمراً ولا حـزـت من أرـضاـها شـبراً ... الخ .

خطبة الزهراء (ع) في المسجد النبوي الشريف :

إن الزهراء (ع) كانت من طينة محمد (ص) أحاطها الله سبحانه بهالة من



الجلال... والهبة ... وعصمها من شطط القول والفعل ... وجروح الحال .

نراها في مختتتها ، ومصابها بموت أبيها ، والضوضاء والفووضى التي أعقبت الوفاة ، تستنكرون ما حدث من المفاجآت . والنبي لا يزال جثة هامدة مسجى في بيته لم يواري الثرى .

فسيدة النساء العاقلة الحكيمية ، التي هي باعتراف الجميع ذات العلم والعقل والفصاحة والبلاغة ، لم يوجد مثلها في النساء .

قالت السيدة عائشة : « ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله (ص) من فاطمة ، وقالت أيضاً ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها » ^(١) .

لقد كانت الزهراء (ع) حريصة على تضامن المسلمين ، وإعلاء كلمة الدين ، لهذا نراها (ع) تقف ذلك الموقف المتصلب ، وتبين للناس حق علي بالخلافة ، وتزيل الفشاعة عن أعين بعض المسلمين السابقين في لجح الضوضاء .

انها ترى خلافة علي التي نص عليها الرسول (ص) هي امتداداً لرسالة أبيها المقدسة وتقول بعض الروايات أن انتزاع (فدرك ٠٠٠ والعواли) وسمه ذوي القربى من يد الزهراء ، وحرمانها من ميراث أبيها لم يكن داخلاً في حساب القوم لو لا موقفها الحازم المتشدد من الخلافة .

أولاً : إنما حرمونها فدكاً وغيرها ، حق لا توفر على عليّ قسطاً من المال يعينه على المضي في موقفه المناوىء لهم .

ثانياً : إذا اعترف القوم للزهراء بالأثر وسلموا أمره لها ، يؤدي بهم إلى

(١) اعلام النساء للأستاذ عمر رضا كعالة .



الاعتراف بأمر الخلافة لزوجها « علي بن أبي طالب » صاحب الحق الشرعي
علاوة على حجتها البالغة عليهم .

جاء في بلاغات النساء لابن طيفور قال : لما أجمع أبو بكر (رض) على منع
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها « فدك » وبلغ ذلك فاطمة(ع)
لاثت خمارها على رأسها ، وأقبلت في ليلة من حفدتتها ، تطاً ذيولها ، ما تخرم من
مشية ابها رسول الله (ص) شيئاً ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من
المهاجرين والأنصار ، فنيطت دونهما ملأة ، ثم أذئت أنة ، أجهش القوم لها
بالبكاء ، وارتاج المجلس فأمهلت حتى سكن نشيج القوم ، وهدأت فورتهم ،
فافتتحت الكلام بمحمد الله والثناء عليه ، والصلوة على رسول الله (ص) فعاد القوم
في بكائهم ، فلما أمسكوا عادت في كلامها ، فقالت :

لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين
رؤوف رحيم . فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آباءكم ، وأخا ابن عمي دون
رجالكم ، فبلغ النذارة صادعاً بالرسالة ، مائلاً على مدرجات المشركين ضارباً
لثيجهم ، آخذًا بكماظهم ، يوشم الأصنام ، وينكث الهمام ، حتى هزم الجموع ،
وولوا الدبر ، وتفرى الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن حضه ، ونطق زعيم
الدين وخرست شقاوش الشياطين .

وكنتم على حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونمزدة الطامع ، وقبضة العجلان ،
وموطئ الأقدام ، تشربون الطرق ، وتقاتلون الورق ، أدلة خاسعين ، تخافون
أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله برسوله (ص) بعد اللتيم والقي ،
وبعد ما مني بهم الرجال وذؤبان العرب - ومردة أهل الكتاب - .

كلما حشوا ثاراً للحرب أطفأها ، ونجم قرن للضلال وفُرِّت فاغرة من
المشركين قذف بأخيه في هواتها ، فلا ينكمش حتى يطأ صماخها بأخصه ، ويُخمد



لهم بمحده ، مكدوداً في ذات الله ، قريباً من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ،
وأنتم في بلهنية وادعون ... آمنون .

حق اختار الله لنبيه دار انبئائه ، وظهرت خلة النفاق ، وسم جلب باب
الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الآفلين ، وهدر فنيق المبطلين ،
فخطر في عرصاتكم ، وأطلع الشيطان رأسه من مفرزه صارخاً بكم ، فوجدمكم
لدعائهما مستجعين ، وللفرة فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجدمكم خفافاً ، وأجشككم
فالفاكم غضاباً ، فوسمتم غير ابلكم ، وأوردوها غير شربكم .

هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل بدار زعمتم خوف
الفتنة ، ألا في الفتنة سقطوا ...

فهيئات منكم ، وأنى بكم ، وأنى تؤفكون ، وهذا كتاب الله بين اظهركم ،
وزواجره بينة ، وشواهده لائحة وأوامره واضحة .

أرغبة عنه تدبرون ، أم بغیره تحکمون ، بنس للظالمين بدلاً ، ومن يبتغي غير
الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

ثم لم تترىوا إلا ريث ان تسكن نفترتها ، تشربون حسوأ ، وتسروت في
إرتقاء ، ونصير منكم على مثل حز المدى .

وأنتم الآن تزعمون أن لا أرث لنا ، أفحكم الجاهلية تبغون !؟ ومن أحسن من
الله حكماً لقوم يوقنون .

ويا معاشر المهاجرين ، أبتهز إرث اببي ، أفي الكتاب أن توثر أباك ؟ ولا
أرث اببي ؟ لقد جئت شيئاً فرياً .

فدونها مخطومة مرحولة ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم



محمد ، والموعد القيمة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولكل نبأ مستقر ،
وسوف تعلمون ، ثم انحرفت إلى قبر النبي (ص) وهي تقول :

قد كات بعدك أنباء وهنئته لو كنت شاهدها لم تكثر الخطيب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واحتل قومك فاشهدهم ولا تغب
قال : فما رأينا يوماً أكثر باكيما ، ولا باكية منا ذلك اليوم ،^(١) .

إن خطبة الزهراء عليها السلام ، وما تحتويه من جمال المعاني ، وعظمي
الحكم ، وما تتضمنه من حسن البيان وبلاعة الكلام ، جديرة بأن تستجيب لها
القلوب ، وتتفهمها الأفئدة قبل الألسن .

فلا غرابة في هذا ، فهي صادرة عن سيدة النساء ، ابنة سيد البشر ، وزوجة
سيد البلوغاء بعد محمد (ص) .

وهنا نقف نتساءل ... لماذا وقف القوم من الزهراء وزوجها هذا الموقف ؟
مع علمهم بأنها بضعة الرسول ، يغضبه ما يغضبها ، ويرضيه ما يرضيها .

واحسب أنهم لو حاولوا معالجة الأمور بالتعقل والروية ، لمواجهة موضوع
الميراث وغيره لاستطاعوا الوصول إلى نتائج أعمق ، وأبعد من الحالة التي وصلوا
اليها ارتجالاً من أقرب الطرق ، وربما أتيح لهم الربط بين أطراف المسلمين ،
وكم أشتات الفوضى العارمة .

ولكن شاء القدر ، وحكت الأيام ، أن يلتوي تاريخ الإسلام ، في أيديهم ،
ويأخذ شكلآ آخر ، ويصطبغ بصبغة ثانية .

لا نلومهم عليها ، وهم غير معصومين ... بشر لا ييرأون ... ونحن أيضاً

(١) خطبة الزهراء عليها السلام ذكرها ابن طيفور كذلك ذكرها أكثر المؤرخين .



بشر لا نبرٌ ... من ضعف وميل ، وهوى ، وإن كنا في الوقت نفسه ، نأسف لما ضاع على المسلمين من جهود وأتعاب ، وفرص لا تغدو ، وما يضيع على العلماء ، من صبر على البحث ، ودأب على الدرس وثبات على التحقيق . كانت هذه الاتعاب جديرة بأن تؤتي أحسن الثمر ، لو برىء الإنسان من شوائب الضعف البشري ... وهيات ...

وما لا شك فيه ، أن حرص الزهراء على مصلحة المسلمين ، واجتماع كلمتهم ، وتفانيها في خدمة الرسالة المقدسة . مما جعلها تذهب إلى المهاجرين ، تخاطبهم بنطقتها البليغ ، الذي يشبه منطق الرسول « وذكر أن نعمت الذكرى ... » .

ثم تتوجه إليها السلام ، نحو الأنصار ... وتبنيهم ، وقد اجتمعوا في المسجد الشريف حيث قالت :

يا معاشر البقية ، وأعضاد الملة ، وحضنة الإسلام ، ما هذه الفترة عن نصرتي؟
واللونية عن معونتي ، والغمزة في حقي ، والسنة عن ظلامي ، أما كان رسول الله (ص) يقول :

« المرء يحفظ في ولده » سر عان ما أحدثتم ، وعيلان ما أتيتم ، الآن مات رسول الله (ص) ، أمتكم ... دينه !!!

ها ان موته لعمري خطب جليل ، استوسع ونه ، واستبهم فتقه ، وقد راتقه ، وبعد وقته ، وأظلمت الأرض له ، وخشت الجبال ، وأكدت الآمال ، وأضيع بعده الحريم ، وتهتك الحرمـة ، وتلك نازلة أعلـن عنها كتاب الله قبل موته ، وأنبأكم بها قبل وفاته فقال :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبـتم على أعقابـكم ومن ينقلبـ على عقبـيه فلن يضرـ الله شيئاً وسيجزـي الله الشـاكـرين » .



أيها بني قبائلة .. اهتضم تراث أبي وأنت برأي وسمع ، تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت ، وفيكم العدة .. والعدد .. والأداة .. والقوة وأنت نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار .

باديتم العرب ، وبادهتم الأمور ، وكافحتم البهم حق دارت بكم رحم الإسلام ، ودر حلبها ، وخبت نيران الحرب ، وسكنت قوة الشرك ، وهدأت دعوة المرج ، واستوثق نظام الدين ، فتأخرتم بعد الإقدام ونكصتم بعد الشدة وجبتكم بعد الشجاعة ، عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ^(١) إلى أن قالت : ألا وقد قلت لكم على معرفة مني بالحذلة ، التي خامرتكم ونور القناة وضعف اليقين .

فدونكموها ، فاحتلوها ، مدبرة الظهر ، ناقبة الخف ، باقية العار ، موسومة الشعار ، موصولة بنار الله الموقدة التي تتطلع على الأفئدة ، فيبعين الله ما تعلمو ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

إن سيدة النساء فاطمة الزهراء ، كانت لا تهمها الجهة المادية (وهي الزاهدة العابدة) من الأثر ، بقدر ما كان يهمها من سير الدعوة الإسلامية ، ووصول الحق إلى أهله . وهي ترى أن مصلحة الإسلام العليا تقتضي خلافة « علي » التي هي امتداد لصالح الإسلام ... والمسلمين .

و مما يدل على أن مصلحة الإسلام ، ونشر الرسالة المقدسة ، وتركيز دعائم الدين ، كل هذه الأشياء كانت في نظر الزهراء فوق كل شيء .

ذلك ما جاء في كثير من الروايات من سيرة علي وفاطمة عليها السلام كشرح

(١) إشارة إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام ، أخذ العهد من المسلمين باليبيعة والخلافة لعلي عليه السلام وذلك في حجة الوداع - في مكان يقال له غدير خم - .



النهر وغيرة ، بما مضمونه ومعناه :

أن الزهراء عليها السلام عندما رجعت من المسجد الشريف إلى منزلها ، مهضومة الحق . . . كثيرة القلب ، حزينة ، وذلك بعدما خاطبت المهاجرين والأنصار ولم تجد تجاوباً منهم ، لم تمالك من أن توجه اللوم إلى زوجها أبي الحسن علي عليه السلام ، بكلام تبدو عليه . . . القسوة . . . والشدة . . . واللامة .

وفيها هي تحدثه وتخاطبه لائمة إيمان على تقاعده وسكته عن حقه الشرعي والمطالبة به وإذا بصوت المؤذن يتعالى :

« الله أكبر . . . أشهد أن لا إله إلا الله . . . وأشهد أن محمداً رسول الله » .

عندما قام على إلى السيف . . . واستله من غمه ، واتتني إلى الزهراء قائلة : ما معناه . .

يا بنت رسول الله ؟ لو نازعت القوم في طلب حقي . . . وحاربتهم عليه وطالبتهم بحقك من الأرث ، لثارت ثائرتهم ، وذهبوا أشتاناً ، ولم يبق للإسلام إسم . . . ولا رسم . واختفى هذا الصوت الذي يتعالى في الأجواء مردداً :

« الله أكبر . . . أشهد أن لا إله إلا الله . . . أشهد أن محمداً رسول الله » .

عندما هدأت ثورة الزهراء وسكتت ، وتعلقت بالإمام عليه السلام ، ودموعها تساب على خديها وهي تقول : بل اصبر يا ابن عم . . . حسيبي . . . وغايق . . . بقاء هذا الصوت والحفاظ على بقاء رسالة أبي . . . وتركيز دعائم الإسلام ونشره .



وفاة الزهراء (ع)

يذكر المؤرخون ان الزهراء (ع) استسلمت للحزن فلم ترى قط منذ وفاة والدها النبي (ص) إلا باكية العين كسيرة الفؤاد .

الزهراء رافقت دعوة أبيها منذ بدايتها ، وتأصلت في نفسها أركان الرسالة حق أصبحت وكأنها جزء من حياتها وقاعدة عظيمة من كيانها ، تمدّها بالثبات على الحق ، والدفاع عن المظلومين والضعفاء والمحرومين والمعذبين .

تضحي بكل ما لديها لسعادة البشر ، وإقامة العدل ولا تتوانى منها كاتثمن غالياً .

وكانت عليها السلام تتمثل دائمًا بآيات من الشعر تذكر بها أيام أبيها فتقول :

صبت على الأيام عدن لياليا
لا اختشي ضيماً وكان جهاليا
ضيمي وادفع ظالمي بردايما
صبت على علي مصائب لو أنها
قد كنت أرتع تحت ظل محمد
والاليوم أخضع للذليل واتقي
واخيراً مرضت الزهراء (ع) ، وساء حالها ، فبادرت نساء المسلمين
لعيادتها ..

نظرت اليهن ثم أشاحت بوجهها عنهن قائلة :



اجدني كارهة لدنيا كن مسورة بفراقكم ، وسائلكم إلى الله ورسوله ما
لقيت من بعده .. فها حفظ لي حق ، فخرجن من عندها كسيرات ، يتلاؤن ..
وقد ادهشهن ما سمعن ورأين .

وصية الزهراء (ع) :

ذكر أصحاب التاريخ وأهل السير وصية الزهراء (ع) على عدة أوجه ،
ففي رواية : أنها لما احست عليها السلام بدنو أجلها ، استدعت إليها زوجها
«عليها» أمير المؤمنين (ع) فاوصرته وصيتها ، وطلبت منه .. وألحت عليه أن
يواري جثتها في غسق الليل ، حتى لا يحضر جنازتها أحد من الذين ظلموها ،
وبحثوا حقها ، وان يغفر موضع قبرها .

واوصته أيضاً أن يتزوج ابنة اختها «امامة» لتقوم على رعاية ابنتها ،
قالت له :

«يا ابن عم لا بد للرجال من النساء ، فإذا أنا مت ، فعليك بابنة اختي
«امامة» فإنها تكون لأولادي .. مثلـي ..

يقول ابن سعد في طبقاته : «ان فاطمة احببت ان يصنع لها نعشًا يواري
جثتها ، لأن الناس كانوا يومذاك يضعون الميت على سرير مكشوف لا يستر .
فكرهت ذلك ، واحببت ان لا ينظر جثتها أحد وهي محولة على أكتاف
الرجال .

فاستدعت «أسماء بنت عميس» وشكّت إليها نحو جسمها وقالت لها :
اتستطيعين ان تواريني بشيء؟

قالت أسماء اني رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ، ويشدون النعش



بقوائم السرير ، فأمرتهم بذلك وعمل لها نعش قبل وفاتها ، ولما نظرت اليه
قالت :

« سترقوني ستركم الله » .

وفي رواية : لما نظرت اليه ابتسمت ، وكانت هذه أول ابتسامة لها بعد
وفاة أبيها .

والذي وعاه التاريخ ، ان الزهراء (ع) ، كان يبدو عليها الارتياح في اليوم
الاخير من حياتها ، فقامت من فراشها ونادت أولادها ، فعانتهم طويلاً وقبلتهم
ثم أمرتهم بالخروج إلى زيارة قبر جدهم رسول الله (ص) .

وكان أسماء بنت عميس تتولى خدمتها وتمريرها^(١) فطلبت منها بصوت
واه ضعيف ، ان تهيء لها ماء لتفتسل .

وبكل ارتياح ، بادرت أسماء إلى احضار طلبها ، فاغتسلت (ع)
ولبس أحسن ثيابها وبدا عليها الحبور ، فظنت أسماء أنها تعاملت للشفاء .

ولكن تبددت ظنونها عندما طلبت منها أن تنقل لها الفراش إلى وسط
البيت ، وقفـت أسماء والدهشة بادية على وجهها ، وقد ساورها قلق شديد عندما
رأـت الزهراء قد اضطجعت على الفراش ، واستقبـلت القبلـة ، ثم التفتـت اليـها
قائلـة :

« اني مقبوـسة الآـن وراـحة عن هـذه الدـنيـا ، إـلى جـوار رب رـحـيم ، لـاحـقة
بـابـي الرـسـول الـكـرـيم ..»

(١) وفي رواية ثانية أـنـت أم رـافـع مـولاـة الرـسـول صـلـى الله عـلـيه وـسـلمـ هيـ التيـ كانتـ تسـهرـ
تسـهرـ عـلـيـهاـ ، وـتـتـولـيـ تـمـريـضاـ .



وتسمرت أسماء في مكانها وقد عقدت الدهشة لسانها لمارأت وسمت ...

لقد اذهلها الخطيب العظيم ، واستبد بها القلق والجزع والخوف على الزهراء
وما هي إلا دقائق معدودات حتى حم القضاء وعلت صفة الموت وجهاً سيدة
النساء .

صاحت أسماء وناحت ، وعلا الصراخ ، فاسرعت زينب والحسنان لاستفسار
الخبر ، فوجدوا أمهم قد فارقت الحياة ..

واجتمع الناس على صوت البكاء والعويل ، واحاطوا بدار علي بن أبي طالب
وهم بين باكٍ وباكية ، ومتفعجٍ ومتتجعة وقد اشتد بهم الحزن والأسى على بضعة
الرسول فاطمة الزهراء (ع) .

وعن ينابيع المودة عن أم سلمة (رض) قالت :

اشتختت فاطمة في وجمعها ، فخرج « علي » لبعض حاجته فقالت
لي فاطمة :

يا اماه اسكي لي ماه ، فسكتت لها ماه ، فاغتسلت أحسن غسل ، ثم
قالت : يا اماه تأوليني ثيابي الجدد ، فناولتها ثم قالت : قدمي فراشي وسط
البيت ، فاضطجعت ووضعت يدها اليمنى تحت نحرها ، واستقبلت القبلة ثم
قالت : يا اماه اني مقبوسة الان ، فلا يكشفني أحد ، ولا يغسلني أحد .

قالت أم سلمة : فقبضت مكانها صلوات الله وسلامه عليها .

قالت : ودخل « علي » فأخبرته بالذي قالت ، فقال علي : والله لا يكشفها



أحد . دفنتها بفسلها ولم يكشفها أحد . ولم يفسلها أحد ^(١) .

وأختلفت الروايات ، فقيل : « لما توفيت غسلتها أسماء بنت عميس وعلى (رضي الله عن الجميس) ودفنتها ليلاً ^(٢) .

ورحم الله القائل :

ولأي الأمور تتدفن ليلاً بضعة المصطفى ويعفى ثراثها
ضاقت الدنيا على علي بن أبي طالب (ع) ، واشتد به الحزن على أم الحسين زوجته فاطمة بنت الرسول (ص) .

وبعد دفنتها هاج به الألم ، فوقف على القبر يتحسر ، وقلبه يعتصر اسى ولوعه ثم قال : ^(٣)

« السلام عليك يا رسول الله ، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسرعة للحاق بك ، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورق عنها تجلدي ، إلا ان لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبيتك موضع تعز ، فلقد وسدتك في ملحوظة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدرني نفسك فإننا لله وانا اليه راجعون .

فلقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، أما حزني فسرمد ، وأما ليلى فمسهد ، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم .

وستبئنك ابنتك بتضافر امتك على هضمها ، فاحفها السؤال ، واستخبرها

(١) بنابيع انودة للفندوزي الحنفي ...

(٢) مرآة الجنات - ملياني المكي - ج - ١ - ص - ٦٠ .

(٣) اعلام النساء للأستاذ عمر رضا كحاله .



الحال ، هذا ولم يطل العبد ولم يخلق منك الذكر . والسلام عليكم سلام مودع
لا قال ، ولا سئم ، فإن انصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد
الله الصابرين .

ثم ت مثل علي (ع) عند قبرها فقال :

وصاحبها حتى الممات عليل	ارى علل الدنيا على كثيرة
وكل الذي دون الممات قليل	لكل اجتماع من خليلين فرقة
دليل على ان لا يدوم خليل	وان افتقادي فاطماً بعد احمد

وخشع الإمام عليه السلام ، ولم يتألم من البكاء وهو يسوي التراب ، ففاضت
عياراته ، وأخذ ينفض يديه بحركة يائسة ، وكأنه قد فرغ من الدنيا بعد ما
وارى تحت الثرى ، زوجته الحبيبة ، وشريكته حياته التي ملأت عليه دنياه
ووقفت يحيانيه تشده وتوأزره في السراء والضراء . كما كانت أمها « خديجة »
تناضل وتكافح وتضحي في كل غال ورخيص بمحاجدة مع الرسول الأعظم

مشهد الفرج .



الذكريات

وطافت الذكريات بالإمام علي (ع) واستولى عليه الحزن واستسلم لذكريات الماضي الحبيب ، وأخذت تمر هذه الصور في مخيلته متلاحقة تذكره بالراحلة الطاهرة الزكية التي كانت أشبه الناس بأبيها .

تذكرها يوم وقفت تلك الوقفة العظيمة ، تُذكر المسلمين ما أنسام إيمان الدهر ... أو تناصوه كما جاء في كتاب الغدير^(١) . حيث قالت : نسيتم قول رسول الله (ص) يوم غدير خم : « من كنت مولاً فعلي مولاً » وقوله أيضاً (ص) : يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

وكانت من أقرب الناس إلى أبيها في الجود والسخاء والكرم ؛ ألم تسمعه يقول :

« السخاء شجرة من أشجار الجنة ، أغصانها متولدة إلى الأرض ، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الفصن إلى الجنة » .

وقالت أيضاً : السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد عن النار ، وإن الله جواد يحب كل جواد .

(١) الغدير - لشيخ الأميني - ج - ١ ص - ١٩٧ .



وبلغ من جودها (ع) وسخائها العظيم ، إنها كانت تؤثر المحتاجين على نفسها ، وتعطي القراء قوتها الذي لا تملك سواه كما كان يفعل أبوها النبي وزوجها علي وبهم نزلت الآية الكريمة : « والذين تبوا الدّار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلعون » ^(١) .

وبدا الإمام (ع) في حزنه كسير القلب ، متتصدع الأركان مع أنه ذلك الأسد المصور ، والبطل الهمام .

وتذكر الزهراء (ع) ، والحسرة تعصر قلبها ... لما لاقته في حياتها من أتعاب ، وآلام وأفراح وأحزان ، صاحبة النفس الرحيمة والقلب الكبير التي قضت حياتها وأفنت عمرها القصير في الجهاد والتضحية لخدمة الإسلام والمسلمين.

فكيف ينسى الإمام (ع) زوجته ، هذه الإنسنة الحورية ... وينسى مواقفها البطولية ، وشجاعتها وبلغتها وعلمها وفضاحتها ، مع ثباتها على الحق .

وإذا اشتد به الأسى والألم نجده عائدًا إلى بيته وألم الحزن يحز في نفسه .

وكيف لا يكون ذلك وقد فقد شخصين عظيمين من أعز الناس عليه وما « محمد ... وفاطمة » تلك الشجرة الطيبة والفهمة ذات الفضل الوارف ، والعلم الراهن والفضل الذي لا يدرك مداره .

(١) سورة الحشر - آية - ٩



لقد ظلت الزهراء عليها السلام ، بعد وفاة ابیها «ص» ، تكافح من أجل احقاق الحق ، وارجاعه لامنه ، وتشییت ، دعائم العدل ، ودفع الظلم الذي أحیط بها وبزوجها «علي» ، وبقیت تتاپل الى ان فارقت الدنيا ، تارکة احسن صورة للانوثة الكاملة ... المقدسة .

ما اجمل تعبیر الاستاذ العقاد حيث يقول :

(ان في كل دین صورة للانوثة الكاملة المقدسة ، يتخشع بتقدیسها المؤمنون ،
كأنما هي آية الله من ذكر وانشى .

ف اذا تقدست في المسيحية صورة « مريم العذراء » ، ففي الاسلام لا جرم
أن تقدس صورة « فاطمة الزهراء .. البتول » .

وسيظل ذکر الزهراء على لسان المؤمنين ، يخلدونه ، ومركزها ومکانتهمـا
وجلال قدرها الرفیع بين اعلام النساء ، وعبدالله المکرمین) .

واختلف في تاريخ وفاتها ، فقد ذکر ابن سعد في طبقاته ، انها توفیت بعد
ابیها بثلاثة أشهر ، وعمرها عشرون عاماً ، وقيل بستة أشهر ، وقيل لحقت
بأبیها بعد خمسة وسبعين يوماً، وذلك في اليوم الثالث من شهر رمضان الى غير
ذلك من الروایات .

وضم ثرى المدينة المنورة ، جثیان الصدیقة الطاهرة ، فاطمة الزهراء كما
احتوی من قبل على جثیان ابیها الرسول «ص» .

وأوحشت دیار بنی هاشم بعد النبي وابنته وافتقد اهلها النور الذي كانوا
يهدون به والرکن القویم الذي اليه يستندون ويلجأون .



حزن علي على فراق زوجته الزهراء «ع» :

تقول المرويات كان علي بن أبي طالب عليه السلام يزور قبر زوجته الزهراء في كل حين ، واقبل ذات يوم فانكب على القبر ، وبكى بكاء مرأة انسا يقول :

ما لي مررت على القبور مسلما
يا قبر مالك لا تجib مناديما

قبير الحبيب فلم يرد جوابي
أمللت بعدي خلة الاحباب ؟

فأحابه هاتف يقول :

قال الحبيب وكيف لي يحوابكم
وانا رهن جنادل وتراب
وتحجبت عن اهلي وعن اترابي
مني ومنكم خلة الاحباب

وبات أهل المدينة والمسدون وقد خيم عليهم الحزن وظللتهم الكآبة لفقد
الزهراء بضعة الرسول .

ماتت الزهراء بجسمها ، ولكنها بقيت بروحها ، ولا تزال حية
في قلوب المؤمنين ... ورمزًا حيًا للمرأة المسلمة ، وقدوة صالحة
للمقتدين ..

بقي صدى كفاحها عليها السلام ، وثباتها على الحق وجهادها في سبيل الاسلام
يقض مضاجع حكام السوء ، وطفاة العصور على مر الأيام والسنين.

روت عن ابيها الرسول الاعظم «ص» الكثير من الاحاديث والروايات ،



فقد ولدت في بيت الوحي ومهد النبوة وترعرعت تحت ظل صاحب الرسالة .
ورافقتها حتى آخر حياتها الشريفة .

وعت الاسلام ووقائعه وانتصاراته . وقد روی عنها ولداتها الحسن والحسين ،
ووالدهما علي بن ابي طالب «ع» .

كذلك روت عنها السيدة عائشة ام المؤمنين والسيدة ام سلمة وسلمى
أم رافع ، وانس بن مالك وغيرهم الكثير من كبار الصحابة ومشايخ وعلماء
المسلمين الصالحين ...

وما عسانی ان اكتب عن الزهراء عليها السلام ... ولكن اكتفي بالقول ان
قلمي عاجز ...

يحق لي ان اعترف بالعجز عن الاطلاع بما كتب عن حياتهم التي قضتها في
الجهاد والكفاح في سبيل الاسلام والعقيدة مع ابيهما النبي ... وزوجها
الامام علي وولديها السبطين الحسن والحسين «ع» .

واعترف ايضاً بالقصور عن ادراك معرفتهم ، وسفر غورهم ، والاطلاع
بصفاتهم وفضائلهم ...

« وفوق كل ذي علم علیم »

بآل محمد عرف الصواب وفي ابياتهم نزل الكتاب
وهم حجج الاله على البرايا
بهم ويجد هم لا يستراسب



المراة في صدر الاسلام :

ان صدر الاسلام ليس له تحديد معين بارقام سنين لا يتعداها ، ولكننا نقصد به ذلك الزمن الذي مضى من بدء دعوة محمد «ص» عهد الرسول الكريم وخلفائه الراشدين ^(١) .

ذلك العهد الذي كان الناس يتقيدون باحکام الشرع العظيم ، وتعاليم الدين القويم .

وصدر الاسلام هو عهد انتقال من البداوة وعاداتها وتقاليدها ، وجاهليتها الى الاسلام وشرعيته السمحاء ونظمه الحضارية وقوانيمه المدنية .

وقد بذلك المسلمون الجهد الجبار ، ولاقوا المتابعة والمصاعب لسلوك الطريق الافضل ، بين التقالييد الموروثة والاعتقادات والعادات القديمة ... وبين ما جاء به الاسلام من تنظيم ديني .. ومدني .. وتوحيد الله سبحانه ، بالإضافة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ونحن اذا تكلم او نكتب عن المرأة في صدر الاسلام وما بعده حتى الان ، ونشرح ما اصاب المرأة واخلاقها من التبدل والتطور ، يجب ان نشير ايضاً الى الرجل وما طرأ عليه من تطور وتبدل .

اليس كلاماً عضو فعال في الهيئة الاجتماعية الواحدة يؤثر فيها ...
ويتأثر بها !؟

١ - الخلفاء الراشدين ... حسب اصطلاح المؤرخين .



ولا يمكننا ان نتجاهل تأثير الرجال الشديد بصورة خاصة على المجتمع النسائي .

اُخْدَقَ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ :

ان شمائل المرأة العربية واخلاقها المديدة ، هي اجمل صفة كانت تتحلى بها ، فقد كانت بحكم البيئة والمجتمع القديم رغم تسلط الرجل عليها ، وتعسفه واستثنائه ، تحتفظ بمعزابا فطرية عظيمة ونبلة .

كالشجاعة ... والجرأة الادبية ... والعفاف ... والكرم ... والوفاء ...
وحفظ الجوار ... واغاثة الملهوف ... والعفو عند المقدرة ... الى غير ذلك من
الاخلاق الفاضلة ، والمزايا الحميدة ...

فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ أَبْقَى عَلَىٰ هَذِهِ الْمَزَايَا وَالشَّهَائِلِ ، وَتَعْهِدَهَا وَاضْفَافُ الْيَهَا
صَفَاتٌ جَدِيدَةٌ ...

كالتقى والآيات... والورع... والتدين. وكان الإسلام حريصاً على مكارم الأخلاق كما ورد في الحديث الشريف عن الرسول الاعظم (ص) «أنا بعثت لأنتم مكارم الأخلاق».

وحتى نتمكن من الاحاطة بما فعله الاسلام من تبديل وتطوير وتأثير على اخلاق المرأة وسير حياتها ، لا بد لنا من استعراض بعض مآثرها في النواحي الاجتماعية لتوضيح ما كان من سيرة حياتها في ذلك العهد .

جهاد المرأة في الإسلام :

لقد كانت الشجاعة في أيام الجاهلية عنوان الله—ومدار اهتمامهم ،



والمحور الذي تدور عليه مفاخرتهم واعشارهم وغزوatهم وحرروتهم .

ولما ظهر الاسلام بنور تعاليمه الساطعة ، انبرت المرأة للمساهمة بنصيتها الاكبر في الجهاد .

فكانت مع الرجل جنبا الى جنب تروي ظماء اذا عطش وتضمد جراحه اذا اصيب ، وتشير الحواس في رؤوس المقاتلين .

و اذا اضطرت للدفاع ، او تعرضت للاهوال ، وقفت وقفـة الابطال ، واقبـلت على محاربة الاعداء ، غير هيابة ولا وجـلة ، بشجاعة وثبات ... وصلـابة وعقـيدة .

في حين نرى ان بعض الرجال البارزين ، يعجز ... او يهاب ان يقف موقفها .

جهاد الماـشـيات :

ان جـهـاد بـنـي هـاشـمـ في سـبـيلـ الـاسـلامـ مـعـرـوفـ وـمـشـهـورـ لاـ يـنـكـرـهـ اـحـدـ .

فكما كان للرجال جـهـادـ ، كان للنساء مـواقـفـ سـجـلـهاـ التـارـيـخـ عـلـىـ صـفـحـاتـهـ وفي مـقـدـمةـ النـسـاءـ كـنـ المـاـشـيـاتـ فـقـدـ سـاهـمـنـ فيـ سـبـيلـ الدـافـعـ عنـ الـاسـلامـ ، وـاعـلاـ ، كـلـمـتـهـ ماـ وـسـعـهـنـ المـاـشـيـةـ .ـ سـوـاـهـ بـالـشـجـاعـةـ وـالـاـقـدـامـ ٠٠٠ـ اوـ بـالـخـطـبـ وـالـكـلـامـ .ـ وـاـوـلـهـنـ الصـحـابـيـةـ الجـلـيـلـةـ سـلـيـلـةـ الـبـيـتـ الـهـاشـمـيـ الرـفـيعـ .ـ «ـ صـفـيـةـ بـنـتـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ عـمـةـ الرـسـوـلـ »ـ .



صفية بنت عبد المطلب :

لقد حدثنا التاريخ عن بطولة وجہاد سيدة عظيمة هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم (أمّة الرسول) .

ذُكْر ابن هشام في سيرته ^(٢) .

« كان رسول الله (ص) ، اذا خرج لقتال عدوه ، اصطحب بعض نسائه معه ، ففي غزوة (الختدق) رفع ازواجه ونساءه في حصن حسان بن ثابت ، وان من احسن آكام المدينة .

فمر رجل يهودي وجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) وال المسلمين في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلى ذلك الحصن إن أتوا .

فقالت صفية : يا حسان إن هذا اليهودي كا ترى يطيف بالحصن ، واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من ورائنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله (ص) واصحابه ، فانزل اليه فاقته .

فقال حسان : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا .

١ - ذكر هذا الحديث جميع اهل التاريخ والسير - كالسيرة الخلبية - والسير النبوية لابن هشام - كتاب الدر النشو لزينب فواز - اعلام النساء عمر رضا كحاله وغيرهم .



فليا سمعت صفيه كلام حسان ، قامت فأخذت عموداً ثم نزلت من الحصن الى ذلك اليهودي فضربته في العمود فقتلته .

ثم رجعت الى الحصن فقالت : يا حسان . انزل اليه فاسله فإنه لم يعنني من سلبه إلا أنه رجل .

فقال لها حسان : « ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب » .

وتقول بعض المرويات : ان صفيه لما قتلت اليهودي ، وقطعت رأسه ، قالت حسان :

« قم فاطرح رأسه على اليهود وهم أسفل الحصن » .

فقال : والله ما أستطيع ذلك . قالت : فقمت فرميت رأسه على اليهود ، فأدھش ذلك اليهود وقالوا :

« لقد علمنا أن هذا (محمد) لم يكن ليترك أهله خلواً ليس معهم أحد . فتفرقوا خائفين » .

وهذه الرواية تشهد لصفيه بنت عبد المطلب بالشجاعة الفائقة والاقدام على نصرة الاسلام .

ولكنها لم تتفق من قدر حسان بن ثابت شاعر الرسول الاعظم (ص) ولم يكن خاملاً .

حسان بن ثابت ليس رجل حرب ٠٠٠ وليس بقدر مقارعه الفرسان ٠٠٠ بل إن جهاده في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر راية الاسلام كان بشعره ولسانه وبيانه ٠٠٠ لا بسيفه ورمحه وسنانه ٠

أجل إن شاعر الرسول « حسان بن ثابت » وإن كان جيئنا في القتال ،



لكن له مواقفه الجليلة ، حيث يصنع اللسان ما يعجز عنه السنان .

وما يروى عن الرسول الأعظم (ص) ، انه كان ينصب المنبر لحسان بيده الشريفة ويقول : « اللهم أيد حساناً بروح القدس . . . ما دافع عن رسولك » .

ولحسان بن ثابت أشعار كثيرة في تأييد الرسول (ص) والرسالة وتأييد الوصية لعلي بن أبي طالب (ع) فمن ذلك قوله في يوم غدير خم :

يناديه يوم الغدير نبيهم بعمر واسع بالنبي مناديا
فقال فمن مولاكم ونبيكم فقالوا ولم يبدوا هناك التعاملا
إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له : قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أتباعاً صدق مواليها
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذى عادى علينا معاديا

« وشهدت صفيحة (عنة الرسول) غزوة (أحد) ولما انهزم المسلمون قامت وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول :

انهزمتم عن رسول الله !؟

فلما رآها رسول الله (ص) قال لابنها الزبير بن العوام : إلقيها فارجعها حتى لا ترى ما بشقيقها الحمزة بن عبد المطلب . فلقيها الزبير فقال لها : يا أماه . . . إن رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعي ، فقالت : ولم ؟ . فقد بلغني أنه مثل بأخي « حمزة » وذلك في الله عز وجل قليل ، فما أرضانا بما كان من ذلك . لأنحتبن ولأنصبرن إنشاء الله تعالى .

فلما جاء الزبير رسول الله (ص) فأخبره بذلك قال : خل سبيلها .



فأَتَتْ صَفِيَّةَ الْمُهَزَّةَ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَرْجَعَتْ ،
وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ .

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِهِ فَدَفَنَ^(١) وَقَالَتْ تَبَكِي أَخَاهَا الْمُهَزَّةَ وَتَرْثِيهِ .

أَسَائِلُهُ أَصْحَابُ أَحْمَدَ مُخَافَةً بَنَاتِ ابْنِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرٍ
دُعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دُعَوةً إِلَى جَنَّةٍ يَحِيَا بِهَا وَسُرُورٍ
فَوَابَهُ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَتِ الصَّبَا بَكَاءً وَحْزَنًا مُحْضَرِي وَمُسِيرِي
فِيَّا لَيْتْ شَلُوِيْ عِنْدَ ذَاكَ وَاعْظَمِي
لَدِيْ أَضْبَعَ تَعْتَادِنِي وَنَسُورٍ

كانت صفيّة شجاعة مقدامة، عملت جهدها في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين،
وتوفيت رحمها الله في سنة عشرين للمigration، ودفنت في البقيع .

(١) أمر رسول الله (ص) بتدفن عمّه المهزّة رضي الله عنه حيث قتل ولا يزال قبره إلى الآن
عند جبل أحد .
واحد - جبل قرب المدينة المنورة . دارت قربه المعركة المشهورة - بوقعة أحد .



فاطمة بنت اسد بن هاشم

سيدة جليلة حافظت على رسول الله (ص) حفاظ الصدر على جناته ، والطرف على إنسانه ، كانت تؤثر عليه الصلاة والسلام على أولادها ، وترعى اه بعناية تامة ، وتحنون عليه أكثر من حنو الوالدة على رضيعها .

لذلك نرى النبي (ص) قابل صنيعها الجميل ، وما قامت به من خدمات أحسن مقابلة .

روي عن رسول الله (ص) لما توفيت فاطمة بنت اسد بن هاشم^(١) زوجة أبي طالب ، ووالدة علي أمير المؤمنين (ع) كفنه رسول الله (ص) في قبره وصلى عليها ، وكبر عليها سبعين تكبيرة ، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ، ويتسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان . وجثنا في قبرها ، فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب :

يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد ؟ فقال : يا عمر إن هذه المرأة كانت منزلة أمي التي ولدتني .

(١) ذكر السيد الامين في كتابه أعيان الشيعة - أن فاطمة بنت اسد بنت الى الاسلام وهاجرت الى المدينة في أول المجرة . وروى الحاكم في المستدرك قال : كانت فاطمة بنت اسد اول هاشمية ولدت من هاشمي ، وكانت بمحل عظيم من الإيمان ، في عهد رسول الله وتوفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .



إن أبو طالب كان يصنع الصنائع وتكتور له المأدبة ، وكان يجتمع على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعاده فيه .

روى صاحب أعلام النساء : أن فاطمة بنت أسد لما توفيت بالمدينة ، ألبسها رسول الله (ص) قميصه ، واضطجع معها في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ؟

فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرا في منها ، إنما ألبستها قميصي لنكتسي من حلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها الحساب ^(١) .

أدوى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم :

كانت أدوى مثال المرأة المسلمة ، جاهدت في سبيل الله بلسانها وبيانها ، في كل دور من أدوار الإسلام الذي مرّ علينا ، ولم تأل جهداً في أداء النصيحة وإرشاد الناس إلى سلوك طريق العدل والانصاف ، وإرجاع كل ذي حق حقه ، بكل ما تقدر عليه ، غير هيبة ولا وجلة ، لا تأخذها في الله لومة لائم .

ولا غرابة فقد كانت السيدة أدوى فريدة زمانها ، وبليغة عصرها إذا خطبت أعجزت ، وإن تكلمت أوجزت لأنها إينة البلاغة ومعدن الفصاحة .

ومن جملة نصحا للإسلام ، وإرجاع الحق إلى أهله ، دخولها على معاوية بن أبي سفيان وهو في أبهة سلطانه ، وشموخه بأنفه بين أعوانه .

(١) ذكر صنيع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر المؤرخين وأصحاب السير ، كالسيد الأمين في إيمان الشيعة وعمر رضا كحالة في أعلام النساء والسيد علي فضل الله الحسني في كتابه الأخلاق الإسلامية وغيرهم .



دخلت عليه تؤنبه وتقرعه لتنكبه جادة الحق ، وسلوکه طريق الباطل
واغتصابه الخلافة من أهلها الشرعيين .

حديث أروى بنت الحارث بن عبد المطلب مع معاوية :

ذكر ابن طيفور مرويًّا عن أنس بن مالك قال :

« دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، على معاوية بن أبي سفيان
بالموسم ، وهي عجوز كبيرة ، فلما رأها قال : مرحبا بك يا عمدة قالت :

كيف أنت يا ابن أخي ، لقد كفرت بعدي بالنعمة ، وأسأت لآن عمرك
الصحبة ، وسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حرقك ، بغير بلاه كان منك ولا
من آبائك في الإسلام .

ولقد كفرت بما جاء به محمد (ص) ، فاتسع الله منكم الجندود ، وأسر
منكم الجندود ، حق رد الله الحق الى أهله ، وكانت كلمة الله هي العليا ونبيها
محمد (ص) هو المنصور على من نواه ولو كره المشركون .

فكمنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدراً حتى قبض الله
نبيه (ص) مغفوراً ذنبه مرفوعاً درجته شريفاً عند الله مرضياً ، فصوننا أدل
البيت منكم بنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحiron نساءهم .

وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بنزلة هارون من موسى حيث
يقول : « يا ابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني » ولم يجمع بعد رسول
الله (ص) لنا شمل ، ولم يسهل لنا وعر ، وغايتها الجنة ، وغايتهاكم النار .

قال عمرو بن العاص : أيتها العجوز الضالة أقصري من قولك وغضي من



طرفك ، قالت : ومن أنت لا أم لك قال : عمرو بن العاص . قالت : يا ابن اللخناء النابغة ، اتكلمني .. ! اربع على ظلمك ، وأعن بشأن نفسك ، فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبيها ، ولا كريم منصبها ، ولقد ادعوك ستة من قريش كلهم يزعم أنه أبوك ، ولقد رأيت أمك أيام مني مع كل عبد عاهر (أي فاجر) فأتم بهم فإنك بهم أشبه .

فقال مروان بن الحكم : أيتها العجوز الضالة ، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك ،
فلا تجوز شهادتك ، قالت : يا بني أتتكلم ! فوالله لأنك إلى سفيان بن الحارث بن
كلدة أشبه منك بالحكم ، وإنك لشبيه في زرقة عينيك وحمرة شعرك مع قصر
قامته ، وظاهر دمامته ، لقد رأيت الحكم ماد القامة ظاهر اللامة سبط الشعر ،
وما بينكها من قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الآثار المقرب ، فاسأل أمك
عما ذكرت لك فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت .

ثم التفت إلى معاوية فقالت : والله ما عرضني لهؤلاء غيرك ، وإن أمرك
القاتلة في يوم أحد في قتل حمزة رحمة الله عليه :

نَحْنُ جَزِينٌ كَمْ بِيَوْمِ الْحَرْبِ ذَاتِ عَسْرٍ
مَا كَانَ عَنْ عَتَّابَةٍ لِي مِنْ صَبْرٍ أَبِي وَعُمَّيْ وَأَخِي وَصَهْرِي
شَفِيتُ وَحْشِي غَلِيلٌ صَدْرِي شَفِيتُ نَفْسِي وَقَضِيتُ نَذْرِي
فَشَكَرْ وَحْشِي عَلِيٌّ عَمْرِي حَقِّ تَغْيِيبٍ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي
فَاجْبَتْهَا بِقَوْلِي :

يا بنت رقّاع عظيم الْكَفْرِ خزيت في بدر وغير بدر
صبحك الله قبيل الفجر بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطّاع حسام يفرّي حمزة ليثي وعلی صقری



إذ رام شبيب وأبوك غدر أعطيت وحشياً ضمير الصدر

هئكَ وحشى حجاب الستر ما للبغایا بعدها من فخر

فقال معاوية لروان وعمرو : ويلكم أنتا عرضتاني لها ، وأسمعتاني ما أكره.

ثم قال لها : يا عمدة اقصدي قصد حاجتك ، ودعني عنك أساطير النساء .

قالت : تأمر لي بألفي دينار ، وألفي دينار ، وألفي دينار .

قال : ما تصنعين يا عمدة بألفي دينار ؟ قالت : أشتري بها عيناً خرخارة ، في أرض خوارة تكون لولد الحارث بن عبد المطلب .

قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : ازوج بها فتیان عبد المطلب من أكفائهم ...

قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟

قالت : أستعين بها على عشر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام .

قال : نعم الموضع وضعتها ، هي لك نعم وكراهة .

ثم قال : أما والله لو كان علي ما أمر لك بها ..

قالت : صدقت إن علياً أدي الأمانة ، وعمل بأمر الله وأخذ به ، وأنت ضيمنت أمانتك وخفت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقه وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها ، وبينها فلم تأخذ ، ودعانا (أبي علي) إلىأخذ حقنا الذي فرض الله لنا . فشغل بحربك عن وضع الامور مواضعها ، وما سألك من مالك شيئاً فتمنَّ به ، إنما سألك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا .

أتذكر علياً فض الله فاك ... وأجهد بلاءك ، ثم علا بكاؤها وقالت :



ألا يا عين ويحك أسعدينا ألا وابكي إمیر المؤمنینا
رزينا خير من ركب المطایا وفارسها ومن ركب السفینا
ومن لبس النعال او احتمداتها ومن قرأ المثانی والمثنیا
إذا استقبات وجه ابی حسین رأیت البدر راع الناظرینا
ولا والله لا أنسى علیماً وحسن صلاته في الراکعینا
أفي الشهر الحرام فجتمعونا بخیر الناس طراؤ جمعینا^{١)}

وفي رواية : قال لها معاوية : عفا الله عما سلف يا خالة ، هات حاجتك .
قالت : مالي إليك حاجة ، وخرجت عنه .

فقال معاوية لأصحابه : والله لو كلّم ما من في مجلسي جميعاً ، لأجبت كل واحد
بغير ما تجیب به الآخر . وإن نساء بنی هاشم لأفصح من رجال غیرهم .

(١) بلاغات انساء ابن طیفور والعقد الفريد لابن عبد ربہ الاندلسي وغيرهما .



مساهمة المرأة في نصرة الإسلام

لقد سارعت المرأة إلى نصرة الإسلام ، مندفعة بكل ماتملكته من شجاعة وإقدام وتضحية في سبيل الدين والعقيدة .

ولا يأس بأن نذكر بعض النساء اللواتي ساهمن مساهمة فعالة ، في نصرة الحق والدفاع عنه ، بما يتلاءم مع كيانهن وطبيعتهن ، ذلك ضمن نطاق الخشمة والأدب والشرع الشريف .

أم رعلة القشيرية :

« سيدة من ربات الفصاحة والبلاغة . وفدت على النبي ﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ... أنا من ذوات الهدور ، ومحل ازر البعول ، ومربيات الأولاد ، ومهدات المهداد ، ولا حظ لنا في الجيش الأعظم ، فعلمتنا شيئاً يقربنا من الله عز وجل .

فقال لها النبي ﷺ : عليك بذكر الله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار ، وغض البصر وخفض الصوت .

ثم أقبلت بعد وفاة النبي ﷺ إلى المدينة فحزنت عليه حزناً شديداً وأخذت بالحسن والحسين تطوف بهما بأزقة المدينة ، وهي تبكي بكاءً مرأ ، وترثيه برثاء مؤلم منه :



يَا دَارِ فَاطِمَةِ الْمُعْمُورِ سَاحِتَهَا هِيجَتْ لِي حَزَنًا حِيدَتْ مِنْ دَارِ
فَهَاجَتْ الْمَدِينَةَ لِمَأْتَهَا ، فَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَأَهْلُهَا يَبْكُونَ^(١) .

ام ورقة بنت عبد الله بن الحارث الانصارية :

كانت من فواضل نساء عصرها ، وكان رسول الله «ص» يزورها ويسميها الشهيدة . ولما غزا رسول الله بدرًا قالت له : إِيَّذْنُ لِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكُمْ ، أَدْاوِي
جَرَاحَكُمْ ، وَأَمْرُضَ مَرْضَكُمْ ، لَعْلَ اللَّهُ يَهْدِي إِلَيَّ الشَّهَادَةَ .

فقال لها رسول الله «ص» : إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي إِلَيَّ الشَّهَادَةَ ، وَقُرِيَّ فِي بَيْتِكَ شَهِيدًا . . .

وكانت جمعت القرآن فأمرها النبي «ص» أن تؤم أهل دارها ، وكانت لها مؤذن . . . وكانت تؤم أهل دارها حتى قتلت . . . فقالوا : صدق رسول الله . . . إنها شهيدة^(٢) .

سبعينية بنت الحرف الاسلامية :

قال ابن عباس : ^(٣) صالح رسول الله (ص) بال Medina مشركي مكة ، على من اتاه من أهل مكة ، رده عليهم ، ومن اتى اهل مكة من اصحاب رسول الله (ص)
 فهو لهم ، ولم يردوه عليه . . . كتبوا بذلك كتاباً ، وختموا عليه .

فجاءت سبعة بنت الحرف الاسلامية ، مسلمة بعد الفراغ من الكتاب ،

(١) الاصادة لابن حجر - رأي اعلام النساء لعمر رضا كحالة وغيرها .

(٢) طبقات ابن سعد الكبيري - تهذيب التهذيب لابن حجر .

(٣) عن مجمع ابيان في تفسير القرآن - لاطبرسي .



والنبي (ص) بالحديدية ، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم قال معاذل هو « صيف بن الراهن » في طلبها وكان كافراً فقال :

يا محمد اردد علي امرأتي ... فإنك قد شرطت لنا ، ان ترد علينا من افالك منا ، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد ... فنزلت الآية :

« يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بآياتهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتتهنوهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكواافر واسألو ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ذلکم حکم الله يحکم بينکم والله علیم حکيم »^(١) .

قال ابن عباس : إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر ، الى دار الإسلام ، فامتحنوهن ... امتحانهن أن يستحلفن ، ما خرجت من بغض زوج ، ولا رغبة عن ارض الى ارض ، ولا التماس دنيا ، وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله.

فاستحلفها رسول الله (ص) : ما خرجت بغضاً لزوجها ، ولا عشقاً لرجل منها ، ولا خرجت إلا رغبة في الإسلام .

فحلفت ... بالله الذي لا إله إلا هو . على ذلك فأعطي رسول الله (ص) زوجها مهرها ، وما أنفق عليها ، ولم يردها عليه .

ام كلثوم بنت عقبة :

قال الجبائي : ^(٢) إن ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، جاءت مسلمة ،

(١) سورة المتعنة - آية - ١٠ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي .



مهاجرة من مكة ، فجاء أخوها الوليد ... وعماره ، إلى المدينة فسأل رسول الله ردها عليها .

فقال رسول الله (ص) إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء . فلم يردها عليها .

قال الجبائي : وإنما لم يحرر هذا الشرط في النساء ، لأن المرأة إذا اسلمت ، لم تخل لزوجها الكافر !! فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينها .

زينب بنت رسول الله (ص) :

قال الشعبي : ^(١) كانت زينب بنت رسول الله (ص) امرأة أبي العاص بن الربيع ، فأسلمت ، ولحقت بالنبي «ص» في المدينة .

وأقام أبو العاص مشركاً بمكة ، ثم أتى إلى المدينة فآمنت به زينب ، ثم أسلم فردها عليه رسول الله «ص» .

وقال الجبائي : لم يدخل في شرط صلح الحديبية ، إلا رد الرجال دون النساء المسلمات ، ولحقن بالرسول «ص» ، أمثال : أروى بنت ربيعة بن الحirth بن عبد المطلب ، وأمية بنت بشر وغيرهن كثيرات مما يضيق المجال عن ذكرهن . أم دميثة بنت عمر بن هشام بن عبد المطلب :

مجاهدة جليلة ، وسيدة عاقلة ، اسلمت ، وبأيام النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ، وشهدت مع رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فتح خيبر ، وأطعمها رسول الله أربعين وسبعيناً وخمسة أو سبعين ^(٢) .

(١) مجمع البيان . تفسير القرآن - للطبرسي .

(٢) سيرة ابن هشام - تاريخ الطبراني - الإصابة لابن حجر .



أم حكيم بنت الحارث الفخزومية :

مجاهدة جليلة ، أسلمت يوم الفتح ، واستأمنت لزوجها عكرمة بن أبي جهل ، فآمنه النبي ﷺ وخرجت في طلبه وقد هرب إلى اليمن فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر . فجعلت تصيح إليه وتقول :

يا ابن عم ، جئتكم من أوصل الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، وقد استأمنت لك منه ، فآمنك . فقال : أنت فعلت ذلك ؟ قالت : نعم أنا كلّمه فآمنك . فرجع معها .

ولما وصل عكرمة ، وانتهى إلى باب رسول الله ﷺ وزوجته معه ، فسبّقته ، فاستأذنت على الرسول ، فدخلت وأخبرت النبي ﷺ بقدوم عكرمة ، فدخل عكرمة وألم .

وشهدت أم حكيم وقعة اليرموك^(١) وأبلت فيها بلاءً حسنة فقاتلتها فيها أشد القتال .

وفي وقعة مرج الصغر ، خرجت بعمود الفسطاط ، فقتلتها سبعة من الروم^(٢) .

أم حبيب بنت العاص القرشية :

مجاهدة جليلة ، أدركت عصر النبي ، ولها صحبة ، وشهدت اليرموك ، وحرضت الرجال على القتال ، لما شد طرف من الروم على عمرو بن العاص ، فانكشف هو وأصحابه ، حتى دخلوا أول المعسكر وهم في ذلك يقاتلون ويُشندون .

(١) اليرموك : وادي بناحية الغور - ومرج الصغر واقع بنواحي دمشق .

(٢) تاريخ الطبرى - طبقات ابن سعد - سيرة ابن هشام .



ليلي الففارية :

مجاهدة وغازية ، كانت تخرج مع النبي ﷺ في مغازي ، وكان يسمم لها .
ولما خرج علي بن أبي طالب الى البصرة ، خرجمت معه ، وأتت عائشة ام المؤمنين فقالت لها : هل سمعت من رسول الله ﷺ فضيلة في علي ؟
قالت : نعم ... دخل علي على رسول الله وهو معي ، وعليه جرد قطيفة ،
فجلس بيننا ، فقلت : أما وجدت مكانا هو أوسع لك من هذا ..؟
قال النبي ﷺ : يا عائشة ... دعى لي أخي فإنه أول الناس اسلاما ،
وآخر الناس بي عهدا ، وأول الناس لي لقيا يوم القيمة ^(١) .

ام در الففاري :

هي زوجة ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ، الصحابي الجليل الذي ذكره
الرسول الكريم بقوله : « ما أظلمت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من
أبي ذر » .

كانت شاعرة من شواعر العرب ، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يتمسّم
قال لأبي ذر : يا أبا ذر ... حدثني عن بده إسلامك ؟
قال أبو ذر : كان لنا صنم يقال له « نهم » فأتيته فصبيت له لينا ، ووليت
فعانت مني التفاة ، فإذا كلب يشرب ذلك اللبن فلما فرغ ، رفع رجله فبال على
الصنم ، فأنثأت أقول :

(١) الاستيعاب لابن عبد البر - أعلام النساء لعمر رضا كعالة .



ألا يأنهم اني قد بـدا لي مـدى شـرف يـبعـد مـنـك قـربـا
رأـيـت الـكـلـب سـامـك حـطـ خـسـف فـلم يـمـنـع قـفـاك الـيـوم كـلـبـا
فـسـمعـتـني أـم ذـرـ فـقـالـتـ :

لـقد اـتـيـت جـرـما ، وـأـبـت عـظـما ، حـين هـجـرـتـ نـهـما !؟
فـلـمـا أـخـبـرـتـها الـخـبـر ... فـقـالـتـ :

أـلا فـابـغـةـا رـبـا كـرـيـا جـوـادـا فيـ الفـضـائـلـ يا وـهـبـ
فـما مـنـ سـامـهـ كـلـبـ حـقـيرـ فـلمـ يـمـنـعـ يـدـاهـ لـنـا بـرـبـ
فـهـا عـبـدـ الـحـجـارـةـ غـيرـ غـاوـيـ رـكـيـكـ الـعـقـلـ لـيـسـ بـذـيـ لـبـ
فـقـالـ مـكـثـكـ اللـهـ : صـدـقـتـ اـمـ ذـرـ ... « فـهـا عـبـدـ الـحـجـارـةـ غـيرـ غـاوـيـ »^(١).

(١) اعلام النساء : عمر رضا كحاله .



انتعاش المرأة اجتماعياً في صدر الاسلام

تطور أخلاق الناس بتطور أفكارهم ومقاييسهم وتتأثر بالبيئة ...
والمجتمع .

وفي صدر الإسلام، لما اتيح للمرأة الحرية ... وشعرت بكل كرامتها وشخصيتها ،
وما انعم عليها الباري سبحانه وتعالى من الخير ، وما اوجب لها الإسلام من
الحقوق ، أصاها ما يصيب الناس الذين ينتقلون فجأة من حال إلى حال

لقد انتقلت المرأة بفضل تعاليم الإسلام وتشريعاته من الذل والهوان ... إلى
العزّة والكرامة ... من الحرمان والاضطهاد ... إلى الحرية والنور واحترام
الشخصية والعطاء ... من الجهل والازواج ، والجمالة العمياء ... إلى الدين والتقوى
والورع والانطلاق ، والتحرر من العادات والتقاليد الظالمة والطقوس المشينة .

انتعمشت المرأة ، وانطلق كل من الرجال والنساء على قدم المساواة كل فرد
بحسب طبيعته وعلى قدر استطاعته ، وفق القوانين الإسلامية والتعاليم النبوية
الشريفة .

ولقد كان الحافز إلى النهضة والتفاني بالجهاد ، الإيمان بالله العظيم ورسالة
النبي الكريم بالإضافة إلى حلاوة الإسلام ، وزهو النصر المؤيد من الله رب
العالمين . وكان من بين النساء التقيبات الورعات ، المجاهدات ذوات العقل والدين
المتحددات بكل جرأة وأدب وانطلاق يبدين الرأي ، ويتحدثن بتفهم وروية ...



جزلات بأجوبتهن المسكتة ، وأحاديثهن الممتعة وعلى سبيل المثال نذكر قصة قيلة بنت مخرمة مع حرثيث بن حسان وافد بكر بن وائل الى رسول الله ﷺ

قيلة بنت مخرمة .

ذكر ابن طيفور في كتاب بلاغات النساء « قيلة بنت مخرمة » من ربات الفصاحة والبلاغة ، أسلمت قدماً لها صحبة ، قدمت على رسول الله ﷺ ، وسمعت منه وصلت معه ، لها حديث طريف قال ^(١) .

« لقد انطلقت الى اخت لي في بني شيبان ، أبنتي الصحابة الى رسول الله ﷺ فبينما أنا عندها ذات ليلة تحسب اني نائمة إذ جاء زوجها من السامر فقال : وأبيك لقد اصبت لقيلة صاحب صدق ، قالت : من هو ؟ قال : هو حرثيث ابن حسان ، غاديأ ذات صباح وافد بكر بن وائل الى رسول الله (ص) .

قالت : يا ويلها ، لا تخبر بهذا اخي ، فتتبع أخا بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرها ، ليس معها من قومها رجل . قال : لا تذكريه ، فإني لست ذاكره لها .

فلما أصبحت ، وقد سمعت ما قالا : شددت على جمي فانطلقت الى حرثيث ابن حسان ، فسألت عنه فإذا به وركابه مناخة فسألته الصحابة الى رسول الله (ص) فقال : فقال : نعم ... وكرامة .

فخرجت معه ، صاحب صدق ، حق قدمنا على رسول الله ﷺ . فدخلنا المسجد حين شق الفجر ، وقد اقيمت الصلاة فصلى والنجم شابكه ، والرجال

(١) بلاغات النساء لابن طيفور - أعلام النساء لعمر رضا كحاله وغيرهم .



لا تكاد تعارف من ظلمة الليل ، فصففت مع الرجال و كنت امرأة حديثة عهد بالجاهلية فقال لي رجل جنبي : امرأة أنت أم رجل ؟

قلت : امرأة ، قال : كدت تفتنيني ، عليك بالنساء وراءك ، فإذا صفت من النساء قد حدث عند الحجرات ، لم أكن رأيتها حين دخلت ، فصففت معهن .

فلما صلينا جعلت أرمي ببصري الرجل ذا الرداء والفترد لأرى رسول الله ﷺ ، حتى دنا رجل فقال : السلام عليك يا رسول الله .

فإذا هو جالس القرصاء ، ضام ركبتيه الى صدره ، عليه اسماں ملسين ، كانتا مصبوغتين بزعفران فنعنعا ، وبهذه عسيب مشور غير خوستين من أعلىه .
قال : وعليك السلام ورحمة الله .

فلما رأيت رسول الله ﷺ ، والتخشُّع في مجلسه أرعدت من الفرق ، فقال له جليسه : يا رسول الله ... أرعدت المسكينة (١) .

قال بيده : يا مسکينة عليك السکينة ، فذهب عني ما كنت اجد من الرعب .

قالت : فتقدم صاحبي أول من تقدم ، فبایعه على الإسلام ٠٠٠ وعلى قومه ، ثم قال :

يا رسول الله ، اكتب لنا بالدهناء ، لا يجاوزها من قيم إلينا إلا مسافر ٠٠٠ او مجاور

فقال : يا غلام اكتب له بالدهناء .

(١) أرعد الرجل من الخوف : أنزل به الرعدة - صيره يرتعد ! ارتعد : اضطرب واهتز - ترجج - الترجج في اللغة .



قالت : فلما رأيت ذلك شخص بي وهي داري ، ٠٠٠ ووطني .

فقلت : يا رسول الله إنه لم يسلك السوية من الأمر ، هذه الدهناء عندك
مقيد الجمل ، ومرعى الغنم ، ونساء تعم وأبناؤها وراء ذلك .

قال : صدقت ٠٠٠ امسك باغلام ٠٠٠ المسلم أخو المسلم يسعهم الماء والشجر
يتعاونان على الفتان كذا ٠٠٠

قالت : فلما رأى حريث وقد حيل دون كتابه ، صفق بإحدى يديه على
الآخر ثم قال :

كنت أنا وأنت كما قال الأول : « حتفها حلت ضان بأظلافها » .

قالت : فقلت أما والله لقد كنت دليلاً في الليلة الظلماء ، جواداً لدى
الرجل ، عفيفاً عن الرفيقة ، صاحب صدق ، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ .
عليّ أسأل حظي ٠٠٠ إذا سألت حظك .

قال : وما حظك من الدهناء لا أباً لك ؟ قالت : قلت مقيد جمي ٠٠٠ سله
بجمل امرأتك .

قالت : فقال : أما أنا أشهد رسول الله صلى الله عليه ، أني لك أخ ما حببتي
إذ أثنيت هذا عليّ عنده .

هذه قيلة بنت نحرمة وغيرها كثيرات من النساء ، ذوات الفهم والتعقل ،
قد أمدتها الإسلام بالجرأة والإقدام .

وقفت في بادي الأمر ترعد خوفاً ٠٠٠ ورهبة من هيبة الرسول حتى
طمأنها عليه الصلاة والسلام بقوله (يا مسكنة ٠٠٠ عليك السكينة) .

سكنت ٠٠٠ واطمأنت عندما شاهدت النبي العظيم بتواضعه وأخلاقه



السامية وحلمه وسعة صدره وشريعته السمحاء.

أقدمت على المطالبة بحقها وحق قومها ، غير هيبة ولا وجة ، فلا مداهنة ولا تدجيل ، ولا رياه . أليس حرية الرأي والصدق والصراحة والديمقراطية من بنود شريعة محمد ؟

ثم نراها تبني على صاحبها ودليلها « حرث بن حسان وافد بكير بن وايل »
مع وقوفها قبل برهة أمامة موقف الخصم (ولكن الحق يعلو ولا يعلو
عليه شيء) .

وَمَا لَا شَكَ فِيهِ مِنْ أَنَّ الْمَرْأَةَ الْمُسْلِمَةَ عِنْدَمَا اسْتَنشَقَتْ رُوحُ الْحُرْبَةِ، وَتَذَوَّقَتْ
مَعْنَى الْكَرَامَةِ وَسَمِعَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوصِي بِالنِّسَاءِ خَيْرًا،
سَارَعَتْ إِلَى مَسَاعِدَةِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ الصَّحِيحِ، وَأَخْذَتْ بِعَضِهِ، وَسَارَتْ مَعَهُ
بِكُلِّ إِحْلَاصٍ وَإِيمَانٍ لِسُلُوكِ الْصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ٠

فيما لبّت فتيات العصر الحاضر ٠٠٠ يلتفتن قليلاً إلى الماضي حيث جداتهن القدامى المحاولات اللواتي لا يزال أريج ذكرهن عابقاً يعطر أجواء التاريخ على مرّ اللذالي والعصور ٠

ويالىت فتيات العصر الحاضر ينصنفن انفسهن وينظرن بمنظر الحق والعدل،
لتتضح لهن الحقائق . ويرجعن إلى رشدهن ، ويترکن كل ما أزري بهن من
عادات مخلة بالأدب ، وتقايد مشينة بالأخلاق .

عقيلة الهاشميين زينب بنت علي (ع)

من المنبت الزاكي والشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعمها في الساء .

في بيت تجمعت فيه صفات الإنسانية ، وحصل الرحمة والوفاء .

في المنزل الذي تقامد في جنباته شمائل الشرف والبطولة والكرم والحياء .

في السنة الخامسة لل مجرة ولدت اسيدة النساء فاطمة الزهراء ابنتهما عقيلة الهاشميين « زينب » .

في هذا الجو العابق بالتقى والورع والإيمان ، تفتحت هذه الوردة الزكية المنبت ، الكريمة المحتد ، فرأت النور مشرقاً في وجهه جدها الرسول الأعظم عليه السلام وتفتحت عيناهما على بسمة أبيهما علي (ع) وحيث ان امها فاطمة سيدة نساء الأنام .

استقبل بيت الرسول الوليدة المباركة ، يفوح عبيرها في المهد ، عبر المنبت الطيب ، سلالة الأشرف ، ويرتسم في قسمات وجهها المضيء ملامح الأجداد الكرام ، والأباء العظام . وتلوح في طلعتها المشرقة هيبة أمها الزهراء ، التي حباها الباري سبحانه بنزلة عالية ... فكانت أحب الناس إلى قلب أمها الرسول ، وأشبههن به خلقاً وخلقها ومنطقاً ، وفاطمة مني ، وميزها سبحانه فكانت الوعاء الطاهر للسلالة الطاهرة ، الأئمة الأطهار .

وقد ذكر المؤرخون وأهل الأخبار : أن ظلاً حزينة ارتسمت على مهد



الوليدة تشير الى ما ستلاقيه من المصائب والويلات في حياتها المشحونة بالأحداث .

وتنتقل المرويات : عن جدها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وكيف انحنى على الوليدة ، حفيته الفالية ، يقبلها بقلب حزين وعينين دامعتين ، لأنه كان عالماً بتلك الأيام السوداء التي تنتظر الطفلة في المستقبل القريب .

ويقول أحد الكتاب : ^(١) « ترى إلى أي مدى كان حزنه عَيْنَكَ لِلشَّفَقَةِ حين رأى بظهر الغيب ، تلك المذبحة الشنعاء التي تنتظر سبطه الغالي !!

وكم اهتز قلبه الرقيق الحاني وهو يطالع في وجه الوليدة الحلوة ، صورة المصير الفاجع ؟

ويذكر المؤرخون أياضاً : أن سلمان الفارسي أقبل على « علي بن أبي طالب » يَهْنِثُهُ بِمَوْلَدِ الْطَّفْلَةِ الْجَدِيدَةِ يوم مولد الطفلة الجديدة ، فوجده واجماً قد ارتسم الحزن على جبينه ، ثم أخذ يتحدث بكل مرارة عما سوف تلقى ابنته من الفواجع في كربلاء

لقد أخبره الرسول عَيْنَكَ لِلشَّفَقَةِ : فبكى ولم يتمالك ...

أجل لقد بكى « علي » الفارس الشجاع ، والمقدام الهمام ، وخائض غمرات الحروب ، ولقب بأسد الإسلام المصور .

وتمر الأيام تطوي الليالي ... بالنممار ، والطفلة المباركة تنمو كالزنبقة العطرة ، مغمورة بالحنان والعطف والدلال تدب في رحاب البيت العلوي الشريف متنقلة كالفراشة من حضن جدها العظيم الى ذراعي أبيها الكريم لترجع وتلوذ بصدر والدتها الحنون .

وتنتقل الحوراء زينب في مدارج صباحها ، تحوطها رعاية الإم والسيدات

(١) الكاتب الهندي (محمد الحاج سالم) في كتابه سيدة زينب Sayyadah Zeinab .



الجملات من البيت الرفيع ، بيت النبوة والوحى والإلهام .

نشأت « زينب » ترافق أخويها « الحسن - والحسين » ريمحاني رسول الله ، فنمت أفضل نمو ... وأورقت أياما إبراق .

رضعت من ثدي الإيمان ... وتغذت بعصره الدين واقتبست المعرفة عن
جدها الرسول صاحب الرسالة المقدسة .

انتهت العلم والفهم من أبيها « علي » البحر الزاخر الذي تتلاطم أبوابه ،
سد الملغاء ... وأمير الميان .

ووجدت أمامها أعظم من أنجبيتهم الجزيرة ، من المسلمين والعلماء ، وصفوة الفقهاء ، والأبطال الكرام .

ترعرعت عليها السلام .. طاهرة السريرة ، عريقة الإيمان ، كريمة الخلق ، ذات عقل راجح وعقيدة ثابتة مع علم وأدب ، وفطنة وذكاء .. وصبر على البلاء وكافيل :

حاكيت شمس الضحى والبدر مكتمنا
أبا وأما وكان الفضل للخاكي
أبوك حيبة درة والأم فاطمة
والجند أحمد والسطان صنواك

المصاب الأليم ... والنبا العظيم :

استيقظت عقبة بني هاشم على النبأ المروع الذي اهتزت له أرجاء الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها ، ألا وهو موت جدها العظيم والرسول الكريم « محمد » صاحب الرسالة .



ارقاعت الطفلة عندما سمعت صراغ المفجوعين ، واستيقظت على عوبل الباكيات ، والباكين .

ثم هي ترى جدها الأعظم ، صامتا لا يتكلّم ، ساكنا لا يتحرك ، والدنيا من حوله في ضجيج وصخب وهياج ، وكأنما زلزالت الأرض أو اجتاحتها إعصار رهيب .

ارقاعت الحوراء زينب الطفلة الذكية وهي ترى هذه المشاهد المؤلمة وتترى جدها العزيز الجليل يحمل على آلة حدباء ويُرْحَل الرحلة المحتومة على كل إنسان من بني البشر .

كم روع قلبها الخالي هذا الموقف وهي تسمع لحن الموت الحزين وترى موكب الرحيل الآليم .

وتعمود الطفلة لتبيّن امهما الزهراء عليهما السلام حزينة القلب ، باكية العين ، فاقدة الصبر ، مصدعة الكيان ، كسيرة الفؤاد .

وتتوالى الأحداث والهموم والكوارث على البيت الملوى الشريف .

وتقدور الأيام ثقيلة حزينة والحوادث تتلو بعضها بعضاً ... والثوراء «زينب» وإن كانت صفيرة السن ولكنها سلام الله عليها كبيرة العقل ، راجحة الإدراك .

تفهم وتعي جميع ما يدور حولها من أحداث ... ومفاجآت ومؤامرات نفثت سمومها وكادت نيرانها تحرق البيت الذي ظهر به الله من الرجس ورفعه عالي الأركان بالدين مبيحلا بالعلمابن .

تأخذني الأفكار لأتمثل الحوراء «زينب» وهي طفلة لم تودع عامها السادس ، لتشهد موت جدها الرسول وتعي مشاهد الذهول والحزن والجزع ، من هذه المصيبة التي ألمت بال المسلمين ، تجر وراءها قافلة الهموم والأحداث والواقع .



فمن سقية بني ساعدة وكيف مثّلت أدوارها إلى احداث الخلافة وشحنهما ، إلى الميراث و « فدك » ثم تلاهذا كله الواقع ... والحروب الى جميع الأمور التي يتقطّر القلب لها حزناً وتمزقاً الأفكار جرعاً وتودع النفوس رعباً وتترك الحسرات والألم الدفين .

أجل أتمثل « زينب » في خضم المأساة المروعة تلوذ بأمها الزهراء فتجدها ذاهلة حزينة يغشى عليها من حين لآخر ، فتنعطف مذعورة لتحتمي بأبيها الإمام فتراء حزيناً كثيناً .

أي طائف من الحزن احتاج قلب الطفلة المدللة ؟

وأي خوف غامض غزا قلبهما الخلي وروع روحهما الساذجة البريئة ؟

عادت مع أخيها السبطين إلى البيت بيت أبيها أمير المؤمنين الذي تراكمت عليه الأحداث المفجعة ، وتوالت عليه المصائب المؤلمة فأحالت زهوه وضياءه إلى ليل موحس مظلم .

لزّمت « زينب » فراش أمها الثكلى ، التي اعتلت بعد وفاة أبيها النبي ... تنظر اليها بإشفاق ، بادية الملمة والخوف على حياة والدتها بضعة الرسول .

يحق للحوراء « زينب » إن فقد الأم جدير بأن يحرع الطفلة مراره الكأس.

لم يمض على وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ثلاثة أشهر أو ستة أشهر على أبعد الروايات ، حتى رحلت الزهراء عن هذه الدنيا الفانية .

وتمضي إلى جوار ربها راضية مرضية .. وتترك تلك الصبية التي روّعت بمساواة الموت مرتين ، وفي أعز الناس لديها وأحبابها إليها جدها ووالدتها .



دور الزهراء تمثله زينب (ع)

ما أروع الشبه بين الأم والبنت إذا أردنا المقارنة وخصوصاً في الصمود أمام الكوارث في المواقف الحرجية والظروف الصعبة حيث يتحكم العقل ، تأمر الإرادة ، ويعلي الدين .

بالأمس وقفت الزهراء عليهما السلام تنظر إلى موئب الموت وهو يحدو بعدها « أبي طالب » كفيل رسول الله ، وتلحقه امها « خديجة » الكبرى أم المؤمنين زوجة الرسول وساعدته القوي .

ويبقى رسول الله يهانى مرارة الوحشة والفارق واضطهاد قريش ينوء تحت أعباء الرسالة المقدسة .

وتتوالى الأيام وتذكر الأعوام ويعيد الماضي نفسه ، فتقف زينب بنت أمير المؤمنين كأنها الزهراء .

تمثل نفس الدور على مسرح الحياة ، وهي تعيش المأساة بكل مراتها عندما فقدت جدها وأمها في عام واحد .

أجل وقفت زينب تنظر بلوعة وأسى إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وهو يرتجح تحت كابوس من الحزن والألم ، بعد أن فقد عزيزين غالبين عليه محمد وفاطمة .



كان له الملاجأ والمفزع ، كما يكون المطر للزرع غيثاً وعطاءً .

افتقد « علي » صاحب الرسالة الذي كان له الأخ والعم والمعلم ، وبعدها تتبعه ابنته « الزهراء » الزوجة الوفية المخلصة . ويبقى وحيداً حزيناً قد تذكر له الجميع .

وليس بمستغرب أن تتحمل زينب مسؤولية الأم في بيت أبيها وتحتل مكانة عالية فقد انضجتها الأحداث ، وهياً لها لأن تشغل مكان الراحلة الكريمة فت تكون للحسن والحسين وبباقي أخوتها أم حنونا ، لا تموزها عاطفة الأمومة بكل ما تحتويه من إيثار وإن كانت صغيرة السن يعوزها الاختبار .

لقد حفظت وصيحة أمها ، وهي على فراش الموت (بأن تصحب أخوهما ، وترعاها وتكون أمها لها) .

تحملت السيدة زينب مسؤولية عظيمة وقامت بها خير قيام ، ولا عجب فهي ليس كباقي الفتيات ، تسرح مع لداتها ، وتفصي وقتها باللعب والسرور الذي يتطلبه عمرها الصغير .

كانت قريبة « زينب » عالية فهي فرع من تلك الدوحة المقدسة ، وكلما تقدم بها الزمن ، انضجتها الأحداث ، وعلمتها النواصب ككيف تستقبلها بقلب ثابت ملؤه البطولة والإيمان .

تقول الدكتورة بنت الشاطئ : « ولم تظفر صبية من لداتها فيها تحسب ، بمثل ما ظفرت به في تلك البيئة الرفيعة ، من قريبة عالية .

وكان هذا كل بحث يرضي « زينب » في صباها ، ويتيح لنا أن نراها مرحة مزهوة . ولكنها لا تكاد تشب عن الطوق حتى يقال أنها عرفت النبوة الأليمة .



وقيل انها كانت تتلو شيئاً من القرآن الكريم ، بسمع من ابيها ، فبذا لها ان تسأله ، عن تفسير الآيات ففعل ، ثم استطرد ، متأثراً بذكائها اللامع يلمح الى ما ينتظرها في مستقبل أيامها ، من دور ذي خطر .

ولشد ما كانت دهشته حين قالت له « زينب » في جدر صين : « اعرف ذلك يا ابي ... أخبرتني به امي ... كيما تهيني لغدي » .

ولم يجد الأب ما يقول ، فأطرق صامتاً وقلبه يخفق رحمة وحناناً .



الزواج المبارك

لكن الامام علي عليه السلام : لا يخدعه المال او متع الدنيا أليس هو القائل : « يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري » .

ولا بحاجة الى ذوي الجاه ، فهو ذو الشرف الرفيع الذي لا يحاري .
واما يريد الكفوء الكريم .

تقديم إلـيـه ابن أخـيه عـبدـالـلهـ بنـ جـعـفـرـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ ، وـعـبدـالـلهـ هوـ الفتـىـ
الـهاـشـمـيـ الـكـفـؤـ ... وـالـزـوـجـ المـختارـ .

أليس هو ابن جعفر الطيار ؟ ذو الجناحين ... وأبو المساكين وحبيب رسول الله ، وأمير المهاجرن الى الحبشة ??

تقول المرويات : انه صادف وصول جعفر من الحبشة الى المدينة يوم فتح خيبر . فاعتنق رسول الله ﷺ جعفراً وأخذ يقبله بين عينيه وهو يقول :

«لا أدرى بآيتها أنا أشد فرحاً، بقدوم جعفر أم فتح خير؟»^{١١}.

(١) *تاريخ الطبرى* - طبقات ابن سعد الكبيرى .



وفي موقعة (مؤتة) كان أمير القوم ، وقطعت يداه في تلك المعركة ، وأخيراً احتجن الرأبة وظل يقاتل حتى استشهد^(١) .

وكان النبي ﷺ لآل جعفر راعياً، وأباً، يرعاهم بعطفه، ويفيض عليهم بحنانه .

وفي رواية : ان رسول الله ﷺ قال في عبد الله بن جعفر : « وأما عبد الله في شبئه خلقي وخلقي » ثم أخذ بيدينه فقال :

« اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفة بيته - قال لها ثلاثة - وأنا ولهم في الدنيا والآخرة » .

كان عبد الله فتى في مقتبل شبابه ، قد لاحت شمائل سودده ، وتميزت مخايل شخصيته التي لفتت أنظار المؤرخين ، وتغنت بها الشعرااء ...

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

وما كنت إلا كالأغرِ ابن جعفر
رأى المال لا يبقى فأبلى له ذكرى

وقال الشهابي معقل بن ضرار :

إني يا ابن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارق إذا أتقى
ورُبُّ ضيفٍ طرق الحمى سُرى
صادف زاداً وحديثاً ما اشتمنى
وام عبد الله بن جعفر هي « أسماء بنت عميس » من المهاجرات إلى الحبشة ،

(١) السكامل في التاريخ لابن الأثير .



واحدى الأخوات المؤمنات اللواتي سماهن الرسول عندما قال : الأخوات المؤمنات هن : أسماء بنت عميس وميمونة أم المؤمنين ، وسلمى زوج حمزة بن عبد المطلب ، ولبابة زوج العباس بن عبد المطلب .

اقترن سلسلة دوحة الشرف عبد الله بن جعفر ، بمحفيدة الرسول (ص) عقبة الهاشميين « زينب » .

ضم عش الزوجية تحت جناحيه أنبل شخصين هما ...

عبد الله بن جعفر ببروئته ... ونبيله ... وكرمه ... وسماحة خلقه ... وسخائه ، حتى لقب « ببحر الجود - أو قطب السخاء » .

و « زينب » ابنة علي التي كانت تشبه امها الزهراء لطفاً ورقه ، وانوثه ، وتشبه أباها « علياً » علماً ، وتقى ، وفصاحة ، وبلاعة .

انتقلت « زينب » إلى بيت ابن عمها لتفويه فيه شموعاً تثير الدنبا من حولها ... وتنجب البنين والبنات .

وتقول أكثر المرويات : أن السيدة « زينب » مكثت في خدرها محجبة تقية ، عالمة ورعة ، كان لها مجلس حافل تقصدته جماعة من النساء اللواتي يردن التفقه في الدين .



بداية الاحداث

انتقلت الحوراء « زينب » الى بيت ابن عمها عبد الله بن جعفر ولكنها عليها السلام لم تتخيل عن تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقها من إدارة بيت أبيها والاهتمام بشؤون أخيها ، اولاً ... وآخرأ .. (وصيَّة أمها الزهراء) .

وشاءت الأقدار أن تعيش « زينب »، فصول الأحداث والمصاعب، فها كانت تطبق جفتها على مأساة أو حادثة لم يبال بيتها العلوي الطاهر، حتى تلوح لها حادثة جديدة، ومأساة أخرى، فتقف بكل شجاعة صامدة بقلبهما الكبير وصبر وإيمان على تقلبات الزمان رغم أنها امرأة.

وألف رجل لا يعادل امرأة مثل «زينب» حملت البطولة على كتفها تجسدها بأجل مظاهرها ، وتحمّل الكوارث ، وتتصمد للنوايب بأفضل ما يصدّ له الأبطال ، في معالم الحروب وساحات الوغى .

نراها واقفة ترافق خلافة أبيها أمير المؤمنين بعد أن خذله الناس فيما مضى ، رغم النص على خلافته من الرسول الأعظم ﷺ وكان ما كان ... من الأحداث .



فالإمام على سيسير بالناس على غير ما يشتمون وسيحملهم على جـادة الحق
(والحق مر) لا يرضاه القوم .

قبض عليه السلام على بيت المال ، والناس عنده سواء لا محل للعواطف ...
ولا مجال للأهواء ، أو الجاه ، أو القربي ...

ولا لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى .

وكانـت البداية المؤلمة ، إن أبا الحسن لا يعطي من دينه لدنياه ، ولا تأخذـه في
الله لومة لأنـم .

لم يوافق هذا العمل الكثـير من الناس ، أمـثال طلحـة والزبير وهمـا اللذان
نكـثـا بـيعة « علي » على أنها على معرفـة تـامة بالإمام وسـيرته ... وبـلـائـه .

وـكـانت الفتـنة الكـبـرى ، والنـكـسة العـظـمى التي اـبـتـلـى الإـسـلام بـهـا إـنـها وـقـعة
« الجـلـلـ » تلكـ التي جـرـت وراءـهـا الأـحـدـاثـ والـوـيـلـاتـ ، وـرـمـتـ المـسـلمـينـ
بـلـاءـ عـظـيمـ .

وـترـقـعـ رـاـيـةـ الـحـقـ « وـقـلـ جـاءـ الـحـقـ وـزـهـقـ الـبـاطـلـ إـنـ الـبـاطـلـ كـانـ
زـهـوقـاـ » (١) .

ويـرـجـعـ الـمـسـلـمـونـ بـالـنـدـامـةـ وـالـلـامـةـ ، وـقـلـوـبـهـمـ دـامـيـةـ عـلـىـ اـفـتـالـ الـمـسـلـمـينـ
وـتـمزـيقـ شـمـلـهـمـ .

ولـاستـ بـصـدـدـ إـعادـةـ حـوـادـثـ التـارـيخـ الـمـؤـلمـةـ ، فـالـخـدـيـثـ شـجـونـ ... فـهـنـاكـ
الـكـثـيرـ منـ النـاسـ مـنـ اـتـخـذـ الـإـسـلـامـ لـهـ ذـرـيـعـةـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ السـلـطـةـ أمـثالـ مـعـاوـيـةـ بـنـ

(١) سـورـةـ الـأـمـرـاءـ آـيـةـ ٨ـ١ـ .



أبي سفيان الذي لم تتعجبه نتيجة وقعة «الجمل» بل آلمه انتصار «علي».

أليس معاوية بن أبي سفيان سليمان البنت الاموي المعروف بعدها للبيت
الهاشمي من قديم الزمان .

المسئلة العناوة والبغضاء متصلة بتوارثها الأبناء عن الآباء ؟

ولقد صدق من قال :

عبدالشمس قد أضمرت لبني هاشم حرباً يشيب منها الوليد

فان حرب المصطفى، وان هند لعلی، ولحسین یزید

أجل لم يتمكن « معاوية » من كبح جماح أطهاعه التوسيعية ورأى بدهائه أن الفرصة مؤاتية لمحاربة « علي » إذن ليتخذ من مقتل الخليفة « عثمان » ذريعة للوقوف بوجه (الإمام الحق) .

لم يتوانى عميد بنى أمية عن اغتنام الفرصة ، فقام بالاتفاق مع عمرو بن العاص « الدهيبة الماكر » الذي باع دينه بدنياه كا هو معروف عند أكثر أهل التاریخ والسریر .

جاء في كتاب ظلال الوعي^(١). قال : إن الكثير من سلاطين المسلمين
ساروا على جادة الانصاف ، بخلاف معاوية الذي أفرغ وسعه وعمل جده في
صنع الخديعة حتى يسلب الحق من أهله ، وهذا يعرف من إرساله خلف عمرو بن
 العاص ، وقد كان عمرو انحرف عن عثمان ، لأنحرافه عنه وتوليه مصر غيره ،

(١) في ظلال الوعي : السيد علي فضل الله الحسني .



فلها اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعة علي ، كتب الى معاوية يهزه ويشير عليه بالطالبة بدم عثمان .

وكان فيها كتب به إليه :

« ما كنت صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه ؟ فاصنع ما أنت صانع » .

فبعث إليه معاوية : فسار إليه .

فقال له معاوية : بایعني ... قال : لا والله ، لا اعطيك من ديني حتى أفال من دنياك .

قال : سل ؟ قال : مصر طعمه .

فأجابه إلى ذلك ، وكتب له به كتاباً .

وقال عمرو بن العاص في ذلك : كارواه المسعودي في « مروج الذهب » .

معاوية لا اعطيك ديني ، ولم أنزل
به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع

فإن تعطني مصرًا ، فاربع بصفقة
أخذت بها شيئاً يضر وينفع

أجل لقد استغل معاوية وعمرو بن العاص « سذاجة الشاميين » فقد انطلت
الحيلة على أهل الشام ، الحيلة والماكر والخدية وهي « المطالبة بدم عثمان . »

ولو سأل أهل الشام أنفسهم : ترى لو لم يتبوأ « علي » منصب الخلافة ، أكان
معاوية سيحمله على دم عثمان ؟

كلا ... إنها خديعة ... وغايتها محاربة علي فقط .



وكان وقفه «صفين»، التي شتت أمر المسلمين، وفتكت بهم، ولم تزل
نيرانها تكوي جيابهم.

دارت رحى الحرب في «صفين» وأبطال المسلمين يخندل بعضهم بعضاً؛
وكان من قتل يوم ذاك الصحابي الجليل «عمار بن ياسر» الذي قال الرسول له:
يا عمار تقتلك الفتنة الباغية.

وعندما مني معاوية بالهزيمة. لجأ إلى الخديعة والمكر مرة ثانية، فاحتلال
«برفع المصاحف» حتى اضطر الإمام عليه السلام قبول التحكيم، رغم أنه
يعلم أنها خدعة، كما صرّح بذلك.

وانتهت المأساة، وقتل ما ينوف على مئة وعشرين ألفاً من المسلمين، وأدرك
زعيم بني أمية بعض ثأره من الماشيين.

تمر الأيام بـ «زینب»، وهي بالكونفـة «مقر الخلافة»، تراقب بعين ساهرة
أبيها الإمام وأخويها السبطين عليهم السلام فلا يغمض لها جفن، ولا يهدأ لها
بال، حتى تراثم.

وعلى توالي خمسة أعوام و «عقيلة الماشيين» تتالم وهي ترى الإمام عليه
السلام يخوض المعارك، وقد ذرف على الستين، وهو الذي حمل سيف الجهاد،
ولما يبلغ الحلم كاورد في خطبة الجهاد وعند قوله عليه السلام مخاطبها أصحابه:
«لله أبوهم؛ وهل أحد منهم أشد مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد

نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهو أنا قد ذرّفت على الستين، ولكن لا رأي
من لا يطاع»^(١).

(١) نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد.



العاصرة الهوجاء والأحداث المؤلمة

لا أريد أن القى بنفسي في غمار الأحداث التاريخية ، والتتحدث عن الواقع التي خاضها المسلمون ، لو أن السيدة « زينب » كانت بعيدة قابعة في مدينة جدها الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ، شأن غيرها من النساء لا تمثل إلا بشؤونها الخاصة .

ولكن عقيلة بني هاشم تختلف عن غيرها ، فهي دائمًا في صميم الدوامة التي تلف الدولة الإسلامية بالعاصرة الهوجاء .

نراها عليها السلام قد رحلت إلى الكوفة (مقر خلافة علي (ع) مع زوجها عبد الله بن جعفر ، الذي كان أميرًا من أمراء جيش صفين . ثم تعود إلى المدينة بعد مقتل الإمام علي – وصلح الحسن لترافق أخيهما الحسين عليهما السلام إلى العراق فتساهم في موقعة الطف وتكون « بطلة كربلاء » .

صحيح أن السيدة « زينب » لم تكون من حملة السيوف ، ولا نراها في ساحة الوغى حيث الضجة والدوي الذي يصم الآذان .

لكن نجدها هناك .. في ميدان السياسة وقد ظهرت على مسرح الأحداث ..
بطلة من الأبطال .

ان صلتها بالقادة والأبطال وثيقة ، ومكانتها من البيت الهاشمي رفيعة ،
ومواقفها شهيرة علاوة عن اصالة الرأي وسلامة التفكير .



ومن هنا أقدم عذري ، إذا تكلمت عن بعض المعارك بمحاجز لأنه لا مندودة من ذلك .

لقد شاءت الأقدار للسيدة زينب أن ترافق الأحداث فترى الأمر الذي كان مقررًا لأبيها ينتقل إلى « أبي بكر » ثم إلى « عمر » ثم إلى « عثمان » ثم إلى « علي » وتشتعل نار الفتنة التي لم تخبو حتى مدة طويلة من الزمن .

خمس سنوات قضتها السيدة زينب بالكوفة ترافق الإمام « علي » الذي لم يهدأ له بال ، ولم يستقر له قرار فمن وقعة « الجمل » إلى حرب « صفين » إلى محاربة الخوارج في « النهر والنهر » ، يخاطب في سبيل الرسالة المقدسة لعله يتمكن من هداية الناس إلى طريق الصواب ، وحملهم على المحجة البيضاء .. والصراط المستقيم .

يشاء القدر أن يحرع السيدة زينب مراة اليم ويروع قلبها الكبير ، بفقد الأب العظوف .

ففي اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك ، عام الأربعين للمigration ، توجه الإمام عليه السلام نحو المسجد بالكوفة للصلوة ، وأذان الفجر يشق عنان السماء ، ويتعالى في الأجواء .

وهناك في ناحية المسجد ، كمن عدو الله « ابن ملجم » الخارجي ليضرب الإمام بسيفه المسموم ، ويصرعه وهو ساجد في محرابه منقطع إلى خالقه .

وتتجلى حكمة الباري عز وجل .. ومشيئته حيث التشابه بولادة الإمام واستشهاده .



ولد الإمام علي عليه السلام « بالكعبة المشرفة » بيت الله الحكمة وقتل في مسجد الكوفة « بيت الله » .

تقف عقيلة الهاشميين وقلبها يتقطر اسى ولوعة ، حين ترى اباها الحبيب ، الإمام العظيم محمولاً على الأعناق .

جمعت عليها السلام كيانها المتداعي من هول الصدمة ، وتحامت على نفسها ، واكبت على أبيها تغسل جرحه بدموعها المنسابة .

ونراها واقفة تسمع أباها أمير المؤمنين ، وقد جمع اولاده وأوصاهم وصيته التي ذكرها التاريخ المملأة بالحكم والمواعظ الصادرة عن سيد البلفاء .

وصية الإمام علي بن أبي طالب (ع) :

ذكر الطبرى في تاريخه : لما حضرت علي بن أبي طالب الوفاة ، أوصى فكانت وصيته :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أوصى انه يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

ثم ان صلاتي ، ونفسكى ومحببى ومحبى الله رب العالمين ، لا شريك لـه ، وبذلك امرت وأنا من المسلمين :

ثم اوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .



واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول :
ان صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام) .

انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم ، يهون الله عليكم الحساب .

الله الله : في الأيتام فلا تغبتو أفواهم ولا يضيعن بحضرتكم .

والله الله : في جيرانكم فانهم وصية نبيكم (ص) ما زال يوصي به حق
ظننا انه سبورته .

والله الله : في الجهاد في سبيل الله باموالكم وانفسكم .

والله الله : في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب

والله الله : في ذمة نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم .

والله الله : في أصحاب نبيكم ، فإن رسول الله اوصى بهم .

والله الله : في الفقراء والمساكين فاشر كوهם في معايشكم .

والله الله : فيما ملكت ايمانكم .

الصلاحة : لا تخافن في الله اومة لائم يكفيكم من ارادكم ، وبغي
عليكم ، وقولوا للناس حسنا كما امركم الله ولا ترکوا الأمر بالمعروف والنهي
عن المنکر ، فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم وعليكم
بتواصل والتباذل وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق وتعاونوا على البر
والنحوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ان الله شديد العقاب .

حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم .

استودعكم الله ، واقرأ عليكم السلام ، ورحمة الله وبركاته .



ثم لم ينطق إلا بـلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه . وذلك في شهر رمضان سنة أربعين ، وغسله ابناء الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ^(١) .

سمعت زينب وصيحة أبيها ، ووعتها بكل جوارحها لتقوم بتنفيذها لأن سلسلة الأحداث لم تزل في البداية .

وعن محمد بن عمر قال :

ضرب علي عليه السلام ليلة الجمعة ، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد لاحدي عشرة ليلة بقين من شهر رمضان سنة أربعين للمigration ، وهو ابن ثلات وستين سنة ^(٢) .

وفي رواية ثانية : انه عليه السلام دعا الحسن والحسين فقال : اوصيكم بتقوى الله ، وألا تبغيان الدنيا وان بغتكم ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكمها وقولا الحق ، وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف ، واصنعا للآخرة ، وكوننا للظالم خصم ، وللمظلوم ناصر ، واعملوا بما في كتاب الله .

ولا تأخذوا في الله لومة لائم . ثم نظر إلى محمد بن الحنفية فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخيك ؟ قال نعم ، قال : فإني أوصيك بذلك ، وأوصيك بتوقير أخيك ، لعظم حقهما عليك فاتبع أمرهما ولا تقطع أمرآ دونهما .

ثم قال أوصيكما به فإنه شقيقكم ، وابن أبيكم وقد علمتما ان اباكم كان يحبه .

وقال للحسن : أوصيك أي بنى بتقوى الله ، وأقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء

(١) تاريخ الطبرى - ج - ٥ - ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) تاريخ الطبرى - ج - ٥ - ص - ١٥٣ .



عند ذلك نزل النساء من التل ، بعمد الحديد يضرن وجوه الرجال .

وقادت ام حبيب الناس قائلة : قبح الله رجلا يفر عن حليلته ... وقبح الله رجلا يفر عن كريمه .. فتراد المسلمين ، فزحف عمرو واصحابه حتى عادوا الى قريب موافقهم ^(١) .

بركة بنت شعلة ام ايمن :

هذه المهاجرة ، هي مولاة النبي «ص» ، وحاضنته ، وكانت من المهاجرات الأولى :

هاجرت المهرجتين الى ارض الحبشه - والى المدينة ، وقد شهدت أم اين
حنيناً ... واحداً ... وخيراً ... وكانت في أحد تسقى الماء^{٤٢}.

حمنة بنت جحش :

مهاجرة جليلة ، جاهدت مع رسول الله (ص) وشهدت أحداً ، فكانت تسقى العطاش .

^(٣) وقد اطعمها رسول الله (ص) في خبر ثلاثين وسقاً... مثل الرجل .

(١) الاستعمال لابن عبد البر - اعلام النساء اعمر رضا كحالة .

^{٤)} طبقات ابن سعد - تاريخ الطبرى .

^{٣)} طبقات ابن سعد - تاريخ الطبرى .



الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة إلا بظهور .
ولا تقبل صلاة ، من مانع زكاة ، وأوصيتك بغفر الذنب وكظم الغبظ ،
وصلة الرحم ، والحلم عند الجهل ، والتتفقه في الدين ، والثبت في الأمر ،
والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب
الفواحش ^(١) .

هذا بعض ما ذكره المؤرخون من وصية الإمام علي عليه السلام لأولاده أو
لولديه الحسن والحسين عليهما السلام .

ان أمير المؤمنين الإمام علي يعلم حق العلم ان الحسن والحسين هما سيدا
شباب أهل الجنة كما مر معنا مراراً عن لسان الرسول الاعظم صلوات الله علیه وآله وسلم وعلى هذا
فلا يعقل أن يصدر من سيدي شباب أهل الجنة أي ذنب يخل بالسيادة ولكن
امير المؤمنين اراد من هذه الوصية وأمثالها ارساء قواعد الدين ومكارم
الأخلاق للعالم اجمع وليس على طبقها الخلف بعد السلف ليس غير ذلك وان
ابناء علي عليه السلام كما قال فيهم الشاعر :

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم ايذ ذكروا

وفاة أمير المؤمنين عليه السلام :

جل جعل الخطيب ، ولبى الإمام عليه السلام نداء ربه ، فارتجمت الكوفة
لهذا النبأ المروع ، نبأ وفاة امام الهدى « علي بن ابي طالب » .

رحل الإمام إلى جوار ربه ، وترك زينب تندب أباها البطل الهمام ، باكية
متقطعة ، تتجرع الحسرات .

(١) تاريخ الطبرى - ج - ٥ - ص ١٤٧ .



وقفت عليها السلام تذرف العبرات بصمت كثيف ، فدورها لم يحن بعد ..
ينتظرها في كربلاء .

امسكت قلبها تعتصره في ذعر و هلع ، واصفت في وجوم إلى الضجة ،
وإلى صيحات الألم واللوعة ، المنبعثة من حناجر المؤمنين تعلن .. مات
أمير المؤمنين .

نرى عقبة بنى هاشم ترعى الإمام الحسن وقد وقف بين الجموع يقول :

ه لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه الآخرون بعمل . ولقد كان يجاهد مع رسول الله (ص) فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برأيته فيكتتفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح عليه ، وما خالف صفراه ولا بيضاء .. ثم خنقته العبرة فبكى ، وبكى الناس معه ^(١) .

وقال أبو الأسود الدؤلي :

فلا قرت عيون الشامتنا
بخير الناس طرأ اجمعينا
ورحلها ومن ركب السفيننا
ومن قرأ المثاني والميينا
رأيت البدر راع الناظرينا
بانك خيرها حسبما وديننا

الا ابلغ معاوية بن حرب
أفي شهر الصيام فجعتمونا
قتلتم خير من ركب المطابيا
ومن لبس النعال ومن حذاها
إذا استقبلت وجه أبي حسين
لقد علمت قريش حيث كاذه

(١) تاريخ الطبرى .



عقيلة بنى هاشم مع أخيها الامام الحسن (ع) :

رحل الامام امير المؤمنين الى جوار ربه مشيئاً بالحسرات وترك العقيلة
« زينب » تطوى احزانها بين اضلاعها وتحتسب عند الله كل ما تلقيه .

لكن سلسلة الاحداث لم تفرغ حلقاتها ، والاحزان لم تذته ، والبيت الهاشمي
لا تهدأ له زفة ولا تجف له دمعة .

لأن حقد الامويين متغلغل في الأعماق ، ونفوسهم المنطبعه على الكراهيـة
لآل بيت الرسول مشربة ، تتعين الفرص لأخذ الثأر من آل النبي المختار .

بويع الامام الحسن عليه السلام بالخلافة ، (وهو الخليفة الحق) والبيعة له
تؤثر على معاوية المشربة نفسه للخلافة .

« معاوية » الدهاهية يوازره عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وامثالهما من
طلاب الدنيا الذين شيمتهم الخداع والمكر والغدر .

يجيدون حبك المؤامرات ، ويشترون ضمائر الناس بالأموال تارة وبالوعود
والاماني طوراً .

والحسن عليه السلام : الامام المعصوم كأبيه علي لا يجيد عن الحق ، ولا
يسعه ان يشتري الناس بالأموال ، كما يفعل معاوية .

ان بيت المال المسلمين فلا يجوز ان يصرف منه شيء الا في سبيل مصلحة
الاسلام والمسلمين .



والناس عبيد الدنيا ، الا فئة قليلة هدأهم الباري الى طريق الرشاد يقول
الطبرى ^(٤) :

« بايع الناس الحسن بن علي عليه السلام بالخلافة ، ثم خرج الناس حتى
نزل المدائن ، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثنى عشر الفاً .

وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مسكن ، فبينما الحسن في المدائن ،
اذ نادى مناد في المعسكر : « الا ان قيس بن سعد قد قتل ، فانفروا ، فنفروا
ونهوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته .

تخدر الناس بحال معاوية ، فتخاذلوا عن الاعمال الحسن عليه السلام واضطر
إلى الصلح الذي عقده مع معاوية .

وبعدها رجع إلى مدينة جده الرسول ، بصحبة أخيه الإمام الحسين
واخته العاقلة زينب وزوجها عبد الله بن جعفر .

كل هذه المواقف والمشاهد ، عاشتها عقلية بني هاشم وفي قلبها الف غصة ،
وفي عينيها تترقرق الدمعة .

تتتابع تطورات الموقف بأهتمام ، وتحسب للمستقبل الف حساب وترى اخويها
السبطين بلهفة وشفقة .

معاوية يخشى الحسن ومهما خدر أعصاب الناس بالأموال فالحق دائمـ هو
الأعلى ، اذن لماذا لا يرتاح من هذا الخصم العظيم ؟

ووجد المخرج ، لقد دس السم للامام الحسن عليه السلام بواسطة زوجته

١ - تاريخ الطبرى - ج ٥ - ص ١٥٩ - حوادث سنة ٤٠ .



« جعدة بنت الاشعث » لعنها الله .

ارقاعت الحوراء زينب عندهما سمعت بخبر سم اخيها الحسن فوقفت ترمق السبط الکريم وهو يلفظ كبدہ قطعاً من شدة السم .

تجملت عليهما السلام ، وكتمت الحسرات ، واخفت الزفرات زينب البطلة لم تخلق للبكاء والتحبيب .

انها رمز الصمود ، الانسانية النبيلة ، المؤمنة الصابرة انها بنت علي ، ومن بني هاشم الذين « القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة » .

ولكن فراق الأحبة صعب ومرير .

شيع المسلمون ، الامام الحسن الى مثواه الأخير مصحوباً باللوحة والأسف .

ورجعت زينب الى البيت الحزين ، بعد ان وُسِدَ شقيقها الفالي في ملحودة قبره ، ورقد الفقييد الراحل الى جوار امه الزهراء « بالبقاء » عام ٤٩ هجرية وهو في الثامنة والأربعين من عمره كما جاء في مقاتل الطالبيين .

في خضم الاحداث :

لم تنته المصاعب ، والحوادث المؤلمة ، بموت الامام الحسن عليه السلام ، وما رافق دفنه من الحزازات والألام بل أخذت التيارات السياسية العاتية ، تلوح بالأفق ، وتتذرع بأساة لها خطراً الجسيم .

والسيدة زينب تعيش في دوامة التيارات بكل مأساتها وتقف الى جانب



أخيها الحسين القـائم بأمر الرسالة المقدسة ، التي انتقلت إليه ، بعد وفـاة أخيه
الحسن عليه السلام .

فوجىء المجتمع الاسلامي بهذا التدبير .

يزيد حفيد « هند » يتولى خلافة المسلمين ... يرثها من الأجداد ... كلمـا
مات هرقل قام هرقل ...

شَمِير زعيم بني أمية و معاوية عن ساعديه ليصرف الخلافة عن الحسين حفيد « خديجة » أم المؤمنين والمسلمة الأولى ، الطاهرة الزكية ... وسبط الرسول الأعظم (ص) .

ليجعلها في ولده بزيده حفيف « هند » آكلة الأكباد .

لكن معاوية فكر ودبر ، وعزم على أخذ البيعة ليزيد منها كان الثمن ...
لقد قرر تذليل جميع العقبات التي تعترضه ، ودفع بكل اساليبه الجهنمية الى
تمهيد السبيل .

وتحت وطأة الإرهاب قارة الرشوة وبذل المال والجحيله والدهاء قارة أخرى،
تمت المؤامرات ، وبابيع أهل الشام .

وكتب معاوية إلى عماله في الأنصار ، يأمرهم بأخذ البيعة بالخلافة لولي عهده زيد المتهتك .



ويأمرهم أيضاً باستعمال الشدة والعنف من لم يبايع أو لم يقبل الرشوة ثمن البيعة .

وتقول بعض المرويات : ان معاوية جلس ليأخذ البيعة ليزيد ، وعندما خطب الناس وعرفهم بما يريد ...

هناك كثُر اللغط ... وتعالت الهمسات بين الرفض والانكار ... أو السكوت على مضض .

عندما قام أحد المقربين من معاوية فقال : يا معاوية أنا لا نطيق السنة مضر ... وخطبها ؟! أنت أمير المؤمنين ، فان هلكت فان يزيد من بعده ، فمن أبي ... فهذا وسل سيفه .

ومعها كانت السبل الملتوية التي سلكها معاوية بن أبي سفيان في تحقيق مأربه ، واستعملها في بلوغ اطماعه ، فقد استطاع في النهاية ان يجعل من يزيد المستهتر حاكماً للمسلمين .

أجل لقد افرغ معاوية حقده ، ونال ابن أبي سفيان مأربه من بني هاشم ، وقاد في غيه غير مبالٍ لا وامر الباري سبحانه وسنة الرسول الأعظم (ص) . بعد مقتل (علي) نقض معاوية شروط الصلح التي عقدها وابرمها مع الإمام الحسن (ع) وأمر بسب « علي » بن أبي طالب (أخي رسول الله - وابن عمته - وزوج الزهراء - وأول القوم إسلاماً) على منابر المسلمين .

وقتل الكثير من الصالحة ، والمؤمنين البراءاء امثال « حجر بن عدي الكندي » واصحابه ، ثم بعد هذا دس السم للإمام الحسن (ع) .

واخيراً الحق زياد بن أبيه بابي سفيان ، مخالفًا حكم القرآن وسنة الرسول ، واجماع المسلمين على ذلك .



ولنستمع الى أحد هم يخاطب معاوية بعد الخاقه زياداً قال:

ألا أبلغ معاوية ابن حرب
مغلولة عن الرجل الياني
وترضى ان يقال ابوك زانى
أتفصب ان يقال ابوك عف؟

ولم يكفه كل هذا ! بل أخذني بدد اموال بيت المسلمين يهبها لأنصاره
وأعوانه ، امثال الماكرون الدهنية « عمرو بن العاص » وطريد رسول الله « مروان
ابن الحكم » والداعي الفاسق « زياد بن أبيه » .

ولم يخرج معاوية من الدنيا إلا بعد ان سلط ولده يزيداً على رقاب
المسلمين .



نذر المأساة

انكر أهالي مدينة الرسول ، وبقية الصحابة الاخيار والمؤمنون حكومة يزيد ، وامتنع الكثير من البيعة .

ارسل « يزيد » الى ابن عمده « الوليد بن عتبة بن أبي سفيان » والي المدينة ، يأمره ان يأخذ البيعة من الحسين بأي اسلوب كان ، او حيلة .
وذكر صاحب اعيان الشيعة : ^(١)

« فصار الحسين (ع) الى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم ، فنفع اليه الوليد معاوية ، فاسترجع الحسين (ع) ثم قرأ عليه كتاب يزيد ، وما امره فيه من اخذ البيعة منه ليزيد .

فلم يرد الحسين (ع) ان يصادره بالامتناع من البيعة ، واراد التخلص منه بوجه سلمي ، فورى عن مراده وقال :

« أنيراك لا تقنع بيبيعي سرآ حتى أباديه جهراً فيعرف ذلك الناس »
فقال له الوليد : أجل ، فقال الحسين (ع) تصبح وترى رأيك في ذلك .
فقال له الوليد : انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس .

فقال له مروان بن الحكم : والله لئن فارقك الحسين الساعية ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه ، ولكن احبس الرجل ، فلا يخرج من عندك حتى يبايع او تضرب عنقه .

(١) اعيان الشيعة - السيد محسن الامين - ج - ٤ - ص - ٧٣ -



فلم يسمع الحسين (ع) هذه المواجهة القاسية من مروان صارحها حينئذ بالامتناع من البيعة ، وانه لا يمكن ان يباعع ليزيد أبداً .

وَثَبَ الْحُسَيْنُ (ع) عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ لِمَرْوَانَ : وَيَلِي عَلَيْكَ يَا ابْنَ الزَّقَاءِ . . .
أَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِ عَنْقِي ؟ ! كَذَبْتَ وَاللهُ وَلَؤْمَتَ . . .

ثم أقبل على الوليد فقال : إيهما الامير إنما أهل بيته النبوة ، ومعدن الرسالة ،
و مختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم . . .

ويزيد فاسق ، وشارب الخمر ، قاتل للنفس المحرمة ، معان بالفسق . ومثلي لا يباع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون وتنظر وتنظرون اينما احق بالخلافة والسبعة .

ثم خرج عليه السلام يتهادى بين مواليه ، وهو يتمثل بقول يزيد بن المقرع :

لادعـرـت السـوـامـ في غـسـقـ الصـبـ

فَقَرِيرًا وَلَا دَعْمَتْ بَزِيدًا

يوم اعطي خفافه الموت ضيما

والمانيا برصداني ان احمد

رجم الحسين (ع) الى منزله ، فوجد شقيقته « زينب » ساهرة قلقة تنتظر عودته ، لتعرف منه موقفه مع الوليد ، وإن كانت عليها السلام تعلم حق العلم أن الحسين لا يلين ، نفس أبيه بين جنبيه ، لا يعطي بيده اعطاء الذليل ، ولا يقر لأحد أقرار العبيد .

وصل الامام الحسين الى البيت فتلقته اخته الحوراء « زينب » متلمفة ، وكانت جلسة طويلة ، اطلعها على كل شيء ، وصار حمـا بعزمـه على المسير الى العراق ،



واعرب لها عن قراره الاخير وقد اختارها لتصبحه وتحمل المسؤولية الجسيمة التي تنتظرها في غدها المظلم .

و كانت العقبة زينب في وسط هذه العاصفة الهوجاء ، تقف على مسرح الاحداث صامدة بقلب ابیها « علي » ، و معنويات امها « الزهراء » و صبر اخیها « الحسن » و بطولة و شجاعة سد الشداء « الحسین ».

وارثاع بنو هاشم لقرار الحسين المفاجئ ، وعزمه الاكيد على المسير الى العراق . فاجتمعوا اليه يطلبون منه البقاء في حرم جده الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم ، والعدول عن السفر الى الكوفة مع نسائه واطفاله وجميع اهل بيته .

وخطبـه في ذلك « محمد بن الحنفية » وعبد الله بن عباس - وعبد الله بن جعفر -
وعبد الله بن مطـيع - وعبد الله بن عمر . . . وغيرهم لكن الحسين (ع) قد
عزم ولا يرده عن عزمه شيء ، وقرر فـلا يعدلـه عن قرارـه أحد . لقد قال :
« ما قضـى كـائن لا محـالة »

وردد قول الشاعر :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
اذا ما نوى خيراً وجاحد مسلما

وواسى رجـاً صـالـحـين بـنـفـسـه
وـخـالـفـ مـشـبـورـاً وـفـارـقـ مجرـما

فان عشت لم اندم وان مت لم ألم
كفى بك ذلاً ان تعيش وترغما

ومضت قافلة الحسين عليه السلام في طريقها الى العراق ، تاركة وراءها



قلوبًا ملتاعة ونفوساً متحسّرة وأولئك الذين أشاروا عليه بالبقاء في الحجاز
يأسفون والآسى يعتصر قلوبهم ، خوفاً عليه من المصير المحتوم على أيدي الطغاة.

وجد السير وكانت العقبيلة زينب مع النساء تلتفت من حين لآخر تلقي
نظرة على ربوع الأهل والاحباب ولسان حالها يقول :

وتلتفت عيني فمذ خفيت
تلوك الطلول تلفت القلب

ثم أخذتها الذكريات ورجعت بها إلى الماضي لقد هاجرت إلى العراق أول
مرة يوم كان والدها أمير المؤمنين خليفة المسلمين حيث جعل من الكوفة
مقرًا للدار الخلافة .

هاجرت إلى العراق مع والدها العظيم الذي كان يملأ عليها دنياهـ .

وها هي تسير إلى العراق مرة ثانية ولكن شتان بين الامس واليوم .

لقد مرّت الأعوام التي زادت على العشرين مثقلة كثيبة مشحونة بالصاعب
والآلام فقدت فيها والدها العظيم واخاهـ الحسنـ الإمام الشفوق وقدت
بفقدـها المرح والعيش الهنيء .

وتـسـيل الدـمـوعـ منـ مـقـلـتـيهـ غـزـيرـةـ وهـيـ تـلـقـيـ نـظـرـةـ مـلـؤـهـ الـعـطـفـ وـالـخـنـانـ
عـلـىـ هـذـاـ الرـكـبـ الـعـظـيمـ الـذـيـ يـلـغـهـ اللـيـلـ بـسـكـونـهـ .

هـؤـلـاءـ اـحـبـابـهـ . . .ـ اـخـوـهـ اـلـامـ . . .ـ وـبـنـوـ اـخـيـهـ . . .ـ
وـبـنـوـ عـمـهـ . . .ـ زـهـرـةـ شـبـابـ بـنـيـ هـاشـمـ الصـفـوةـ مـنـ آـلـ الرـسـوـلـ الـكـرـامـ .



السيدة زينب في يوم الطف

وصل الركب الى العراق ، وحط رحاله في كربلاء ، وقف الحسين عليه السلام : يسأل . ما اسم هذه الارض ؟ فقيل له نينوى ... قال : هل لها اسم آخر ؟ قيل له : الغاضرية ... قال : او لها اسم غير ذلك ؟ قيل له : كربلاء... فقال : ارض كرب وبلاه هنا محط رحالنا ... ومقتل رجالنا .

نزل الامام عليه السلام وضرب فسطاطه ، ونصب اصحابه الخيام ..
وكان في الجهة الثانية جيش عمر بن سعد عليه لعنة الله .

وهنا يظهر التفاوت بين الجيشين !!!

الامام الحسين بن علي (ع) ، مع آل الرسول الاطمار واصحابه العلامة البرار .

وعمر بن سعد لعنة الله عليه مع رعاع أهل الكوفة وطلاب المال .

جيم الحسين اصحابه وقال لهم : ^(٢) .

« أما بعد فاني لا أعلم اصحابا اوفي ولا أخير من اصحابي « ولا أهل بيت ابر ولا اوصل ، من اهل بيتي » فجزاكم الله جميماً عن خيراً الا واني لا ظن

١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير . ج - ٣ - ص ٢٨٥ .



يولمنا من هؤلاء الاعداء غداً ، واني قد اذنت لكم جميعاً ، فانطلقوا في حل
ليس عليكم من ذمام ، هذا الليل قد غشىكم ، فاتخذوه جملأ ، ولیأخذ كل
رجل منكم بيد رجل من أهل بيته فجزاكم الله جميعاً ، ثم تفرقوا في البلاد في
سودكم ومدانةكم حتى يفرج الله فان القوم يطلبونني ، ولو اصابوني لھوا عن
طالب غيري .

فقال له أخوه وأبناؤه ، وابناء أخوته ، وابناء عبدالله بن جعفر :

لِمَ نَفْعَلُ هَذَا؟

لنبقى بعده !! لا ارانا الله ذلك ابداً .

فقال الحسين : يابني عقيل ، حسبكم من القتيل بسلم ، اذهبوا فقد
ذلت لكم .

قالوا : وما نقول للناس ؟؟

نقول : تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الاعمام ، ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن معهم برمج ، ولم نضرب بسيف ولا ندرى ما صنعوا .

لا والله ... لا نفعل ، ولكننا ننديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونقاتل
معك حتى نرد موردك . فقبح الله العيش بعدهك .

وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال :

انحن فتخلى عنك ؟ ولم نعذر الى الله في اداء حقك ، اما والله لا افارقك ،
حتى اكسر في صدورهم رحبي ، واضربهم بسيفي ، ما ثبت قائمه بيدي ، والله
لولم يكن معى سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى اموت معك .

وتكلم اصحابه بنحو ذلك فجزاهم الله خيراً.

وسمعته اخته زينب تلك العشة ، وهو في خباء له يقول وعنده مولى ابي



ذر الغفاري يعالج سيفه :

يا دهر اف لك من خليل كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب او طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبدائل
وانما الأمر الى الجليل وكل حي سالك السبيل

فاعادها مرتين او ثلاثة ، فلما سمعته لم تملئ نفسها ان وثبتت تجر ثوبها حتى
انتهت اليه ونادت : واثكلاء ، ليت الموت اعدمني الحياة . اليوم ماتت فاطمة
أمي ، وعلى أبي وحسن أخي ، يا خليفة الماضي ، ونهاي الباقي .

فذهب اليها وقال : يا اخية : لا يذهبن حلمك الشيطان . قالت : بابي انت
وامي ... استقتلت ؟ نفسى لنفسك الغداه فردد غمه ، وترقرقت عيناه ثم
قال : (لو ترك القطا ليلا لفاف ونام) .

عندما لطمت وجهها وشقت جيئها ، وخرت مغشياً عليها . فقام اليها
الحسين ، فصب الماء على وجهها ، وقال : اتقي الله يا اختاه ، وتعزى بعزاء الله ،
واعلمي ان أهل الارض يموتون ، واهل السماء لا يبقون ، وان كل شيء هالك
إلا وجه الله .

ابي خير مني ... وامي خير مني ... واحي خير مني ، ولي وهم ولكل
مسلم برسول الله اسوة .

فعزاحتها بهذا العزاء ونحوه ، ثم قال لها .

يا اخية اني اقسم عليك (فابری قسمی) لا تشقي عليّ جيئا ، ولا تخمشي
عليّ وجها ، ولا تدعني عليّ بالويل والثبور ان انا هلكت .

ثم خرج الى اصحابه ، فلما امسوا قضوا الليل كله يصلّون ويستغفرون ،



وبتضرعون ، ويدعون .

سمة العبيد من الخشوع عليهم
الله إن ضمthem الاسحار

فإذا ترجلت الضحى شهدت لهم
بيض القواصب انهم احرار

وقف الحسين (ع) ونادى بأعلى صوته : « يا عمرو بن سعد ، ويا أصحابه ،
تبأ لكم أيتها الجماعة وترحا ، يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ،
ونفثة الشيطان وعصبة الآثم ، ومحرف الكتاب ، ومصطفى السنن ، وقتلة
الأنبياء ... الخ في كلام يضيق المجال عن ذكره .

ثم قال (ع) : إلا واني زاحف بهذه الأسرة ، مع قلة العدد وكثرة العدو ،
وخذلان الناصر .

ثم وصل (ع) كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي فقال :

فان هزم فهزامون	قدما
وان نغلب فغير مغلبينا	
وما ان طبنا جبن	ولكن
منيانا ودولة آخرينا	
فأفسى ذلكم سروات قومي	
كما افني القرون الأولىنا	
ولو بقي الكرام اذن خلتنا	
فقل للشامتين بنا افيقوا	
سيلقى الشامتون كما لقيانا	

زينب في خضم المعركة :

عقيلة بنى هاشم وحدها دون النساء والبنات تدور من خباء الى خباء ،
فتتفقد العليل ثارة والصفير اخرى .



يتعلقن بها بين صبي يشن من العطش، وواهله أذهلها المصايب، وطفولة مذعورة خائفة تطلب الأمان ، وأخرى تندش الماء .

حرائر بيت العصمة ، وودائع الرسالة ، اللوالي لا يعرفن إلا سجف العز والبغد والسؤدد ... ورداء الجلال والدلال . حائرات ذاهلات .

وزينب واقفة بوسط هذا الخضم الهائج ، حائرة قلقة تراقب المعركة التي دارت رحاها في جهنون لا مثيل له ... ومنجل الموت يقصد في أحبابها ، ببني هاشم الصفة الأبرار ...

يقول السيد المقرم « أما عقيلةبني هاشم زينب الكبرى » فإنها تبصر هذا وذاك ، فتبعد عروة الدين الوثقى عرضة للانفصام وحبل النبوة آيلاً إلى الانصرام ، ومنار الشريعة إلى الخنود ، وشجرة الإمامة إلى الذبول^(١) .

تنعي ليوث البأس من فتيانها
وغيونها إن عمّت البأساء
تبكيهم بدم فقل بالمبحة الحرا
تسيل العبرة الحمراء
حتٍ ولكن الحنين بكأ وقد
ناحت ، ولكن نوحها أيام^(٢)

وبعد مقتل الحسين (ع) حملت النساء اسرى على الأقتاتاب ، وبلغت ٣٤٣
القسوة والجفاء ، فمروا بهن على جثث القتلى زيادة في التنكيل .

(١) مقتل الحسين عليه السلام : عبد الرزاق المقرم - ص - ٣٣٨ .

(٢) الآيات من قصيدة للشيخ كاشف الغطاء .



وَمَا حَالَ أَمْ الْمَصَابِ زَيْلَبْ ؟ عَنْدَمَا رَأَتْ هَذَا الْمَشْهُدَ الْفَظِيعَ ..
بِكُلِّ صَبْرٍ وَتَجَلِّدٍ وَإِيمَانٍ ، رَفَعَتْ كُلَّتَا يَدِيهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ : « اللَّهُمَّ تَقْبِلْ مَا هَذَا الْقَرْبَانِ » .

وَجَاءَ فِي كِتَابِ مَقْتَلِ الْحَسَينِ (ع) عَنْ أَمَّالِي الصَّدُوقِ^(١) :

« رُوِيَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْحَسَنَ (ع) دَخَلَ عَلَى أَخِيهِ الْحَسَنِ (ع) فِي مَرْضِهِ الَّذِي اسْتَشْهَدَ فِيهِ فَلَمَّا رَأَى مَا بَهِ بَكَى ، فَقَالَ لِهِ الْحَسَنُ : مَا يَبْكِيكَ يَا أَبا عَبْدِ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَبْكَى لِمَا صَنَعْتَ بِكَ ... »

قَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ الَّذِي أُوتِيَ إِلَيْيَ سُمُّ اقْتَلَ بِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَوْمَ كَيْوَمَكَ يَا أَبا عَبْدِ اللَّهِ . وَقَدْ ازْدَلَفَ إِلَيْكَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا يَدْعَوْنَ أَنَّهُمْ مِنْ أَمَّةِ جَدِّنَا مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَنْتَهُونَ دِينَ الإِسْلَامِ ، فَيَجْتَمِعُونَ عَلَى قَتْلِكَ ، وَسُفْكِ دَمِكَ ، وَانتِهَاكِ حِرْمَتِكَ ، وَسُبِّ ذَرَارِيِّكَ وَنَسَائِكَ وَأَنْتَهَابِ ثَقْلِكَ .

فَعِنْدَهَا تَحْلِ بَنْيَ امِّيَّةِ الْلَّعْنَةِ ، وَتَمْطَرُ السَّهَاءُ دَمًا وَرَمَادًا ، وَيَبْكِي عَلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْوَحْوَشُ فِي الْفَلَوَاتِ ، وَالْحَيْثَانُ فِي الْبَحَارِ .

وَرَحْمُ اللَّهِ السَّيِّدُ حَيْدَرُ الْحَلَّيِ حِيثُ يَقُولُ :

حَشَدْتَ كَتَائِبَهَا عَلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ بِالْطَّفْ حِيثُ تَذَكَّرْتَ آبَاهَا
اللهُ أَكْبَرْ يَا رَوَاسِيَ هَذِهِ الْأَرْضُ الْبَسيطَةُ زَايِلِي ارْجَاهَا
يَلْقَى ابْنَ مُنْتَجِعِ الْصَّلَاحِ كَتَائِبَاً عَقْدَ ابْنَ مُنْتَجِعِ السَّفَاحِ لَوَاهَا
مَا كَانَ أَوْقَحَهَا صَبِيَّحَةَ قَابِلَتْ بِالْبَيْضِ وَجَبَّهَتْهُ تَرِيقَ دَمَاهَا

(١) مَقْتَلُ الْحَسَينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدُ الرَّزَاقِ الْمَقْرَمِ .



من أين تخجل أوجه أموية سكبت بلذات الفجور حياءها
قهرت بنى الزهراء في سلطانها واستأصلت بصفاهم امراءها
ملكت عليهما الأمر حتى حرمت
في الأرض مطرح جنباً وثوابها
ضاقت بها الدنيا فحيث توجمت
رأت الحنوف أمامها ووراءها
إلى أن يقول :

وقلوب أبناء النبي تفطرت عطشاً بقفر أرمضت أشلاءها
هتك الطغاة على بنات محمد حجب النبوة خدرها وخباءها
فتنتازعت أحشاءها حرق الجوى
وتجاذبت أيدي العدو رداءها
ما كان أوجعها لمحة (أحمد) وأمض في كبد (البيولة) داءها

عقيلة بني هاشم بالковة :

سار موكب الاسرى يبحث السير نحو الكوفة، وكان أبغض موكب، وأفظع حدث شهدته التاريخ .

رؤوس الصفة الأطهار من بنى هاشم ، يتبعهم النساء المفجوعات والأيامى
والأيتام ...

وصل الموكب الكوفة، وسط الجموع المحتشدة لمشاهدة اساري بيت الرسول



العظيم في طريقهم إلى عبيد الله بن زياد .

صاحت نساء الكوفة باكيات على حال حرائر الرسول الذليلات .
لكن زينب ابنة علي مثال الإباء صاحت بهم زاجرة ثم قالت : كما ذكر
الرواية ^(١) .

« أما بعد يا أهل الكوفة ، أتباكون؟ فلا سكنت العبرة ولا هدأت الرنة ..
إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تخدون أيهانكم دخلاً
بينكم ألا ساء ما تزرون . »

أي والله فابكونوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبت بعاراتها وشنارها ،
فلن ترخصوها بفضل ابداً . وكيف ترخصون قتل سبط خاتم النبوة ، ومعدن
الرسالة ، ومدار حجتكم ومنار محجتكم ، وهو سيد شباب أهل الجنة؟ ..
لقد أتيتم بها خرقاً شوهاء .. !

أتعجبون لو أمطرت السهام دماً؟! ألا ساء ما سولت لكم أنفسكم أن
سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون .

أتدرون أي كبد فريتم ، وأي دم سفكتم ، وأي كريمة أبرزتم؟!
لقد جئتم شيئاً إداً ، تقاد السموات يتقطرون منه ، وتنشق الأرض وتخر
الجبال هداً .

وصل الموكب الرهيب إلى دار الإمارة ، فأمسكت « زينب » قلبها المتصدع
وهي ترى الداعي « عبيد الله بن زياد » جالساً حيث كان أبوها الإمام « علي »

(١) ذكر هذه الخطبة أكثر الرواية : منهم الشيخ الطوسي في امالله - وابن شهرashوب ،
واحتاج الطبرسي ، ومقتل الحسين .



وأخوها الإمام « الحسن » (ع) أكثر من عشرين سنة في الكوفة .

ذكر الطبرى فى تاريخه قال : (١) « فلما دخل برأس الحسين وصبيانه ، وأخواته ، ونسائه ، على عبيد الله بن زياد ، لبست « زينب » ابنة فاطمة أرذل ثيابها ، وتذكرت وحفت بها أماؤها .

فلما دخلت جلست فقال عبيد الله بن زياد : من هذه الجالسة ؟ فلم تكلمه .
قال ذلك ثلاثة ، وكل ذلك لا تكلمه . فقال بعض امامها : هذه زينب ابنة فاطمة .

فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذى فضحككم ، وقتلكم ، وأكذب احدو شتكم .
فقالت : الحمد لله الذى أكرمنا بـ محمد ﷺ وظهرنا تطهيرًا لا كاتقول أنت :
إنما يفتح الفاسق ، ويكتذب الفاجر .

قال : فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك ؟ قالت : كتب عليهم القتل ،
فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجتمع الله بينك وبينهم فتحاجزون إليه ،
وتخاصمون عنده .

قال : فغضب ابن زياد واستشاط ، قال : فقال له عمرو بن حرث : أصلح الله الامير إنما هي امرأة ، وهل تؤخذ المرأة بشيء من منطقها ! إنها لا تؤخذ
بقول ، ولا تلام على خطل ، فقال لها ابن زياد : قد أشفى الله نفسي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ، قال : فبككت ثم قالت . لعمري لقد
قتلت كهلي ، وأبرت أهلي ، وقطعت فرعبي ، واجتنشت أصلي ، فإن يشفك هذه
فقد أشتفيت ، فقال لها عبيد الله :

(١) تاريخ الطبرى : ج - ٥ - ص - ٤٥٧ .



هذه شجاعة ، لقد لعمري كان أبوك شاعرًا شجاعاً .

قالت : ما للمرأة والشجاعة إن لي عن الشجاعة لشغلاً .. .

ثم التفت ابن زياد عليه لعنة الله فرأى علي بن الحسين عليهما السلام وكان مريضاً قد أنهكته العلة فأراد قتله، عندها تعلقت به عمتها زينب سلام الله عليها، وقالت له : يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفك ، فإذا أردت قتله فاقتلي دونه ، فقال : عجبت للرحم ودت لو أنها تقتل دونه .

وهكذا دافعت بطلة بنى هاشم عن سليل النبوة بمنطقها البلية ، وشجاعتها وإقدامها على المخاطر ، وجرأتها العظيمة التي ورثتها عن جدها وأبيها وأمها وأخيها ، فكان الله معها في كل مكان حللت به ، وصارت إليه .

زينب عقيلة بنى هاشم في الشام :

خرج موكب الاسارى من الكوفة ، بقيادة شمر بن ذي الجوشن عليه لعائض الله ، يهدى السير نحو الشام عاصمة بنى امية ، مقر الطاغية يزيد لعنه الله . ولما أشرف الركب على الشام ترند يزيد في مقصورته طرباً فقال :

لما بدت تلك المهلول وأشرقت تلك الرؤوس على شفاجiron
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من الرسول ديوني
وأدخلت الرؤوس والسبايا ، على يزيد وهو في مجلسه يحف به أعوازه
ورجال بلاطه .

ووضع رأس الحسين الشريف (ع) بين يدي يزيد لعنه الله فالتفت إلى أصحابه وقال لهم : هذا وإيانا كما قال الحسين بن الحرام :



أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت
قواضب في أيامنا تقطر الدما
يفلقن هاما من رجال أعزه
عليهـا وهم كانوا أعق وأظلمـا

تقول المرويات : « نظر رجل شامي الى فاطمة بنت علي^(١) فطلب من يزيد
أن يهبها له لخدمته ، ففزعـت ابنة أمير المؤمنين وتعلقت باختهـا العـقـيلة زينـب
وـقالـت لها : كيف أخدم ؟

قالـت زـينـب : لا عـلـيكـ إـنـهـ لـنـ يـكـوـنـ هـذـاـ اـبـداـ .

فـقاـلـ يـزـيدـ : لو أـرـدـتـ لـفـعـلـتـ ...

فـقاـلتـ لـهـ : إـلاـ أـنـ تـخـرـجـ عـنـ دـيـنـنـاـ ، فـرـدـ عـلـيـهـاـ بـتـهـكـمـ :
إـنـاـ خـرـجـ عـنـ دـيـنـ أـبـوكـ وـأـخـوكـ ...

قاـلتـ زـينـبـ : بـدـيـنـ اللهـ وـدـيـنـ جـدـيـ وـأـبـيـ وـأـخـيـ اـهـتـدـيـتـ أـنـتـ وـأـبـوكـ إـنـ
كـنـتـ مـسـلـماـ

قاـلـ : كـذـبـتـ يـاـ عـدـوـةـ اللهـ !

فـرـقـتـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ وـقاـلتـ : أـنـتـ أـمـيرـ مـسـلـطـ ، تـشـتـمـ ظـالـماـ وـتـقـهرـ
بـسـلـطـانـكـ ،^(٢) .

لـقـدـ توـقـعـتـ النـاسـ يـوـمـئـىـ ، أـنـ تـخـنـيـ الـكـارـثـةـ الـمـؤـلـمـةـ جـبـهـةـ زـينـبـ سـلـامـ اللهـ
عـلـيـهـاـ وـتـصـدـعـ أـرـكـانـهـاـ . وـتـنـقـادـ لـعـاطـفـتـهـاـ فـتـطـأـطـىـءـ رـأـسـهـاـ .

(١) وفي بعض الروايات ... أنها فاطمة بنت الحسين (ع) وليس فاطمة بنت علي ...

(٢) مقتل الحسين - للسيد عبدالرازاق المقرم - تاريخ الطبرى - تاريخ ابن الأثير .



ولكنها حفيدة الرسول ... وابنة علي ... وسليلة بيت المجد والكرامة
والإباء والأنفة فلا مجال للعاطفة ، والانكسار والذل .

إنها البطلة الصامدة ، والمؤمنة الصابرة ، لم تخلق للنباحة ، ولم تنهي
للبكاء والعويل .

إنها تحمل وصية امها الزهراء ، وأخيها الحسين سيد الشهداء ، فهي صاحبة
رسالة ، يجب عليها أن تتعامل في سبيلها المتاعب والمصاعب .

وعن ابن طيفور في بلاغات النساء قال :

« لَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَىٰ عَلَيْهَا السَّلَامُ الَّذِي كَانَ ،
وَانْصَرَفَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لِعَنِ اللَّهِ بِالنِّسْوَةِ ، وَالبَقِيَّةِ مِنْ أَلَّا مُحَمَّدٌ (ص) وَوَجْهَنَّمَ إِلَى
ابْنِ زِيَادٍ لِعَنِ اللَّهِ فَوَجَهَنَّمَ هَذَا إِلَى يَزِيدَ لِعَنِ اللَّهِ وَغَضَبَ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدِيهِ ، أَمْرَ بِرَأْسِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَبْرَزَ فِي طَسْتٍ ، فَجَعَلَ
نَكْثَ ثَنَيَاهُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا غَرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقْلَ إِنَّمَا تَذَكَّرْ شَيْئًا قَدْ حَصَلَ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بَبَدَرْ شَهَدُوا جَزْعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ
حِينَ حَكَتْ بِقَبَاءِ بَرَكَهَا وَاسْتَمَرَ القَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَشْلِ
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرْحَهَا ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدًا لَا تَشَلَّ
فَجَزَيْنَاهُمْ بَبَدَرْ مَثَاهَا وَأَقْنَا مَيْلَ بَدَرْ فَاعْتَدَلَ
لَسْتَ مِنْ خَنْدَفَ إِنْ لَمْ أَنْتَ قَمْ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلَ (١)

(١) بلاغات النساء - لابن طيفور .



خطبة السيدة زينب (ع) في مجلس يزيد في الشام :

يذكر المؤرخون وجميع أهل السير أن السيدة زينب وقفت في مجلس يزيد والإباء والأنفة يلآن نفسها ، ثم توجهت (ع) إليه تسمعه من التقرير والتوبيخ بل تعدت للتهديد والتنديد غير هيبة ولا وجلة ، مستصغرة قدره وسلطانه ، ومستعظمة ومستنكرة ل فعلته النكراء وجريمته الشنعاء .

قالت عليها السلام :^(١)

« صدق الله ورسوله يا يزيد - « ثم كان عاقبة الذين أساوا السوأى ^(٢) أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن » ^(٣) .

أظنتني يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض ، وأكتاف السماء ، فأصبحنا نساق كأساق الأسرى ، إن بنا على الله هوانا ، وبك عليه كرامة .

وان هذا العظيم خطرك ! فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك جذلاناً فرحاً حين رأيت الدنيا مستوسة لك ، والأمور متسبة عليك ، وقد امهلت ونفست ، وهو قول الله تبارك وتعالى :

« ولا يحسن الدين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إنما و لهم عذاب مهين » .

أمن العدل يا ابن الطلاقاء تخذيرك نسائك وإمائتك ؟ وسوقك بنات رسول الله عليه السلام ؟ وقد هتك ستورهن وأصلحت أصواتهن ، مكتبات تجوري بهن الأباعر ،

(١) عن بلالات النساء لابن طيفور .

(٢) السوأى : تأبى - او مصدر وصف به - تفسير القرآن للسيد عبدالله شبر .

(٣) سورة الروم - آية - ١٠ .



ويحذو بهن الاعادي من بلد الى بلد ، لا يراقبن ولا يؤوبين ، يتشفون القريب والبعيد ، ليس معهن ولی من رجالهن ! وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر الينا بالشنق والشنان والاحن والاضغان . . . ؟

أتقول «ليت أشيائي ببدر شدوا» ؟ اغير متأثم ولا مستعظم وانت تنكث ثنايا أبي عبد الله بخصرتك !!

ولم لا تكون كذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشafeة ، باهراقك دماء ذرية رسول الله ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، ولتردن على آله وشيكًا موردهم ، ولتودن انك عميٰت وبكمت وانك لم تقل : «فاهلوا واستهلوا فرحاً»

... اللهم خذلنا بحقنا وانتقم لنا من ظلمنا .. ثم قالت :

والله ما فربت إلا في جلدك ، ولا حزرت إلا في حنك وسترد على رسول الله (ص) برغمك ، وعترته ومحنة في حظيرة القدس ، يوم يجمع الله شملهم ملء ممرين من الشعث ، وهو قول الله تبارك وتعالى :

«ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربيهم يرزقون ..

وسيعلم من بوأك ، ومكنتك من رقاب المؤمنين ، إذا كان الحكم الله .. والخصم محمد (ص) ، وجوارحك شاهدة عليك ..

فبئس للظالمين بدلًا ايكم شر مكاناً واصغر جنداً ..

مع اني والله يا عدو الله وابن عدوه استصغر قدرك واستعظام تقريرك ، غير



ان العيون عبرى والصدور حرى وما يجزى ذلك او يغنى وقد قتل الحسين عليه السلام ، وحزب الشيطان يقربنا الى حزب السفهاء ليعطي لهم اموال الله ، على انتهاءك محارم الله .

فهذا الأيدي تنظف من دمائنا ، وهذه الأفواه تتعلب من لحومنا ، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات .

فلئن اخذتنا مغنمًا، لتجدنا مفرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك .

تستصرخ يا ابن مرجانة !! .. ويستصرخ بك ، وتنعاوى وأتباعك عند الميزان ، وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلتك ذرية محمد (ص) .

فوالله ما اتقيت غير الله .. ولا شکوای إلا إلى الله ... فكك كيدك ، واسعى سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا يرخص عنك عار ما اتيتلينا أبداً .

والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة ، لسادات شأن الجنان فاوجب لهم الجنة ، اسأل الله أن يرفع لهم الدرجات ، وان يوجب لهم المزيد من فضله فإنه ولقدير .

وسكتت زينب بعد ان اضرمت النار في القلوب ، وهزت المشاعر وايقظت النفوس المتغيرة ، فأفاقت على الحقيقة التي اوضحتها العقيلة في خطبتها التي اعجزت البلفاء ، ودققت أجراس الثورة والفتاء ضد الظلم والفساد .

وحسينا اقتناعاً ان خطبة زينب كانت البداية في إيقاظ المشاعر فإن الشام برغم أنها كانت عاصمة الامويين ومقر خلافة يزيد لعنه الله . فقد سرت البلبلة بين الناس وكثير اللقط وساد المرج .



ففي بعض المرويات : قيل ان «هند ابنة عبدالله بن عامر زوجة يزيد» سمعت ما يدور في مجلس زوجها ، وخطاب السيدة زينب — فتنقعت بشوتها وخرجت اليه فقالت :

يا يزيد أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ؟

قال : نعم ، فاعولي عليه . . . لقد عجل عليه ابن زياد فقتله . . .

فقالت : ابنت رسول الله سبايا فاطرق برأسه لأن صوت زينب لا يزال يدوى في اذنيه . . .

فقالت له زوجته : غداً يا يزيد تجيء يوم القيمة وابن زياد شفيعك . . . ويحيى الحسين وجده رسول الله شفيعه ! . . .

زينب وحدها التي لم تغب لحظة عن مسرح المأساة والفاجعة الأليمة ، وهي التي سجلها التاريخ على صفحاته

وهي وحدها التي سمعت الصيحة الأولى ، ولم تفارق الحسين لحظة واحدة منذ بدأ القتال حتى انتهى .

وهي وحدها كانت الى جانب المريض العليل « زين العابدين » (ع) تترضه وتحافظ عليه - ومع المختضر تواسيه والشهيد تبكيه .

وقال بعض الشعراء عندما مر على أرض المعركة قبل دفن الجثث :

وقفت على أجداثهم وبجاههم
فكاد الحشا ينفض والعين ساجدة

لعمري لقد كانوا مصالحت في الوغى
سراعاً الى الهيجا حماة خضارمة



تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم
 بأسيافهم آsad غيل ضراغمه
 وما أن رأى الراؤون أفضل منهم
 لدى الموت سادات وزهر قماقه

عقيلة بنت هاشم في مدينة جدها الرسول (ص) :

عاد موكب السبايا الى مدينة جدهم الرسول الأعظم ﷺ ، تحدوهم الحسرات ، ويلفهم رداء الحزن والكآبة .
وكان منظرهم مؤلماً يتتصدّع له الصخر الأصم .

فقد هرع الناس لاستقبال الركب الحزين بما تم مفجعه قبلهمـا دموع البواكي ونوح الشكالي .

لَكُنِ الْعَقِيلَةُ زَيْنَبُ لَمْ تَلْتَفَتْ لِشَيْءٍ أَوْ تَفُوهْ بِكَلْمَةٍ ، وَلَمْ تَتَوَقَّفْ عَنِ السَّيْرِ
رَغْمَ تَهَافَتِ النَّاسِ عَلَيْهَا . بَلْ مَضَتْ فِي طَرِيقِهَا صَامِتَةً ، حَتَّى وَصَلَتِ الْمَسْجِدِ
النَّبِيِّ الشَّرِيفِ فَأَخْذَتْ بِعِضَادِيِّ الْبَابِ وَصَاحَتْ مِنْ قَلْبِ جَرِيعٍ :

يا جداه يا رسول الله ... جئت ناعية اليك أخي الحسين والاقمار من أهل بيته ... وخفقتما العبرة وما تكلمت الكلمات على شفتيها ...

ثم كانت المآتم في بيوت بنى هاشم ولم تبقى مخدرة في المدينة إلا خرجت نائحة تنهك .

وخرجت زينب بنت عقيل «اخت مسلم» ومعها نساؤها نادبة تلوى بشورها وهي تقول :



ماذا تقولون إن قال النبي لكم
ماذا فعلتم ، وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مقتدي
منهم أسرى ومنهم ضرروا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تختلفوني بسوء في ذوي رحمي

وتقول بعض المرويات : وسمع صوت من بعيد يقول :

أيها القاتلون جملا حسينا
أشروا بالعذاب والتنكيل

رجعت زينب عليها السلام الى بيتها ومرت بديار أهلها فرأتها موحشة باكية
تنعي أهلها وتندب سكانها . كما قال الشاعر :

مررت على أبيات آل محمد
فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها
وإن أصبحت منهم برغمي تخلت

وكان عمرو بن سعيد الاموي ^(١) والمسا على المدينة ، وتذكر الأخبار أنه لما

(١) لقد لاقى عمرو بن سعيد الاموي جزاء شهادته بقتلبني هاشم ، إذ قتله عبد الملك بن مروان الاموي بالشام .

تقول بعض المرويات ، انه حينما دخل عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان بالشام تنازعا

«»



سمع واعية بني هاشم وبكائهن على الحسين ضحك وابتسم وقال : يوم بيوم يا عثمان ... وناعية بناعية عثمان ... ثم تمثل بقول عمرو بن معد يكرب :

عجبت نساء بني زياد عجباً كعجيج نسوتنا غداة الأرب

شخصية السيدة زينب وأثرها على المجتمع :

يُضي التاريخ ليسجل بطولة سيدة عظيمة ، هي السيدة زينب بنت علي ، عقبة بني هاشم الثائرة على الظلم ، المتمردة على الطغيان .

تلك السيدة الأبية ، التي أثمنت مسيرة نهضة أخيها الحسين (ع) . وإيقاظت



وكان نزاعها حول الملك - او الخلافة بالشام ، فامر عبد الملك صاحب حرسه (أبا الزيزعة) بضرب عنق عمرو بن سعيد الاموي .

وجاء في كتاب مروج الذهب للسعدي ... ما ملخصه ، قال : ان عمرو بن سعيد خرج من منزله يريد عبد الملك ، فعثر بالبساط ، فقالت له امرأته تأله : انشدك الله لا تأتيه .

فقال لها : دعني عنك فواهه لو كنت ثناً ما أيقظني .

ودخل على عبد الملك وهو مُكفر بالدرع ، فقال له : يا أبا أمية أجهشت للقتال ؟ وبعد كلام طويل بينهما قال له : اني كنت قد حلفت إن ملكتك لأشدنك في جامعة (أي القيد) . فلما وضع الجامعة في عنق عمرو بن سعيد أيقن عمرو بالهلاك . قال لعبد الملك : تخربجي الى الناس وأنا في الجامعة ؟ فقال له عبد الملك : أريد أن أخرجك الى الناس فيمنعوك ويستنقذوك من يدي ؟ ... (أنا كرني وأنا أمكر منك ؟) ثم أضجعه وذبحه ولم يراع له عهداً ولا حرمة

لقد أظهر عمرو بن سعيد الشهادة حين مقتل بني هاشم بعد موقعة كربلاء ... وما أحسن قول الشاعر :

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا



مشاعر الناس ببلاغتها وصمودها وجهادها ، فهیجت فيهم شعوراً لاذعاً مضى بالحسرة والندم تارة ، وبالخزي والعار طوراً .

تواحد الناس على عقيلة بنى هاشم ، فكانت تتكلم لتعجل الضباب عن البصائر ، ويبقى كلامها يدوي في آذانهم ليخترق الفمائر مذكرة بالجريمة النكراء ، والفعلة الشنعاء قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه الأبراء .

يتکهرب جو المدينة ... ويلتهب ... تلهبة الثائرة المطالبة بدم الشهداء الأبرار .

تلتهبه شعلة الثائر وعنوان البطولة ، التي كانت المعلول الأول في هدم عرش بنى امية وأمثالهم من الطغاة المستبدین .

« زينب » تلك التي أعطت البشرية درساً في الصمود ، والإباء والشرف ، والوقوف بوجه الجور والتعسف والطفيان تتناقله الأجيال .

يضي الوالي عمرو بن سعيد الأموي ، فيرسل الى يزيد أن أهل المدينة في هياج . ثم يقول : « إن كان لك بالمدينة شغل فأخرج بنت علي منها فإنها أثلىت الناس عليك » .

ويأتي الفصل الأخير من حياة المجاهدة البطلة ، عندما يطلب منها الوالي عمرو بن سعيد الأموي ، مغادرة المدينة ، بل الحجاز .

فتجيب عليها السلام قائلة : ويلكم أمن حرم جدنا تخرجوني ؟ ... لك الويل يا ابن سعيد ... الله أعلم بما صارت إليه حالنا بعد سيد الشهداء ..

صبرنا على قتل خيرنا ... وحملنا على الأقتات ، وساقونا كما تساق الأنعام ، فلست بخارجية من مدينة جدي ... فافعل ما أنت قادر .



واشتد الموقف بين الوالي ... وبين عقبة بنى هاشم « زينب » وهي لا تبالي،
ماضية في أداء رسالتها التي كلفها بها سيد الشهداء الحسين (ع) بالنهوض والمحافظة
على رسالة جدها الرسول الاعظم (ص) .

والوالي عمرو بن سعيد ماض في تركيز دعائيم ملك بنى أمية ، وتنفيذ أوامر
الطاغية يزيد .

ويأتي الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) ليقنع عمه « زينب » بالخروج
كي لا تتجدد المأساة على أهل بيت الرسول .

إن الأمويين لا يتورعون عن ارتكاب أفظع الجرائم في سبيل توطيد حكمهم .

ويناسب صوت الإمام زين العابدين (ع) :

« عمي يا زينب ... لقد صدقنا الله وعده ، وسيجزي الله الظالمين ...
إرحل إلى بلد آخر ... والله حسبنا ونعم الوكيل » .

ولم تتمكن السيدة زينب إلاأخذ برأي الإمام زين العابدين فقررت السفر
لعل خوف الأمويين من وجودها بالمدينة يهدأ قليلاً .

وقف موكب السيدة زينب عند مسجد الرسول الأعظم (ص) . ومن حوله
بني هاشم ، الرجال والنساء والبقية الصالحة من أهل المدينة المؤمنين .

وكان المشهد مؤثراً ، والوداع حاراً ، فقد صاحت زينب (ع) بصوت ملتفاع
يتصدع له الصخر الأصم :

يا جداه ... يا رسول الله ... ها أنا تاركة المدينة منفية ، كأنني قد أتيت
أمراً نكرا ، ثم تأوهت متৎسرة ... وكما يقول الشاعر :



مشردون نفوا عن عقر دارهم
كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

وسجل التاريخ على صفحاته ، موقف السيدة زينب الرائع المؤثر ، الذي تتجلى فيه العزة والإباء مع الأحزان ، والشجن الدامي والأسى العميق .

ومن ذا الذي لا يهزه موقف زينب ، وقد تذكرت أمها الزهراء (ع) وما لاقته من المتعاب والمصاعب ، وكما قيل :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا
فلما دهنتي لم تردني بها علما
أحن الى الكأس الذي شربت به
وأهوى لثواها التراب وما ضما

وقد اختلف أهل التاريخ والسير ، ف منهم من قال : إنها ذهبت الى مصر ، ولهَا مقام مقدس وعظيم يؤمه الناس .

ومنهم من قال : إنها في الشام ومقامها ايضاً معروفة هناك يقصده الزوار ، من جميع الأقطار . وهو القول المشهور .

وعلى كل حال سواه كان مثوى السيدة زينب عليها السلام في الشام ... أم في مصر ... فقد هيمنت الاحساس ، وأوقدت نيران الثورة على أنظمة الظلم والطغيان وسللت عرش الأمويين المستبددين في وقت قصير .

لم تخب تلك الشعلة الملتهبة ، بل ظل كلامها يتخطى صدائء في ابواب التاريخ ، يرن في الآذان وهي تحاطب الطاغية يزيد بقولها :

« فوالله لا تمحو ذكرنا ... ولا تحيي ... ولا تدرك أمدنا ... »



لقد عجز الطفاة عن طمس ذكر أبطال الحق ، وشهداء العدل ، ذكر زينب
وآله الكرام ... المشعل الذي يضيئ الطريق أمام الهداة ، وأصحاب الضيائـر
الحرة . والنبراس الذي يهـدى به كل من ثار من أجل العقيدة، والدين والكرامة،
والانسانية ، والإباء .



السيدة سكينة بنت الحسين (ع)

ما عسانی أن أكتب عن حفيدة الزهراء السيدة سكينة بنت الحسين (ع)
بعد أن جال أبطال أهل التاريخ وأصحاب السير في أفكارهم وأقلامهم ، كلٌّ في
 مجاله ، وحسب ميله وهواء .

وما عسانی أن أقول فيمن ولدت في حجر الإيمان ، وترعرعت في كنف
معدن القدس ، وعجنت طينتها بالعفة والزاهة . فنشأت متأثرة بحسن التربية ،
كرم الأخلاق ، وعنوان المجد والسؤدد .

جللها كرم الأصل يجلب الشرف ، وألبسها مطارات الحياة والمعرفة
والأدب .

ومن لا ريب فيه فقد بلغت حفيدة الزهراء ، وسليلة البيت النبوى الشريف ،
الذروة العليا في الجمال والكمال ، والتقوى والورع ، وسلكت السبيل الواضح في
مجاهدة النفس ، والطريق الذي لا يشوبه أي انحراف أو ميل نحو ملذات الدنيا .

لقد كانت السيدة سكينة سابحة بين امواج العبادة والزهد والقدسية ،
ترشف العلم من معينه ، وتجني الأدب من مستقاه ، حق انعكست في مرآة
نفسها ملامح الجلال والمهابة ، وفازت بشهادة الإمام الحسين (ع) حيث قال :

« الفالب عليها الاستفرار مع الله » .



اختار لك فاطمة ، فهي أكثرها شبهاً بامي فاطمة بنت رسول الله (ص) أما في الدين ، فتقوم الليل كله ، وتصوم النهار ، وفي الجبال .. تشبه الحور العين .

وأما سكينة : فغالب عليهما الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح للرجل ^(١) .

اجل لقد ذهبت السيدة سكينة بحب أبيها واعزازه لها ، وفازت بذلك المكانة العالية ، والعطف الفياض ، لذلك نراه عليه السلام يردد قائلاً :

لعمرك اني لاحب دارا
تحل بها سكينة والرباب
احبها وابذل جل مالي
وليس لعاتب عندي عتاب

إلى أن يقول :

ولست لهم وان عتبوا مطيناً حيائني أو يغيبني الـتـراب
يمضي الزمن وتدور الأيام ، والـسـيدة سـكـينة تـبـزـ نـسـاء عـصـرـها عـلـمـاً وـتـقـىـ
وـرـعـاـ وـزـهـادـةـ .

صحبت والدها الإمام (ع) إلى كربلاء، وشاهدت تلك المجزرة العظيمة، ومصرع أهلها الميامين.

(١) السيدة سكينة - للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرم ص - ٣٣ .

وقفت ي جانب عمتها العقيلة زينب ، تتلقى المصائب صابرة محتسبة .
وتكون لها الأحزان بنار ملتهبة . وتسدوق مرارة فقد الأحبة ، فلا تزيدها كل
هذه الآلام إلا عزوفاً عن ملذات الدنيا ، ويصفها والدها الحسين (ع) « خيرة
النسوان » .

في ساعة الوداع يوم « طف كربلاء » افتقد الحسين ابنته الحبيبة سكينة فوحذنها منحازة عن النساء ، باكية العين ، كسرة الفؤاد .

اكب عليها يقبلها في لففة وحنان ، ثم رفع رأسه وقال في شجاعة واثقاق
« هلا ادخلت البكاء ليوم غد ؟ تجلدي يا حبيبي واصبري ان الله
مع الصابرين » .

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدموعك حسرة ما دام مني الروح في جثاني
فيإذا قتلت فانت أولى بالذى تأتينه يا خبرة النسوان

ها هي السيدة سكينة ، واقفة على أرض كربلاء ، بمحاذب جثة أبيها الإمام (ع) مهيبة الجناح ، حزينة القلب ، تتراءم الدموع في مقلتيها في حين تطوي الألم والحسرات بين أضلعها وتردد :

ان الحسين غداة الطف يرشقه ريب المتنون فما ان يخطيء الحدقه
بكف شر عباد الله كلهم نسل البغایا وجيش المرق الفسقه
أمة السوء هاتوا ما احتجاجكم غداً وجلكم بالسيف قد صفقه
الويل حل بكم إلا بن لحقه صيرتموه لا رماح العدى درقه
يا عين فاحتفل طول الحياة دمـا لا تبك ولـا أهـلا ولا رفقـه



لكن على ابن رسول الله فانسكبي قيحاً ودماءً وفي اثريهما العلقة
ويختلط صوت سكينة مع صوت أمها الرباب ، التكلى الواهنة . تلك التي
صغرت الدنيا في عينيها ، وكبرت المصيبة عليها ، فلم تقو على حملها لا تعرف غير
البكاء والعويل . ونسمعها تردد وتقول :

واحسيناً فلا نسيت حسيناً
غادروه بكربلاء صريعاً
اقصدهه اسنة الأعداء
لا سقى الله جاني كربلاء^(٢)

اجل : الرباب الزوجة الوفية المخلصة التي ترعى العهد والذمام فقد ذكرت
الأخبار أنها استفرقت في حزنها على الحسين ، نادبة حزينة ، لا يظلمها سقف .
وقد خطبها الكثير من الوجاه والأشراف ، ولكنها رفضت باصرار وقالت :

« ما كنت لاتخذ حماً بعد رسول الله (ص) .
ثم تشرق بدمها وتقول نادبة :

ان الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزالك الله صالحنا عننا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جيلاً صعباً ألوذ به وكانت تصعبنا بالرحم والدين
من لليتامي ومن للسائلين ومن يغنى ويأوي اليه كل مسكون
والله لا ابتغي صهراً بصهركم حتى اغيب بين الرمل والطين

(١) والرباب هي زوجة الحسين (ع) ووالدة سكينة ، وهي التي طلبت رأس الحسين من ابن زياد ، فلما رأته أخذته ورمتها : حجرها وقالت هذه الآيات



شخصية السيدة سكينة الاجتماعية :

لقد استطاعت السيدة سكينة ان تنفرد بمكانة اجتماعية مرموقة ، لم ترق اليها سيدة سواها في ذلك العصر ، فكانت الشخصية الاولى في المجتمع الحجازي ... بل الاسلامي من حيث التقى والزهد والورع والمعرفة والأدب .

على أن السيدة سكينة كانت مشغولة بالال ، تراعي حركات الوالد الشفوق في معركته الجبارية ضد الظلم .

إن الأحداث العنيفة التي جذبت سكينة إلى دوامة الاعصار ، وشغلتها عن كل ملذات الحياة وبهارجها. هي التي صنعت منها الزهد والاستفرار في العبادة، كما فعلت الأحداث بعمتها العقيلة زينب التي عاشت في صميم المعركة وألهتها الفجيعة بأخيها الحسين عليه السلام عن ولديها اللذين استشهدوا في الدفاع عن الحق .

وكذلك كان حال الرباب والدة سكينة لم نسمع من المؤرخين أنها كانت تذكر ولدها عبد الله بل كانت تبكي الحسين وترثيه ، حق ماتت حزناً وكذا ... بعد وقعة كربلاء بعام واحد .

وبعدما ذكرنا لحة موجزة من سيرة السيدة سكينة لا بد لنا من ذكر بعض من كتب عنها وأغرق في كتابته ، ونسب إليها اموراً لم تكن بها ، كأبي الفرج الأصبهاني مثلاً قال :

«اجتمع نسوة من أهل المدينة ، من أهل الشرف ، فتقذفن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حدثه ، فتشوقن إليه وتغنينه ، فقالت سكينة بنت الحسين (ع) أنا لكن به .



فأرسلت إليه رسولاً وواعده «الصورين»، وسمت له الليلة والوقت،
وواعدت صواحبها فوافاهم عمر على راحلته، فعذثهن حتى أضاء الفجر
وحان انصرافهن فقال لهن: والله إني لحتاج لزيارة قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ والصلة
في مسجده، ولكن لا أخلط بزيارتكم شيئاً.

ثم انصرف إلى مكة وقال:

قالت سكينة الدموع ذوارف منها على الخدين والجلباب
ليت المفيري الذي لم أجزه فيما أطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا إذ لا نلام على هوى وتصابي
خبرت ما قالت فبت كأنما ترمي الحشا بنوافذ النشاب
أسكين ما ماء الفرات وطبيه مني على ظماً وطيب شراب
بالذَّ منك وإن نأيت وقلماً ترعى النساء مانة الغياب ^(١)

وما رواه صاحب الأغاني، البارع في وضع القصص والكثير من المفتريات
وخصوصاً على البيت الهاشمي، ف شأنه معروف لأنَّه أموي النسب «والعداء بين
البيت الهاشمي النبيل والبيت الأموي متغلغل في النفوس».

إن كل عاقل ومنصف يكاد يقطع أن المراد من سكينة في الأبيات التي قالها
عمر بن أبي ربيعة ... هي في سكينة بنت خالد بن مصعب.

والظاهر أن صاحب الأغاني الأموي، أراد أن يبرئ ساحة سكينة بنت

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.



خالد مما كانت عليه من الاستهتار والمجون ، فوجد من اسم سكينة بنت الحسين
(ع) باباً واسعاً للتورية وتضليل البسطاء .

عند ذلك نسب أفعال سكينة بنت خالد بن مصعب إلى سكينة بنت الحسين .

جاء بعد ذلك بعض المؤرخين والكتاب ، فأخذوا عن أبي الفرج الأصبهاني من دون أي انتباه ... أو روية ... إلى الأسباب التي حملت الأصبهاني على المواربة والتحريف والتورية .

على أن قول عمر بن أبي ربيعة في شعره : « أسكن ما ماء الفرات » ، الخ . ليس من الضروري أن يكون المراد سكينة بنت الحسين . بالإضافة إلى ذلك نرى أغلب الرواية يروون الشعر على النحو التالي :

« قالت « سعيدة » والدموع ذوارف
منها على الخدين والجلباب
إلى أن يقول :

« أسعيد » ما ماء الفرات وطيبة
مني على ظمآن فقد شباب

تقول الدكتورة بنت الشاطئ :

« قال أبو الفرج : وسعيدة ... هي سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ، كان عمر قد نعرض لها بعد طوافه فقالت له :

ويحك يا ابن أبي ربيعة ، مـا تزال سادراً في حرم الله مـهـتـكـا ! تتناول
بلسانك ربات الجمال من قريش ! ...



آمرك بتقوى الله وترك ما أنت عليه ؟

قال أبو الفرج : وإنما غيره المغنوون ، فقالوا : « سكينة » .

وقال أبو إسحاق الحصري (ت ٤١٣ هـ) بعد أن أورد هذه الأبيات كرواية
القالي : (كذب من روى هذا الشعر في سكينة رضي الله عنها) ^(١) .

(١) ترجم سيدات بيت النبوة - الدكتورة بنت الشاطبي .



عرض وتحليل

إن السيدة سكينة سليلة بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ومبطر الوحي والتنزيل ، من الأسرة الهاشمية العريقة التي ضربت المثل الأعلى بالإباء والشهم والعزة والكرامة ، حتى صارت مناراً لكل من أراد أن يدفع الضيم عن نفسه ويؤت عزيزاً كريماً .

والدليل على ذلك ما فعله مصعب بن الزبير حينما أراد الخروج لحرب عبد الملك ابن مروان بعدما افضّ عنه أصحابه .

جاء موعداً زوجته السيدة سكينة فقالت له :

لا تفجعني بك ... واحزناه عليك يا مصعب ...

فالتفت إليها وقال لها : أو كل هذالي في قلبك !؟

ثم قال : لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك ، لكانت لي ولد حال ، ولكن أباك لم يترك لحر عذراً ، وأنشد :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم
تأسوا فسنوا للكرام ، التأسيا

لا أجيافي الحق إذا قلت أنبني هاشم الكرام ، الذين وصفهم الفرزدق



بقصيده المشهورة التي منها :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بنى حواء والخير يطلب
أقول : كيف يروق لبني هاشم ، أهل الفضائل والنهى ترك كريتهم وابنة
سيدهم الإمام الحسين (ع) تسرح وتترح وتعقد مجالس اللهو والسمر ، وتساجل
الشعراء ، وفي بنى هاشم الغيرة والحبة والأنفة ؟

على أن السيدة سكينة عاشت جل حياتها في بيت أخيها علي بن الحسين زين العابدين (ع) .

أجل زين العابدين الذي كان يواصل الليل بالنهار باكي العين حزناً على والده الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنة .

كان يقول لمن يطلب منه تخفيف البكاء والتصبر :

«إني ما نظرت إلى عهاتي وأخواتي إلا تذكرت فرارهن من خيمه
إلى خيمه ...».

في هذا الجو المفعم بالحزن والبكاء كانت السيدة سكينة مع أخيها السجاد وأهل بيته الشكالي ، فكيف الحاله هذه أن يصدر هنـما ما يشـئـنـ كرامـتهاـ وينـافـيـ الأمـورـ المتـبـعةـ فيـ الـبيـتـ الـهاـشـميـ الشـرـيفـ .

علاوة على ذلك ، كيف يترى الإمام زين العابدين (ع) وهو الأمر بالمعروف والنافي عن المنكر ، شقيقته سكينة التي رافقته في مراحل المحن القاسية ، من المدينة ... إلى كربلاء ... وإلى الشام سبايا ... ثم إلى المدينة .

ألم يكن بإمكانه (ع) وعظها؟.. وإرشادها إلى جادة الصواب، وحملها على العمل بسيرة السلف الصالح من الأمهات... والجدات.



حاشا الإمام زين العابدين أن يرضي بذلك ... وحاشا السيدة سكينة من
مقالة السوء ... ومن كل افتراء .

جاء في كتاب الأغاني : « ان إسحاق الموصلي غنى الرشيد بشعر عمر بن
أبي ربيعة :

قالت سكينة والدموع ذوارف
منها على الخدين والجلباب

فغضب الرشيد حتى سقط القدح من يده ... ونهره وقال :
لعن الله الفاسق ، ولعنة ! .. فسقط في يد إسحاق ، فعرف الرشيد
ما به .

فسكت الرشيد ثم قال : ويحيى أتغنى بأحاديث الفاسق ابن أبي ربيعة في
بنت عمي ، وبنت رسول الله ? ..

ألا تتعفظ في غنائمه ? .. أو تدربي ما يخرج من رأسك ؟ »

ألا ترى معي أيها القارئ ، كيف غضب الرشيد على إسحاق الموصلي
وأخذته حمية النسب لأنه هاشمي ? .. مع العلم أن العباسين كانوا أعداء العلوين ،
آل أبي طالب في زمانهم .

فكيف يسكت ... أو يرضى آل علي الكرام بما نسب للسيدة سكينة ? ..
وعلى الأخ الصادق المعصوم زين العابدين (ع) ؟

وحاشا السيدة سكينة بنت الإمام من هذه المفتريات . فهي أجل ...
وانقى ... وأطهر ... سليلة المقدسين الأطهار .

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلة عليهم ايها ذكرروا



و قبل ان ننتهي من حديث السيدة سكينة ، لا بد لنا من الاشارة إلى بعض الأقوال من كتاب ساحرهم الله و هدائم .

يقول الدكتور زكي مبارك في كتابه «حب ابن أبي ربعة»، و شعره - ص - ١٨١^(١) .

«لا يغضب قوم إن ذكرنا أنها كانت (يعني سكينة) في عفافها نزقة طائفة ، تؤثر الحفة على الوقار ، و تهوى أن يخلد حسنها في قصائد الشعراء ...»

وما اظن هذه السيدة سلمت في صلتها بابن أبي ربعة من متورع يرميهما على طهرها بالخلاعة والمجون» .

إلى آخر ما هنالك من المفتريات التي لم يعفّ قلم الدكتور زكي مبارك عنها .

أقول وبختى الأسف ، لم يكن من المتظر أن يأتي (في الزمن الأخير) بعد الأصحابي ، أمثال الدكتور زكي مبارك فيجعل من السيدة الجليلة ، حفيدة الرسول ، الزاهدة الورعه جليسه للشاعر الماجن المستهتر عمر بن أبي ربعة .

ثم يجرد قلمه فيصف السيدة سكينة بأوصاف لا تتصف بها امثالها من جليلات القدر ، والمكانة المرموقة .

وبعدها يجعل من دار سكينة بنت الحسين مرتعًا للمجون و ملادًا للشعراء .

إن الدكتور زكي مبارك لم يستند لدليل على أقواله ، بل راح يكتب عن خيال ، و كأنه في حفلة ساهره ...

لعله ظن أنه حين يكتب تصدق أقواله ... لماذا؟ ... لأنه دكتور ، وعلى

(١) حب ابن أبي ربعة وشعره - الدكتور زكي مبارك .



هذا سقطت كتابته وأقواله عن الموضوعية – وكان من جراء أقواله السخيفة ، نرى أن كل من قرأ كتابته وتخيلاته بخصوص السيدة سكينة قد انتقده ، لأن الكاتب قبل أن يكتب يجب عليه أن يعي ما يقول ، ويعرضه على عقله ، ويتثبت من صحة الرواية وثقة الراوي .

وتقول الدكتورة بنت الشاطئ ، أيضاً :

« لكن المأساة أن أكثرنا قد صدقوا كل ما قال عمر ، وصدقوا أولئك القصاصين الذين راحوا ينسجون الحكايات حول هذه القصيدة أو تلك من غزلياته . وهي قصص لا شك في أنها اخترعت بأجرة ، كما قال الدكتور طه حسين بحق » .

ثم تقول :

« على حين أخذ الدكتور زكي مبارك كل هاتيك الأخبار والقصص والمفامرات أخذأً لما ، وصدقها غير مرتاب فيها ولا متظنن »^(١) .

(١) ترجم بيت النبوة - الدكتورة بنت الشاطئ - ص - ٩٢٩ .



جهاد المرأة المسلمة ووضعها الاجتماعي

لقد انتزعت المرأة المسلمة المؤمنة ، المزيد من المنزلة الاجتماعية بمساهمتها في جميع المجالات السياسية والثقافية ونافست الرجال في شتى الميادين .

شقّت طريقها بفضل الاسلام وتعاليمه ، وأنارت حياتها بنور العلم والإيمان ، فأصبحت داعية للقرآن، راوية للحديث ، سابقة إلى الإجادة في ضروب الشعر ، خطيبة تأخذ بأعنفة النقوس ، حافظة على نشاطها الاجتماعي الذي بعثه فيها الدين الاسلامي العظيم .

ففي الصراع الدامي بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ومعاوية بن ابي سفيان في صفين ، ظهرت كثيرات من النساء اللواتي أبلين بلاء حسناً في نصرة الحق ... أهل بيت الرسول .

وأكثر من ذلك كله فإنهن على جانب من الشجاعة وحرية الرأي ، لا يعرفن المواربة ولا التملق ، ولا يخفن إلا الله سبحانه . وتتجلى جرأة المرأة الأدبية عندما تخضر المعارك الحربية وتلقي الخطب المثيرة ، تنشد الأشعار الحماسية التي تدفع المقاتلين على الاستبسال .

وعلى سبيل المثال لا بد من ذكر بعض النساء اللواتي جاهدن في سبيل الحق ممنهن سودة بنت عمارة رحمة الله . لقد كانت ثاقبة الرأي في السياسة . نافذة البصيرة في الزعامة ، تمثل قومها في الخطوب ، وتنوب عنهم في المحافل على الرغم



ما عرف عن قومها (بني همدان) من نبل السلوك وبأس عند اللقاء . حتى قال
فيهم الإمام علي عليه السلام :

ولو كفت بواباً على باب جنة لقلت لهمdan ادخلوا بسلام

سودة بنت عماره بن الأشتر الهمданية :

جاء في بلاغات النساء : استأذنت سودة بنت عماره بن الأشتر الهمدانية على
معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه قال :

هيه يا بنت الأشتر ؟ ألسن القائلة يوم صفين :

شمئر ك فعل ابيك يا ابن عماره يوم الطعنان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه واقتصر لهند وابنهما بهوان
إن الإمام أخو النبي محمد علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لواه قدمًا بأبيض صارم وسنان

قالت : اي والله ما مثلي من رغب عن الحق ، او اعتذر بالكذب .

قال لها : فهذا حملك على ذلك ؟

قالت : حب علي عليه السلام ، واتباع الحق . قال : فوالله ما أرى عليك
من أثر على شيئاً .

قالت : انشدك الله يا أمير ، وإعادة ما مضى ، وقذكار ما قد نسي . قال:
هيئات ما مثل مقام أخيك ينسى ، وما لقيت من أحد ما لقيت من
قومك وأخيك .



قالت : صدق فوك ، لم يكن أخي ذمِّي المقام ، ولا خفي المكان كان والله
كقول الحتساء :

وان صخرأ لتأتم الهدأة به كأنه علم في رأسه ثار
قال : صدقت لقد كان كذلك . فقالت : مات الرأس ، وبتر الذنب وبالله
اسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه . قال : قد فعلت فما حاجتك ؟

قالت : إنك أصبحت للناس سيداً ، ولأمّهم متقدلاً ، والله سائلك من أمرنا ،
وما افترض عليك من حقنا ، ولا يزال يقدم علينا من ينوه بعذرك ، ويبيطش
بسلطانك ، فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ، ويسمونا الخبيثة ،
ويسلبنا الجليلة ، هذا بسر بن ارطاة ، قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ
مالي ، ولو لا الطاعة لكان فيما عز ومنعة ، فإما عزلته عنا فشكراً لك ، وإما لا
فرفناك .

فقال معاوية : أتهديني بقومك ؟ لقد همت أن أحملك على قتب أشرس ،
فأرددك إليه ، ينفذ فيك حكمه . فأطربت تبكي ثم أنسأت تقول :

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرورنا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب عليه السلام . قال : وما
صنع حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : قدمت عليه في رجل ولاه صدقاتنا ،
فكأن بياني وبينه ما بين الفت والسمين ؟ فأتيت عليه السلام ، لأنشكيه
ما صنع ، فوجده قائمًا يصلي . فلما نظر إلى انتقاله من صلاته ، ثم قال برقة
وتعطف : ألمك حاجة ؟ فأخبرته الخبر . فبكى ثم قال : اللهم إنك أنت الشاهد



عليه وعليهم ، إني لم أمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حرقك ، ثم أخرج من جيبيه قطعة كهيئة طرف الجراب . فكتب فيهم : بسم الله الرحمن الرحيم « قد جاءكم بيضة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثروا في الأرض مفسدين بقيمة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بمحظ » .

إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام .

فأخذته منه والله ما ختمه بطين ، ولا خزمه بخزام .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف والعدل عليها ، فقالت : إلى خاصة أم لقومي ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟

قالت : هي والله الفحشاء واللؤم ... إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلا فأن كسائر قومي . قال : هياهات لظركم ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت همدان أدخلني بسلام
لقد كانت السيدة سودة تتمتع بزياها عظيمة من قوة الحجة على الداعي وعمق
الاحساس بالقضية الملقاة إليها . مع قدر كاف من حسن التعبير ودقة التصوير .
ومن أبرز الصفات للوعي الاجتماعي عند المرأة في صدر الإسلام هو ذلك
الصمود الذي لا تفله الغلبة وذلك الثبات الذي لا تزعزعه الحوادث
والكوارث . والصبر مع الإيمان الذي لا ينفذ عند استبطان النصر . ولا يتلاشى
عند مواجهة الأعداء .

(١) أعلام النساء لعمر رضا كحالة - بلاغات النساء لابن طيفور - والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي .



الزرقاء بنت عدي

هذه المرأة من المسلمات الأوليواتي لا يعرفن التملق والخيل والخداع ، كانت من ربات الفصاحة والبلاغة والعقل والرأي ، ناصرت علي بن أبي طالب (ع) يوم صفين ^(١) ولما تم الأمر لمعاوية قال لأصحابه : ايكم يحفظ كلام الزرقاء ؟

فقال القوم : كلنا نحفظه يا أمير المؤمنين . قال : فما تشيرون علي ^{فيها} ؟ قالوا : نشير عليك بقتلها . قال بئس ما اشرتم علي ^{به} ... ايحسن بمثلي ان يتحدث الناس اني قتلت امرأة بعدها ملكت ، ثم دعا كاتبه ، فكتب الى عامله بالكوفة ان اوفرد الي ^{الزرقاء بنت عدي} .

فلما قدمت على معاوية قال لها : مرحباً واهلاً ، هل تعامين لما بعثت اليك ؟ قالت : سبحان الله أنى لي بعلم ما لم أعلم ، وهل يعلم ما في القلوب إلا الله . قال: بعثت اليك ان اسألك ؟

«الست راكبة الجمل الأحمر يوم (صفين) بين الصفين ، توقدن الحرب

١ - صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجاذب الغربي بين الرقة وبالس .



وتحرضين على القتال ، فما حملك على ذلك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين انه قد مات الرأس ، وبتر الذنب ، والدهر ذو غير
ومن تفكراً أبصر والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها : صدقت ، فهل تحفظين كلامك يوم صفين ؟ فقالت : ما أحفظه .

قال : ولكنني أحفظه الله أبوك لقد سمعتكم تقولين : « أَيُّهَا النَّاسُ أَنْكُمْ فِي فِتْنَةٍ
غَشْتُكُمْ جَلَابِيبُ الظُّلْمِ وَجَارَتْ بِكُمْ عَنِ الْحُجَّةِ فِيمَا لَمْ يَعْلَمُوا
تَسْمِعَ لَنَا عَقْمَهَا ، وَلَا تَسْلِسَ لِقَائِهَا ، إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يَضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَأَنَّ
الْكَوَاكِبَ لَا تَتَبَرَّ مَعَ الْقَمَرِ ، وَأَنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْفَرْسَ ، وَأَنَّ الزَّفَرَ لَا يَوْزِنَ
الْحَجَرَ وَلَا يَقْطَعَ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدَ .

إِلَّا مَنْ اسْتَرْشَدَنَا أَرْشَدَنَاهُ ، وَمَنْ اسْتَخْبَرَنَا أَخْبَرَنَاهُ ، إِنَّ الْحَقَّ كَانَ يَطْلَبُ
ضَالَّتِهِ فَأَصَابَهَا .

فَصَبِرْأَا يَا مَعْشِرَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَكَانَ قَدْ انْدَمَلَ شَعْبُ الشَّتَّاتِ ،
وَتَأْمَتْ حَكْمَةُ الْعَدْلِ ، وَغَلَبَ الْحَقُّ بِاطْلُهُ ، فَلَا يَعْجَلُنَّ أَحَدٌ فِي قَوْلٍ كَيْفُ الْعَدْلُ
وَأَنَّتِي ؟ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا .

وَإِلَّا أَنْ خَضَابَ النِّسَاءِ الْخَنَاءَ ، وَخَضَابَ الرِّجَالِ الدَّمَاءَ وَالصَّبَرُ خَيْرٌ عَوَاقِبَ
الْأَمْورِ . أَيُّهَا إِلَى الْحَرْبِ قَدْمًا غَيْرَ نَاكِصِينَ وَلَا مَتَشَاكِينَ فَهَذَا يَوْمُ لِهِ مَا
بَعْدُهُ .

ثُمَّ قَالَ مَعَاوِيَةً : وَاللَّهِ يَا زَرْقَاءَ لَقَدْ شَرَكْتَ عَلَيَّاً فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكْتَهُ فَقَالَتْ :
أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارْتَكَ يَا أَمِيرَ ، وَأَدَمَ سَلَامَتَكَ مُثْلِكَ مِنْ بَشَرٍ بَخِيرٍ وَسَرِّ
جَلِيلِهِ .



قال لها: وقد سرك ذلك؟ قالت: نعم. والله لقد سرني قولك فأنى لي
بتصديق الفعل.

فقال معاوية: والله لوفاؤكم له بعد موته، أعجب إلى من حبكم له في
حياته، أذكرني حاجتك، قالت: يا أمير أني قد آتت على نفسي أن لا أسأل
أميرًا أعنلت عليه شيئاً^(١)

١ - بлагات النساء لابن طيفور - العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي - اعلام النساء .



بكارة الهمالية

لنقف أليها القاريء الكريم ، ونلقي نظرة خاطفة على بكارة الهمالية تلك المرأة المؤمنة ، التي كانت تحمل بين جنبيها قلباً حافظاً ، وإيماناً راسخاً وعقيدة ثابتة .

كانت من النساء المسلمات المؤمنات ، الموصوفات بالشجاعة والاقدام والفصاحة ، والشعر والنثر والخطابة .

حضرت حرب صفين وكانت من أنصار الحق ويحيى زاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

دخلت على معاوية بن أبي سفيان بعد ان كبرت سنه ودق عظمها ، ومعها خادمان لها وهي متكتنة عليهما وبيدها عكا ، وكان عنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فابتدأ مروان فقال :

أما تعرف هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ومن هي ؟

قال : هي التي كانت تعين علينا يوم صفين ، وهي القائلة :

يا زيد دونك فاستثر من دارنا سيفاً حساماً في التراب دفينا
قد كنت أدخله ليوم كريهة فاليوم أبرزه الزمان مصوناً

فقال عمرو بن العاص ، وهي القائلة :

أترى ابن هند للخلافة مالكاً هيهات ذاك وما أراد بعيرد



منتك نفسك في الخلاء ضلالة
 اغراك عمرو للشقاء وسعيد
 فارجع بانك طائر بنحوها
 لاقت علياً أسعد وسعود
 فقال سعيد : يا أمير المؤمنين وهي القائلة :
 قد كنت آمل ان أموت ولا أرى فوق المنابر من أمينة خاطبا
 فالله أخر مسدي فتطاولت حق رأيت من الزمان عجائبها
 في كل يوم لا يزال خطيبهم وسط الجموع لآل أحمد عائدها
 ثم سكت القوم فقالت بكاره :
 نبعثني كلابك يا معاوية ... واعتورتني ، فقصر محجبي وكثرة عجبي ،
 وعشي بصرى !
 أنا والله قائلة ما قالوا : لا أدفع ذلك بتكذيب ، فامض لشأنك ، فلا خير
 في العيش بعد أمير المؤمنين علي .
 فقال معاوية : لا يضرك شيء ، فاذكري حاجتك ؟ قالت : الآن ..
 فلا ... ^{١١} .

١ - العقد الفريد لابن عبد وبه الاندلسي - بلاغات النساء لابن طيفور - اعلام النساء لعمرو رضا كحاله .



أم الخير بنت الحريش البارقية

سيدة جليلة ، لا تقل شجاعة واقداماً عن الواقي ناصرن الحق ، وحرية الرأي هي أم الخير بنت الحريش ، مثال المرأة المسلمة المؤمنة الصالحة ، وهي من ربات الفصاحة والبلاغة .

وقد ذكر أهل التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى واليه بالكوفة : ان أوفرد عليّ أم الخير بنت الحريش .

فليا ورد الكتاب ركب الوالي إليها وأبلغها . فقالت له : أما أنا فغير راغبة عن طاعة ولا معتلة بكذب :

ولما قدمت على معاوية ، انزلها مع الحرم ثلاثة أيام ، ثم أذن لها في اليوم الرابع وجمع الناس .

فدخلت عليه فقال : بحسن نيت ظفرت بكم وأعنت عليكم .

قالت : مه ... يا هذا لك والله من دحض المقال ما تردى عاقبته

قال : ليس لهذا أرداك ،

قالت : إنما أجري في ميدانك ، إذا أجريت شيئاً فاسأل عما بدا لك .

قال : كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر ؟



قالت : لم أكن والله روبيه من قبل ، ولا زورته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثهن لسانني حين الصدمة ، فإن شئت ان أحدث لك مقالاً غير ذلك فعملت .

قال : لا أشاء ذلك ، ثم التفت الى اصحابه فقال : أيسكم يحفظ كلام أم الخير ؟

قال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير .

كأني بها وعليها برد زبيدي كثيف الحاشية ، وهي على جمل أرمك ، وقد أحيط حولها ، وبiederها سوط منتشر الضفر وهي كالفحل يهدى في شقشقة تقول :

أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم . ان الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مبهمة ، ولا سوداء مدلهمة ، فالى اين تريدون رحmkm الله ؟ أفراراً من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله عز وجل يقول : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) .

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين ، وانتشر الرعب ، وبيدك يا رب أزمة القلوب . فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، ورد الحق الى أهله .

هموا رحmkm الله إلى الإمام العادل ، والوصي الوفي والصديق الأكبر .

انها والله إحن بدريه ، وأحقاد جاهلية ، وضيقائن أحديه ، وثبت بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس .

ثم قالت : (قاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون) صبراً معاشر



المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبتات من دينكم ، وكأني بكم غداً قد لقيتم أهل الشام كمحمر مستنفرة ، فرت من قسورة لا تدرى أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلاله بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى وعما قليل يصعبن نادمين حتى تحمل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ! انه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار .

أيها الناس : ان الأكياس استقرروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستبطأوا مدة الآخرة ، فسعوا لها . والله أهلا الناس : لو لا ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطبيبه ، فإلى أين تريدون رحمةكم الله ؟ عن ابن عم رسول الله (ص) وزوج ابنته وأبي ابنيه ، خلق من طينته ، وتفرع من نبعته وخصه بسره ، وجعله باب مدینته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المذاقين ، فلم يزل كذلك يؤيده الله عز وجل بمعونته ، ويقضي على سنن استقامته ، لا يعرج لراحة اللذات ، وهو مفلق الهمام ومكسر الأصنام إذ صلي والناس مشركون وأطاعوا والناس مرتابون ، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر ، وأفني أهل أحد ، وفرق جمع هوازن ، فيما لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً وردة وشقاوة ، وقد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال معاوية : يا أم الخير ما اردت بهذا إلا قتلي ؟ والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك ؟ قالت : والله ما يسوءني يا ابن هند ان يحربي الله ذلك على يد من يسعدني الله بشقائه .



أم وهب زوجة عبدالله بن عمر الكلبي

ان الكثيرات من النساء الصالحات ، هن افضل من الكثير من الرجال ، بعقلهن وإيمانهن وتدينهن وشجاعتهن ، وكانت الدنيا في اعينهن لا تعادل شيئاً في سبيل الله سبحانه ، والدفاع عن الكرامة والدين .

ذكر السيد عبد الرزاق المقرم في كتابه (حدیث کربلا) ، قال : حينما قتل عبدالله بن عمر الكلبي في واقعة کربلا الشهيرة وكان من اصحاب الحسين عليه السلام ، مشت اليه زوجته أم وهب ، وجلست عند راسه تمسح الدم عنه وتقول :

« هنيئاً لك الجنة ، اسأل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك » ، فقال الشمر لفلامه رستم : اضرب رأسها بالمود فشدّخه وماتت مكانها ، وهي أول امرأة قتلت من اصحاب الحسين (ع) .

وقطع رأسه ورمى به الى جهة اصحاب الحسين ، فأخذته امه ومسحت الدم عنه ، ثم أخذت عمود خيمة وبرزت الى الاعداء ، فردها الحسين وقبّال : ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهد »^(١) .

- ١- حدیث کربلا او مقتل الحسين ذكره السيد عبد الرزاق المقرم وغيره كثیر امثال الطبری - وابن شهر اشوب - وابن الأثير وغيرهم .



فرجعت امثالاً لأمر الحسين عليه السلام .

وهذه هي حال المرأة الصالحة المسلمة ، التي لم تتوقف عن خوض المعارك والدفاع عن الدين والعقيدة ، ولم تعوزها الشجاعة فالأقدام لو سمح لها الإمام الحسين عليه السلام بالجهاد .



عكرشة بنت الاطرش

من ربات الفصاحة والبلاغة والبيان وقوة الحجة وحرية الرأي ، دخلت على معاوية فسلمت فقال لها :

يا عكرشة الان صرت امير المؤمنين ؟ . . . قالت : نعم اذ لا علي حي . . .
قال السيدة صاحبة الكور المسدول والوسيط المشدود، والمتقلدة بحمائل السيف،
وانت واقفة بين الصفين يوم (صفين) تقولين :

يا ايها الناس عليكم بأنفسكم لا يضركم من ضل اذ اهتدتكم ، ان الجنة
دار لا يرحل عنها من قطنهما ، ولا يحزن من سكنتها فابتاعوها بدار لا يدوم
نعميمها ولا تنصرم همومنها . كونوا قوماً متبعضين . ان معاوية دلف اليكم
بعجم العرب غلف القلوب لا يفهرون الايمان ، ولا يدركون ما الحكمه ، دعاهم
بالدنيا فاجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه .

فإله الله عباد الله في دين الله ، وإياكم والتواكل فان في ذلك نقض عروة
الاسلام ، واطفاء نور الإيمان ، وذهب السنّة . . . واظهار الباطل ، هذه
بدر الصغرى والعقبة الأخرى .

قاناوا يا عشر الانصار والمهاجرين على بصيرة من دينكم واصبروا على
عزيزتكم ، فكأنني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة والبغال
الشحاجة تضعف ضعف البقر ، وتروث روث العناق . . . الخ .



درامية الحجوجية

لا يخفى ان قوة العقيدة ، وعزّة النفس ، يسجلان للإنسان اسمى الفضائل ، ويجعلان منه مثلاً ساماً وقدوة صالحة ، فلا تزيده مر الليل والأيام إلا رفعـة واعظاماً .

لقد سجل التاريخ على صفحاته موقف درامية الحجوجية ، فسجل الصراع بين الحق والباطل وبين قوة السلاح وقوة العقيدة .

حج معاوية بن أبي سفيان ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة ، كانت تنزل بالحجـون ، يقال لها درامية الحجـوجـية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها .

فقال : ما حالك يا بنت حام ؟ فقالت : لست حام ان عبـتـني ، أنا امرأة من كنانة . قال صدقت ، اتدرـين لم بعـثـتـ اليـكـ .

قالـتـ لا يـعـلـمـ الغـيـبـ الاـ اللهـ . قالـ : بـعـثـتـ اليـكـ لـأـسـأـلـكـ عـلـامـ اـحـبـيـتـ عـلـيـاـ رـابـغـضـتـنـيـ وـوـالـيـتـ وـعـادـيـتـنـيـ ؟

قالـتـ : او تـعـفـيـنـيـ ياـ اـمـيرـ . قالـ : لا اـعـفـيـكـ . قالـتـ : اـماـ اـذـاـ أـبـيـتـ فـانـيـ اـحـبـيـتـ عـلـيـاـ عـلـىـ عـدـلـهـ فيـ الرـعـيـةـ ، وـقـسـمـهـ بـالـسـوـيـةـ وـرـابـغـضـتـكـ عـلـىـ قـتـالـكـ مـنـ هـوـ اـوـلـىـ مـنـكـ بـالـأـمـرـ ، وـطـلـبـتـكـ مـاـ لـيـسـ لـكـ بـحـقـ ، وـوـالـيـتـ عـلـيـاـ عـلـىـ مـاـ عـقـدـلـهـ



رسول الله (ص) من الولاء وحبه للمساكين واعظامه لأهل الدين .

وعاديتها على سفك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك .

قالت : يا هذا بعند والله كان يضرب المثل في ذلك - لا - بي .

قال معاوية : يا هذه اربعين ، فانا لم نقل الاخيرا ، انه اذا انتفخ بطن المرأة ثم خلق ولدها ، واذا عظم ثدياتها تروي رضيعها ، واذا عظمت عجيزتها رزت مجلسها ، فرجعت وسكتت .

قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : أى والله .

قال : فكيف رأيته ! قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، قال : فهل سمعت كلامه ؟

قالت : نعم : والله كان يخلو القلب من العمى ، كما يخلو الزيت صدأ الطست . قال : صدقت : فهل لك من حاجة ؟

قالت : او تفعل اذا سألك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء ، فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟

قالت : اغدو بالبازان الصغار ، واستحيي بها الكبار واكتسب بها المكارم ، واصلح بها بين العشائر ، قال : فان اعطيتك ذلك ، فهل احل محل علي بن ابي طالب ؟

قالت : (ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسدان وفتى ولا



كمالك ١١

ثم قال : أما والله لو كان علي حياماً ، ما اعطيك منها شيئاً .

قالت : لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ^(٢) .

-
- ١ - صداء : عين لم يكن عندهم ماء اعذب من مائها - والهداان ، نبت دو شوك ، وهو افضل مراجعى الابل ولا تحسن على نبت حسنها عليه - وممالك : هو ابن دويرة ، وقد قال اخوه متمم هذا فيه لما قتله خالد بن الوليد .
 - ٢ - العقد الفريد لابن عبد وبه الأندلسى .



أم البراء بنت صفوان بن هلال

ما اعظم الاسلام ، وما أجل قدره ، لقد بعث في قلوب المسلمين الجرأة والاقدام ، والتغافل في سبيل الله وعدم الاكتتراث بأي تهديد او وعيد ، حتى لترى المرأة المسلمة الصالحة ليثا هصورا ، اتخذت من الايمان والعقيدة ملاحة ماضياً ينحط عنده كل سلاح .

« وأم البراء ، شاعرة ذات لسان فصيح ، ومنطق مبين ، وهي من دخلن على معاوية بن أبي سفيان ، فأستاذنت عليه فاذن لها ، فدخلت في ثلاثة دروع ، تسجّبها ، قد كارت على رأسها كورأ ، كهيئة المنسف فسلمت ثم جلست . فقال : كيف حالك يا بنت صفوان ؟

قالت : بخير يا أمير ، ضعفت بعد جلد ، وكسلت بعد نشاطه .

قال : سيان بينك اليوم وحين تقولين :

عضب المهزة ليس بالخوار	يا عمرو دونك صار ما ذا رونق
للعرب غير معمر لفرار	اسرج جوادك مسرعاً ومشمراً
وافر العدو بصارم بتار	اجب الامام ودب تحت لوائه
فاذب عنه عساكر الفجوار	يا ليتنى اصبتت ليس بعورة

قالت : قد كان ذلك يا أمير ، ومثلك عفا والله تعالى يقول عفا الله عما سلف .



قال : هيئات اما انه لو عاد لعدت ، ولكن اخترم دونك ، فكيف قولك
حين قتل ؟ قالت ، نسيته يا امير . فقال بعض جلسائه هو والله حين تقول :

يا للرجال لعظم هول مصيبة
ففتحت فليس مصابها بالهazel
الشمس كافية لفقد امامنا
خير الخلق والامام العادل
يا خير من ركب المطي ومن مشى
فوق التراب لمحتف او ناعل
حاشا النبي لقد هددت قوائنا
فالحق اصبح خاضعا للباطل

فقال معاوية : قاتلك الله يا بنت صفوان ، ما تركت لقائل مقاولا ، اذكري
ساجتك .

قالت : هيئات بعد هذا والله لا سألك شيئا ثم قامت فعثرت ، فقالت :
تعس ثانية علي (١) ...

رحمك الله يا ام البراء ، هيئات ان تباع الضيائر الحرة ... ويسقط القوي
الفاشم على الاحرار الاوليفاء اصحاب العقيدة والإيمان .

لا تخضمن لخلوق على طمع
فإن ذلك وهن منك في الدين
واسترزق الله منها في خزائنه
فإنما الأمر بين الكاف والنون (٢)

١ - بلاغات النساء لابن طيفور - اعلام النساء عمر رضا كحاله وغيرهما .

٢ - هذان البيتان من الديوان المنسوب للامام علي عليه السلام .



آمنة بنت الشريد

هي زوجة عمر بن الخطاب الخزاعي ، امرأة شجاعة ذات عقل ودين عزيزة الجانب فصيحة اللسان عظيمة الشأن ، ومن ذوات الشرف والمرودة .
لقد جاهدت عن حقيقتها ورأيها ما استطاعت ، ولا فرق بالجهاد بين اللسان والسنابن .

قتل معاوية بن أبي سفيان زوجها عمرو بن الخطاب ، لأنه كان من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك حينما ظفر به بواسطة واليه عبد الرحمن بن الحكم . ولما قتله بعث برأسه الى معاوية (وهو اول راس حمل في الاسلام) . وكان معاوية قد أخذ بالتنكيل من أصحاب علي عليه السلام : امثال : (حجر بن عدي الكندي وأصحابه (رض)) .

« فلما اتى معاوية الرسول بالرأس ، بعث به الى آمنة بالسجن وقال للحرسي : احفظ ما تتكلم به حتى تؤديه الي ، واطرح الرأس في حجرها . ففعل هذا ، فارقاعت له ساعة . ثم وضعت يدها على رأسها وقالت : واحزناه لصغره في دار هوان ، وضيق من ضيمه سلطان ، نفيته عنه طويلا ، واهديته الي قتيلا ، فاهلا وسهلا ، من كنت له غير فالية ، وانا اليوم له غير ناسبة ، ارجع به اليها الرسول الى معاوية وقل له ولا تطوه دونه . »

« ايتم الله ولدك ، واوحش منك اهلك ، ولا غفر الله ذنبك » فرجع الرسول الى معاوية فأخبره بما قالت : فارسل اليها ، فاتته وعندہ نفر فيهم



ياس بن حسل اخو مالك بن حسل وكان في شدقيه نتوء عن فيه لعظم كان في لسانه ، وثقل اذا تكلم . فقال لها معاوية :

أأنت يا عدوة الله صاحبة الكلام الذي بلغني به ؟

قالت : نعم غير مازعة عنه ولا معترضة منه ولا منكرة له ، فلعمري اجتهدت في الدعاء ان نفع الاجتهاد ، وان الحق لمن وراء العباد ، وما بلغت شيئاً من جزائك ، وان الله بالنعمة من ورائك .

فأعرض عنها معاوية ، فقال ياس : اقتل هذه يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما كان زوجها أحق بالقتل منها ، فالتفت إليه ، فلما رأته ناتي الشدقين ، ثقيل اللسان ، قالت : تبا لك وبilk ، بين لحيتيك كجثمان الضفدع ثم انت تدعوه الى قتلي ، كما قتل زوجي بالأمس ، ان تريدي الا ان تكون جباراً في الأرض وما تريدين تكون من المصلحين ؟

فضحلك معاوية ثم قال : الله درك اخرجني ثم لا اسمع بك في شيء من الشام .

قالت : وأبى لآخرجن ، ثم لا تسمع لي في شيء من الشام فما الشام لي بمحبب ولا أعرج فيها على حيم وما هي لي بوطن ، ولا أحن فيها إلى سكن ، ولقد عظم فيها ديني ، وما فرت بها عيني ، وما أنا فيها إليك بعائدة ، ولا حيث كنت بمحامدة .

فasher اليها ببنائه اخرجني ... فخرجت وهي تتقول : واعجبي معاوية يكف عني لسانه ، ويشير إلى الخروج ببنائه ، أما والله ليعارضنه عمرو بكلام مؤيد شديد أو جمع من نوافذ الحديد أو ما أنا بابنة الشريد من



كلام طويل^(١) .

خرجت آمنة بنت الشريد من الشام ، بعد ما لاقت من الذل والهوان ما يعجز عنه البيان ، في زنزانة معاوية بن أبي سفيان وجلاوزته ، وذلك طيلة عامين كاملين ، وليس لها من ذنب إلا المقيدة الراسخة والإيمان القوي وحرية الرأي الذي بعثه فيها الدين الإسلامي العظيم .

١ بلاغات النساء لابن طيفور - اعلام النساء عمر رضا كحاله .



عمرة بنت النعمان الانصارية

ان التاريخ يحدثنا عن مسلمات صالحات ، كمن مر ذكرهن ، اذ أن المرأة المسلمة العربية المؤمنة ، الصادقة بعقيدتها قد قامت بدور عظيم في مجال التوجيه الاجتماعي والديني والأخلاقي والسياسي .

ان حادثة عمرة بنت النعمان بن بشير الانصارية من أروع الحوادث التي تدلنا على تمسك المرأة المؤمنة بالعقيدة والوقوف بجانب الحق مما جعلها تسير في صف أعظم الرجال .

كانت عمرة بنت النعمان زوجة المختار الثقفي^(١) الذي قتله مصعب بن الزبير بعد انتصاره عليه في الحرب التي دارت بينهما .

وبعد مقتل المختار أرسل مصعب وأحضر عمرة بنت النعمان زوجة المختار وطلب منها أن تتبأ من زوجها أمام الناس وتطعن في دينه .

١ - المختار الثقفي هو الذي قام بأخذ ثار الحسين عليه السلام . ومن قتله ، او أشرك بهم وكان شعاره : يالثارات الحسين : ولما قتل المختار عبيد الله بن زياد واتباعه لعنهم الله ... استتب الامر للمختار . وبعث عبدالله بن الزبير اخاه مصعبا الى العراق وليا . فدارت بين المختار وبين مصعب معارك كثيرة كانت الفلبة فيها لصعب على المختار فقتله وقتل زوجته عمرة . فرحم الله المختار وزوجته شهدا العقيدة والبدأ .



ولكن عمرة وقفت مواقف الاشراف الاباء ، وهيئات أن تذل الحرة ،
وتبيح عقيدتها ، أمر مصعب بقتلها لعلها تنهار أمام التهديد والخوف . واستعمل
جميع وسائل الإغراء من بذل المال وأطماعها بالجاه ، وغير ذلك .

لكنه وقف أمام عقيدتها الراسخة ووفائها وصمودها الجبار عاجزاً مقهوراً .
فباء بالفشل والخيبة ، ولم تنفعه الحيل .

بعد ذلك أمر أن توضع (عمرة بنت النعمان) في حفرة وأمر السيف أن
يقف على رأسها ووقف مصعب بجانبها يتوعدها ثانية ويتهدها أخرى .

لكن عمرة لم تكترث بالموت ، ولم تبالي بما يحيط بها من دواعي الشربل
انطلقت تقول بصوت ملؤه الإيمان بالله ، تصرخ في وجوه الظالمين : كيف اتبرأ
من رجل يقر ربي الله !؟ اني اعهده صائماً نهاره ، قائماً ليلاً ، وقد بذل دمه
في سبيل الله ورسوله ﷺ شهادة أرزقها ثم اتركها ! الله اشهد اني متبعه
لنبيك وابن بنته ... وأهل بيته .. وشيعته .

وحينا ابت عمرة الانصياع لمصعب ورائعه صمودها أمام السيف فضربها
ثلاث ضربات على رأسها حتى ماتت ، وهي باقية على عقيدتها .

وفي مقتل عمرة بنت النعمان الانصارية ، قال عمر بن ابي ربيعة :

ان من أعجب الاعاجيب عندي	قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها ظلماً ومن غير جرم	ان الله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا	وعلى الغانيات جر الذيل (٢)

- حادثة عمرة بنت النعمان الانصارية . ذكرت بعدها اوجه :

ذكرها الطبرى في تاريخه ، وابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد - والسيد علي فضل الله
الحسنى في الاخلاق الاسلامية وغيرهم .



ولا ننسى ان نذكر (اروى بنت عبد المطلب) تلك المرأة الجليلة صاحبة
المراثي من الشعر الجيد .

و كذلك أم هاني بنت أبي طالب التي اجارت من استجار بها يوم فتح مكة
فقال لها الرسول ﷺ (لقد اجرنا من اجرت و امنا من امنت) .

وعندما مات زوجها هبيرة المخزومي خطبها رسول الله (ص) فقالت له :
يا رسول الله لأنك أحب إلي من سمعي وبصري ، وحق الزوج عظيم ، فاخشى
ان اقبلت على زوجي ، ان اضيع بعض شأنني ولدي ، وان اقبلت على ولدي
ان اضيع حق الزوج ..

فقال رسول الله (ص) : ان خير نساء ركب الإبل نساء قريش ، احنافن
على ولد في صغره ، وارعاهن على بعل في ذات يده .

و كانت رواية من روايات الحديث .

و كذلك اسماء بنت عميس التي اسلمت قبل دخول رسول الله (ص) دار
الأرقم بمكة ، وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى الحبشة ، وروت عن
النبي ﷺ وروى عنها الكثير من اجلاء الصحابة كعبد الله بن العباس ، وعمر
بن الخطاب ، وحفيدتها القاسم بن محمد بن أبي بكر وابنها عبد الله وعون ابناء
جعفر بن أبي طالب وحفيدتها أم عون بنت محمد بن جعفر وعروة بن
الزبير وغيرهم .

وعائشة أم الدرداء التي برعـت في الفقه والدراءـة وهي القائلة « لقد طلبت
العبادة في كل شيء فـما أصـبـت لنفـسي أـشـفـى من مـعـالـسة الـعـلـمـاء وـمـذـاكـرـتـهـم » .
ولو سـلـكـنـ المـسـلـمـاتـ الـيـوـمـ طـرـيـقـ الـمـسـلـمـاتـ الـأـوـلـ وـأـنـتـمـ جـنـ المـنـجـ الصـحـيحـ
الـذـيـ كـانـتـ تـسـيـطـرـ عـلـيـهـ الـمـبـادـيـهـ الـاسـلـامـيـهـ الـعـظـيمـهـ مـنـ قـوـةـ الـعـزـيـهـ ، وـطـهـارـةـ



القلوب ، وبراءة النقوس ، وصدق النية والأخلاص في العمل في سبيل العقيدة والشرف ، لأن أصبحت المرأة المسلمة في عصرنا الحاضر القدوة الصالحة لجميع نساء العالم .

ولكن هيهات ... ان يسجل التاريخ أمثلـال المـسلـمات الـأـوـاـئـل ، إلا اذا رجعن نـسـاءـ الـيـوـمـ الىـ حـظـيرـةـ الدـينـ وـالـإـيمـانـ .

لأن الدين هو النور الذي يريـنا خـفـاياـ أـسـرـارـ الـوـجـودـ ، وـالـأـمـلـ الـوـضـاءـ الـذـيـ يـنـعـشـ اـنـفـسـنـاـ وـيـضـيـءـ أـمـامـنـاـ الـطـرـيقـ نـحـوـ الـحـرـبـةـ وـالـكـرـامـةـ .



بعض نوابغ النساء المسلمات في القرن الثاني والثالث وما بعدهما

أما في العهد العباسي وذلك عندما أصبحت بغداد مقر الإمبراطورية الإسلامية ، وازدهرت دور العلم ، وتواجد إليها العلماء والأدباء .

لقد كان الخليفة العباسي «المأمون» عالمًا فيلسوفاً يعقد مجالس العلم ويناظر فيها، ويبدل الأموال الطائلة في سبيل الترجمة والتأليف.

أما وقد أصبح الناس في ذلك العهد يقدرون الأشخاص بقدر نصيبيهم من العلم والأدب فمن الطبيعي أن تلتمس المرأة طريقها في هذا المضمار ، وتأخذ منه مقداراً يحمل القوم على حبها واحترامها .

منهن السيدة زبيدة زوجة الرشيدة ، لم تقتصر على مشاريعها الخيرية التي لا تزال باقية حتى الان ، فإنها كانت على جانب من الأدب .

قالت تخطب ابنها الأمين في قصيدة طويلة منها :

نفسي فــداوك لا يذهب بك التلف

ففي بقاءك ممن قد مضى خلف

ولها أشعار كثيرة في رثاء ولدها الأمين ، ومدح المؤمن والشكایة من طاهر
ان الحسين قاتل ولدها.

وكان لبعض النساء في العهد العباسي مساهمة فعالة ، فشاركن في العلوم



الدينية ، والسانية ، والأدبية ، وفي التأليف والترجمة .
وتصدر بعضهن للدرس والتدرис ، ومنح بعضهن اجازات من علماء أمثاله .
ومن النساء المشتغلات في حقل العلم بنت الشريف المرتضى ، كانت عالمة
فاضلة روت كتاب « نهج البلاغة » عن عمها السيد الشريف الرضا رحمة الله
عليه . وروى عنها الكثير من العلماء ^(١) .

(١) اعلام النساء - عمر رضا كعالة .



السيدة نفيسة بنت الحسن

ومن النساء المجاهدات اللواتي يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر السيدة نقية بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

عالمة جليلة ، وعابدة ورعة ، وتقية زاهدة ، حفظت القرآن وتفسيره ،
وفد حضر إليها الإمام الشافعي ، وسمع عليها الحديث .

وكان بشر بن الحارث يعودها لشئون علمه ، واستجأر بها لتقواها الامام احمد بن حنبل في ان تدعوه له بالمفترة ، وقد سألهما الامام الشافعي يوماً من وراء حجاب لتدعوا له ، وصلت على جنازته يوم وفاته .

ذهب الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق « المؤمن » وقيل انه لما ظلم احمد بن طولون ، استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها . فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : في غدٍ .

فكتبت رقعة : ووقفت بها في طريقة وقالت : يا احمد بن طولون ...
فلما رأها عرفاها فترجل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها
فإذا فيها :

ملكتم فأسرتم ، وقد رتم فقيرتم ، وخلولتم فعسفتهم ، ورددت اليكم
الارزاق ففقط علتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحاق نافذة ، غير مخطئة
لا سيما من قلوب اوجمعتموها ، واكباد جوعتموها ، واجساد عريتهنوها فمحال
ان يموت المظلوم ويبقى الظالم .

اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بـالله مستجحرون، واظلموا فانا الى الله متظالمون ، وسيعلم الذين ظلموا اي نقلب ينقلبون .

قصة امرأة تطلب الانصاف عند المأمون

« جلس المأمون يوماً للمظالم ، فكان آخر من تقدم إليه ... وقد هم بالقيام ، امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فنظر المأمون الى يحيى بن اكثم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله تكلمي بمحاجتك ، قالت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويَا امَامَا بِهِ قَدْ اشْرَقَ الْبَلْد
تَشَكُّو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ ارْمَلَةَ عَدَّ عَلَيْهَا فَلَمْ يَتَرَكْ لَهَا سِبْدَ^(١)
وَابْتَزَ مِنِي ضِيَاعِي بَعْدِ مَنْعِمَتِهَا لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عنى واقرح مني القلب والكبد
هذا اذان صلاة العصر فانصرفي واحضرني الخصم في اليوم الذي أعد
فالمجلس السبت ان يقضى الجلوس لنا نذهب منه وإلا المجلس الأحد

١ - السبد : الشعر ، ويكتفى به عن الابل ، كما يكنى بالوبر عن الغنم ، فيقال : ما له سبد ولا لبد ، اي ذو وبر ، ولا صوف متلبد ؛ يزيد ابلاء ، وغنماء .



فلما كان يوم الأحد جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة .

فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : عليك السلام ، ثم قال : أين الخصم ؟

فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ... وأومنت إلى ابنه العباس ...

فقال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معهم مجلس الخصوم .

فجعل كلامها يعلو كلام العباس . فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير فأخفضي من صوتك .

فقال المأمون : دعها يا أحمد فإن الحق انطقها ، والباطل اخرسه ثم قضى لها برد ضياعتها إليها (وظلم العباس بظلمه لها) وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي ببليدها ، أن يوغر لها ضياعتها ^(٢) ويحسن معونتها ، وأمر لها بنفقة ^(٢) .

بوران زوجة المأمون

كانت النساء المسلمات يعقدن مجالس العلم والأدب للمناظرة والمساجلة .

فمن النساء اللواتي برزن في ميدان العلم السيدة بوران زوجة المأمون (الخليفة العباسي) كانت فارسية الأصل جمعت بين الكرامة الإسلامية

١ - يوغر لها ضياعتها - أي يسقط عنها خراجها .

٢ - عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ... والاخلاق الإسلامية للسيد علي فضل الله الحسني .



والكياسة الفارسية .

عرفت بالذكاء والفطنة والفهم والأدب وحسن التصرف ، وأقامت في بغداد المدارس والمستشفيات .

قطر الندى زوجة المعتصم بالله

ومن النساء الشهيرات المعروفات بالذكاء والفطنة والمقدرة قطر الندوى زوجة المعتصم بالله العباسى وأم المكتفى ، كانت عالمة فذة ، خبيرة بالشريعة الإسلامية والقضاء .

قامت بالوصاية على ابنها قبل أن يبلغ سن الرشد ، وادارت الأحكام ، وقضت بنفسها بين الناس .

أحاط بها كثيرون ، وكثيرات من الشعراء والشاعرات ، والأدباء والأديبات ، وأهل الرأي والحزم .

ولا تنسى شهدة الملقبة بفخر النساء في القرن الخامس الهجري كانت تلقى دروساً في الأدب والتاريخ في جامع بغداد على الجمهور .

وكان لها منزلة علمية كبيرة في التاريخ الإسلامي ، ولمذا كان يحضر دروسها كثير من العلماء والفضلاء .

ولبني وهي الكاتبة في ديوان الخليفة الحكم بن عبد الرحمن ، الجبيدة للكتابة ، الشاعرة العالمة في النحو ، المتينة في الحساب وفنونه وقد توفيت سنة (٣٩٢) هجرية^(١) .

(١) عظمة الرسول - محمد عطية الابراشي .



ودهاء، بذت يحيى بن المرتضى المتوفاة سنة (٨٣٧) هجرية وهي عالمة جليلة،
برعت بعلوم عصرها كالنحو والمنطق والحديث والأصول والفقه والفلك والشعر،
ولها مؤلفات كثيرة، وقد أخذ عنها طلبة العلم وحضروا عليها.

وقد أشار ابن أبي أصيبيعة في كتاب «طبقات الأطباء» إلى طبيعتين
مسلمتين، درستا الطب واستغفلا به، منها الطبية «زينب» طبيبة بني أود
التي برعت بعلاج أمراض العيون.

ومن الطبيبات المسلمات أيضاً: الطبية «أم الحسن» بنت القاضي أبي
جعفر الطنجي، وقد كانت طبيبة مبربرة شهيرة في الطب، كثيرة الاطلاع،
وأجادت علوماً كثيرة مع الطب.

وأخذت الحفيظة بن زهر، وابنتهما كانتا عالمتين بالطب والمداواة ولهم خبرة
كبيرة بعلاج أمراض النساء.

إذا قلنا صفحات التاريخ نجد أن المرأة المسلمة كانت لها المكانة السامية
في العصور الإسلامية الأولى، عصور العظماء... عصور المجد عند المسلمين
المتسكين بمبادئ الإيمان والعقيدة، وأصول الشرع القويم.

ولكن بعد أن تفككت عرى الدين والإيمان من النفوس ولم يبال الناس إلى
أوامر القرآن ونواهيه، انهارت الأخلاق وعدنا القهقرى في العصور الاستعمارية
المظلمة.

وهناك رجمت المرأة إلى الوراء، إلى الذل والحرمان لأن المستعمر قد حكم
عليها بالجهل، والأمية مدة طويلة، وحرمها من العلم والتعلم والتهديب والرقي.

فالمستعمر ظالم يتحكم في مصير الناس على هواه، كما كان ذلك في



القرون الوسطى .

وصحيح أن المرأة في هذا العصر أخذت تنهض من كبوتها ... لكن نهضتها هذه غير مشكورة ، لأنها لم تنهض على مقتضى القواعد الدينية والنبل والشرف .

فهي نهضة وقيمة على غير أساس متين ترجع عليها بالخسران اذا لم تتدارك المرأة عزتها وكرامتها قبل فوات الاوان واعود فاكرر قول الشاعر :

تدار كوها وفي اغصانها رمق

فلا يعود اخضرار العود ان يبسا

ونحن نهيب بالمرأة المسلمة ، وندعوها الى اجتناب الخلاعة والميوعة والانحراف عن الطريق السوي والمحون .

كما ندعوها الى كل فضيلة ، حتى تتمكن من حماية الاسرة ، تلك الخلية الأولى التي يتتألف منها المجتمع .

حماية الاسرة - اقتصادياً ... واجتماعياً ... واخلاقياً ... وتشريعياً ضمن نطاق القوانين الاسلامية .

فالمرأة صنوا الرجل عليها ما عليه من الجهاد في سبيل الوطن الصغير (الأسرة) والوطن الكبير (المجتمع) .

وبذلك تكون المرأة قد سبقت الرجل في مضامير الجهاد ، وقامت بواجبها على الوجه الاكملي ، وتألت ما يناله من رفعة وسؤدد .



ولا ننسى قول نابلون بونابرت : « ان المرأة التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها » .

فاكرم بالمرأة الصالحة التي تقوم بأعباء مسؤوليتها وحسب فطرتها في جميع الميادين وعلى جميع الأصعدة بالطهارة والعفاف والعزة والشرف والكرامة .



الخاتمة

ان المرأة اصبحت في زماننا هذا تعاني من ازمات ناتجة عن الافكار التي يبئها أصحاب العقائد المدamaة ، وكل من يريد الشر لهذا المخلوق البريء .

ازمات كثيرة في عالم السلوك والاخلاق والتربية وفي جميع المجالات وهذا ناشئ عن انعدام الرادع الديني في النفوس كما اسلفنا .

يصعب على المرأة المسلمة في عصرنا الحاضر الذي أصبح بؤرة فساد أن تنجو من محنتها وشقائها ، وتتخلص منها هي فيه من واقع مرير ينذر بالويلات والدمار ، إلا اذا سارت على هدى الاسلام ونور تعاليمه الصادقة النازلة من لدن عزيز حكيم .

وما لا ريب فيه أن من ليس عنده رادع ديني ، نراه دائمًا مع اصحاب النزعات الشريرة ، فمن لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا ينفعه شيء من ارتكاب الجرائم ، والظلم ، وهتك الحرمات ، يجري وراء شهواته وميوله بغير هوادة .

فالاسلام هو المدرسة العظيمة والاصلاح الشامل الذي يفيض بالعطاء والتوجيه لمجتمع الشعوب ، وهل يجد الانسان في جميع مراحل حياته مثل التشريع الاسلامي ؟ تلك العدالة الاجتماعية المشرقة التي تهدف الى صيانة حقوق المرأة وإزالة جميع فنون الظلم والاضطهاد ومحو ضروب الغبن والاستعباد .



لقد حقق الإسلام للمرأة أعظم الانتصارات وقادها إلى شاطئِ الامن والاستقرار .

وما لا شك فيه أن نساء العهود السابقة ، كن أكثر اطلاعاً وأشمل اتساعاً ، للاحاطة بتعاليم الإسلام وهديه ، والعمل على طبقه .

وكان لبعضهن نصيب وافر من الورع والتقوى والعلم والمعرفة المقرونة بالإيمان والعقيدة .

فالنساء اللواتي برزن في حظيرة الإسلام كثيرات ، لا يمكن أحصائهن أو الإمام بسيرهن على اختلاف الأجناس والطبقات ، وفي جميع المجالات .

فمنهن من برعـت بـعلم الفـقه وـعلم الأصول وـروايةـ الحديث . وـمنـهن منـ تـفـوقـتـ بـالأـدـبـ فـكـانـتـ الشـاعـرـةـ الـمـبـدـعـةـ وـالـأـدـبـيـةـ الـكـاتـبـةـ .

وـمنـهنـ منـ حـازـتـ السـبـقـ فـيـ مـجـالـ الـفـنـ وـالـسـيـاسـةـ فـكـانـتـ منـ بـينـ الـأـمـيـرـاتـ الصـاحـاتـ وـالـمـجـاهـدـاتـ ذـرـاتـ الـأـخـلـاصـ وـالـوـفـاءـ .

وـالـآنـ فالـواـجـبـ عـلـىـ كـلـ اـمـرـأـ مـسـلـمـةـ عـاقـلـةـ تـؤـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ فـيـ عـصـرـنـاـ الـحـاضـرـ ،ـ انـ لـاـ تـتأـثـرـ بـاـقـوـالـ الـمـفـرـضـينـ ،ـ وـلـاـ تـنـصـاعـ لـأـهـوـاءـ الـمـفـسـدـينـ بلـ قـأـخـذـ جـانـبـ الـخـيـرـ فـتـعـمـلـ بـهـ ،ـ وـتـتـجـنبـ الـشـرـ فـتـبـعـدـ عـنـهـ ،ـ وـتـقـبـلـ مـنـ الـأـعـمالـ وـالـصـفـاتـ مـاـ تـحـمـدـ عـلـيـهـ لـيـرـجـعـ عـلـيـهـ بـالـفـائـدـةـ الـرـوـحـيـةـ وـالـمـعـنـوـيـةـ .

وـخـتـاماـ اـتوـسـلـ إـلـىـ الـمـوـلـىـ الـعـلـىـ الـقـدـيرـ أـنـ يـأـخـذـ بـيـدـ جـمـيعـ الـمـصـاحـيـنـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ الـمـؤـمـنـيـنـ مـاـ فـيـهـ خـيـرـ الـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ .ـ اـنـهـ وـلـيـ الـإـجـابـةـ وـهـوـ حـسـبـنـاـ وـنـهـ الـوـكـيلـ .

بيروت ١٢ رجب سنة ١٣٨٩ الموافق ١٨ حزيران ١٩٧٨

مريم نور الدين فضل الله



مصادر الكتاب

القرآن للكرم

مجمع البيان في تفسير القرآن - للطبرسي

نهج البلاغة - شرح ابن أبي الحديد

مجمع البحرين - للطريحي

وسائل الشيعة - للحر العاملي

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي

تفسير الطبري

حضارات العالم في المصور القديمه والوسطى - الطبعة الثانية

الحجاب - ابو الاعلى المودودي

تاريخ التربية - الاستاذ عبدالله المشنوق

مجلة العربي

نظرات في السفور والحجاب - الشيخ مصطفى الغلايني

مجلة الازهر

تاج العروس - للزبيدي

مستمسك العروة الوثقى - السيد محسن الطباطبائي الحكيم

منهاج الصالحين - للسيد محسن الطباطبائي الحكيم

منهاج الصالحين - السيد ابو القاسم الخوئي

الترغيب والترهيب - للمزندرى



مجلة الوعي الاسلامي - الكويت
السيرة الحلبية - علي بن برهان الدين الحلببي
تاريخ الطبرى - ابن جرير الطبرى
الدر المنشور في طبقات ربات الخدور - زينب فواز
مجلة العرفان
مباني تكملة المنهاج - حجۃ الاسلام السيد الخوئي
تفسير المنار - الشیخ محمد عبده .
تراجم سيدات بيت النبوة - الدكتوره بنت الشاطرو
الاغانى - لأبی الفرج الاصفهانى
عيون الاخبار - لابن قتيبة
نهاية الأرب في فنون الأدب - للنویرى
السيرة النبوية - لابن هشام
طبقات ابن سعد الكبوري
مرrog الذهب - للمسعودي
تاریخ البیعوی
المیزان في تفسیر القرآن - للطباطبائی
اعلام النساء - عمر رضا کعالة
ملحمة أهل البيت - الشیخ عبد المنعم الفراتو - بی
الکامل في التاریخ - لابن الأثیر
بلغات النساء - لابن طیفور
ینابیع المودة - للقندوزی الحنفی
حلبة الاولیاء - للحافظ الاصبهانی
ظلال الوھی - السید علی فضل الله الحسني
مرآة الجنان - للیافعی المکی
الفدیر - للشیخ الامینی



اعيان الشيعة - السيد محسن الامين
العقد الفريد - لابن عبد ربه الاندلسي
الاصابة - لابن حجر
الاستيعاب - لابن عبد البر
الاخلاق الاسلامية - السيد علي فضل الله الحسني
مقتل الحسين (ع) - السيد عبد الرزاق المقرم
حب ابن ابي ربیعة وشعره - الدكتور زکی مبارک
حدث کربلاء - السيد عبد الرزاق المقرم
عظمة الرسول - محمد عطیہ الابراشی



محتويات الكتاب

٥	المقدمة
١١	تمهيد
١٣	المرأة قبل الاسلام
١٥	المرأة عند العرب في الجاهلية
١٩	وأد البنات
٢١	قصة رجل وأد إبنته وقد اظهر ندمه عند النبي (ص)
٢٢	المرأة في بلاد الفرس
٢٢	المرأة في بلاد الصينية
٢٣	المرأة في بلاد مصرية
٢٣	المرأة في بلاد ما بين النهرين
٢٤	المرأة السومرية
٢٤	المرأة الاشورية
٢٤	المرأة عند اليونان
٢٥	المرأة عند الرومان
٢٧	المرأة في بلاد الهند
٢٨	المرأة في نظر بعض الفلاسفة
٣٠	مقارنة وتحليل
٣٦	حول حرية المرأة في الاسلام



٣٨	الحرية ... والمساواة
٤٣	المساواة في العبادات
٤٨	في محيط المرأة - باب المساواة
٥٣	نزول المرأة الى ميدان العمل
٥٤	المرأة وتقدمها في العصر الحاضر
٥٧	متى تنزل المرأة الى ميدان العمل وكيف ؟
٥٩	مدى صلاحيات المرأة في تحمل المسؤولية
٦١	الحجاب
٦٣	بعض الاخبار الواردة في الحجاب
٦٦	دعاة السفور ... واثرهم السيء على الاخلاق
٦٩	الحرية المزعومة
٧١	المصافحة ... أو السلام بالكف
٧٢	مبایعه النساء للنبي (ص) يوم فتح مكة
٧٤	التقلید للاجانب ... انتكاس وترابع
٧٥	الموضة ... أو الزي الجديد
٧٨	من صميم الواقع
٨٢	الحجاب وأثره في المجتمع
٨٥	المرأة في رحاب العلم
٨٦	تأثير العلم على المرأة
٨٨	الحجاب والعلم
٩٢	لحنة من واقع الحياة في عصرنا الحاضر
٩٤	نظرة الشباب الطائش الى العلم
٩٦	التوعية الدينية
٩٨	الزواج ... الرابطة للأسرة
١٠٠	حول استقرار المرأة في بيتها



١٠٢	الرجال قوامون على النساء
١٠٧	نظام الأسرة في الإسلام
١٠٩	صفات الزوجة الصالحة
١١٠	واجبات الزوجة الصالحة
١١٦	إلى أين المصير
١٢٠	المرأة في بده الدعوة الإسلامية
١٢٣	أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها
١٢٤	قصة زواج الرسول (ص) من خديجة
١٢٥	خطبة أبو طالب يوم زواج الرسول (ص)
١٢٩	نبذة من حياة السيدة خديجة مع الرسول الأعظم (ص)
١٣٠	نزول الوحي ... ومبثت الرسول
١٣٥	صلوة النبي (ص) وخدبيحة وعلبي (ع)
١٣٨	حصار قريش للمسلمين
١٤٠	قصة حكيم بن حزام مع أبي جهل
١٤١	شخصية أم المؤمنين خديجة
١٤٢	وفاة خديجة أم المؤمنين (رض)
١٤٤	عدوات المشركون على المستضعفين من أسلم
١٤٥	سمية أم عمار بن ياسر
١٤٧	موقف المرأة المسلمة في بدء الدعوة
١٤٩	إشارة الرسول الأعظم (ص) على أصحابه بالهجرة
١٥٠	الهجرة الثانية
١٥١	حزن الرسول (ص) على فراق خديجة
١٥٣	هجرة الرسول (ص) إلى يثرب
١٥٥	عائشة أم المؤمنين
١٦١	أم المؤمنين أم سلمة



١٦٣	حديث أم سلمة (رض)
١٦٨	زواج رسول الله (ص) من أم سلمة
١٦٩	نصيحة أم سلمة للخليفة عثمان
١٧٠	حديث أم سلمة مع عائشة
١٧٥	فاطمة بنت الرسول (ص)
١٧٧	الهجرة إلى المدينة (يثرب)
١٨٠	زواج فاطمة من علي (ع)
١٨٣	بيت الزوجية
١٨٥	حب الرسول (ص) لابنته فاطمة
١٨٧	فاطمة الزهراء مع أبيها يوم فتح مكة
١٨٩	قرיש تنتدب أبا سفيان لمقاؤة النبي (ص)
١٩٢	دخول جيش المسلمين مكة
١٩٧	أحلام ... وتصورات ... وذكريات
١٩٩	عقب الانصار على الرسول (ص)
٢٠٣	الزهراء (ع) واليقظة المروعة
٢٠٥	الزهراء (ع) يوم وفاة النبي (ص)
٢٠٨	بيت الأحزان
٢١٢	كلام الزهراء لنساء المهاجرين والأنصار
٢١٤	خطبة الزهراء (ع) في المسجد النبوي الشريف
٢٢٢	وفاة الزهراء (ع)
٢٢٣	وصيَّة الزهراء (ع)
٢٢٨	الذكريات
٢٣١	حزن علي على فراق زوجته الزهراء (ع)
٢٣٣	المرأة في صدر الإسلام
٢٣٤	أخلاق المرأة المسلمة في صدر الإسلام
٢٣٤	جهاد المرأة في الإسلام



٢٣٥	جهاد الهاشميات
٢٣٦	صفية بنت عبد المطلب
٢٤٠	فاطمة بنت أسد بن هاشم
٢٤١	اروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم
٢٤٢	حديث اروى بنت الحارث بن عبد المطلب مع معاوية
٢٤٦	مساهمة المرأة في نصرة الاسلام
٢٤٦	أم رعلة القشيرية
٢٤٧	أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الانصارية
٢٤٧	سبيعة بنت الحرت الاسلامية
٢٤٨	أم كلثوم بنت عقبة
٢٤٩	زينب بنت رسول الله (ص)
٢٤٩	أم رميثة بنت عمر بن هشام بن عبد المطلب
٢٥٠	أم حكيم بنت الحارث المخزومية
٢٥٠	أم حبيب بنت العاص القرشية
٢٥١	بركة بنت ثعلبة أم اين
٢٥١	حننة بنت جحشن
٢٥٢	ليلي الغفارية
٢٥٢	أم ذر الغفارى
٢٥٤	انتعاش المرأة اجتماعياً في صدر الاسلام
٢٥٥	قبيلة بنت مخرمة
٢٥٩	عقيلة الهاشميين زينب بنت علي (ع)
٢٦١	المصاب الاليم ... والبناء العظيم
٢٦٤	دور الزهراء تثله زينب
٢٦٧	الزواج المبارك
٢٧٠	بداية الاحداث



٢٧٥	العاشرة الموجاء والاحداث المؤلمة
٢٧٧	وصية الامام علي بن ابي طالب (ع)
٢٨٠	وفاة امير المؤمنين عليه السلام
٢٨٢	عقيلة بني هاشم مع اخיהם الامام الحسن (ع)
٢٨٤	في خضم الأحداث
٢٨٨	نذر المأساة
٢٩٢	السيدة زينب في يوم الطف
٢٩٥	زينب في خضم المعركة
٢٩٨	عقيلة بني هاشم بالكوفة
٣٠١	زينب عقيلة بني هاشم في الشام
٣٠٤	خطبة السيدة زينب (ع) في مجلس يزيد في الشام
٣٠٨	عقيلة بني هاشم في مدينة جدها الرسول (ص)
٣١٠	شخصية السيدة زينب وأثرها على المجتمع
٣١٥	السيدة سكينة بنت الحسين (ع)
٣١٩	شخصية السيدة سكينة الاجتماعية
٣٢٣	عرض وتحليل
٣٢٨	جهاد المرأة المسلمة ووضعها الاجتماعي
٣٢٩	سودة بنت عمارة بن الاشت الهمданية
٣٣٢	الزرقاء بنت عدي
٣٣٥	بكارة الهلالية
٣٣٧	ام الحير بنت الحريش البارقية
٣٤٠	أم وهب زوجة عبدالله بن عمر الكلبي
٣٤٢	عكرشة بنت الأطرش
٣٤٣	دارمية العجونية
٣٤٦	أم البراء بنت صفوان بن هلال



٣٤٨	آمنة بنت الشريد
٣٥١	عمره بنت النعمان الانصارية
٣٥٥	بعض نوابغ النساء المسلمات في القرن الثاني والثالث وما بعدهما
٣٥٧	السيدة نفيسة بنت الحسن
٣٥٨	قصة امرأة تطلب الانصاف عند المأمون
٣٥٩	بوران زوجة المأمون
٣٦٠	قطر الندى زوجة المعتصم بالله
٣٦٤	الخاتمة
٣٦٦	مصادر الكتاب
٣٦٩	محتويات الكتاب



طبع على مطابع
دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ص.ب ٩٣٧٠ ت.م: ٣٠٣٠٧٥

